١
٥٥٤٨

الجامعة الأردنية
كلية الدراسات العليا

٦١٧
٢٠١٢

الحركة الشعرية في ظل المنصور بن أبي عامر

إعداد
عصام عبد المجيد أحمد المطرمي

عميد كلية الدراسات العليا

إشراف
الدكتور صلاح جرّار

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية .

تشرين الثاني ١٩٩٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ٢٣/١١/١٩٩٣. وأجيزت

توقيع أعضاء لجنة المناقشة

أعضاء اللجنة		التوقيع
١ – الدكتور صلاح جرّار	رئيساً	
٢ – الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة	عضواً	
٣ – الدكتور جاسر أبو صفية	عضواً	

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهـــداء

إلى رفات الأستاذ الدكتور شكري فيصل - تنزلت شآبيب المطر والخير عليه - فقد كان إنساناً، وأديباً ، ومثقفاً، وعالماً.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

كانت رحلتي مع هذه الرسالة رحلة مفيدة، أضاءت لي طريق البحث العلمي ، وعرفتني بمناهج البحث، مستفيداً من توجيهات الدكتور المشرف، الذي أقنعني باتباع المنهج التكاملي الذي يقوم على الأخذ من المناهج كلها حسب ما تقتضيه الحاجة، وليس أخذاً تعسفياً ظالماً، مما أفضى إلى إغناء حصيلتي في المناهج الفكرية والأدبية المختلفة، وكان الدكتور صلاح جرّار حريصاً أشد الحرص على ان أقرأ في الموضوعات كلها من باب الثقافة من ناحية، والتوظيف للمعلومات التي تشكل بصيرة نافذة من ناحية أخرى، وكان يؤكد على ظهور شخصية الباحث في البحث، مما أدى إلى محاولات من جانبي كانت تتعثر في كثير من الأحيان، ولكني حاولت، وحاولت، وحاولت حتى كتب لي بعض النجاح، وقد أفدت من النقاشات التي دارت بيننا عن النقاط السابقة مما أدى إلى إغناء تجربتي العلمية من ناحية، وإعطائي أملاً في مستقبل علمي جيد من ناحية أخرى، فله مني خالص التقدير والمودة.

وأتوجه بالشكر إلى الأستاذين المناقشين ، الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة الذي تشرفت بدراسة مادة الأدب الأندلسي معه في مرحلة الماجستير مما فتح أمامي آفاقاً رحيبة، دفعتني إلى التخصص في هذا الميدان خاصة أن الأستاذ الدكتور خليفة كان يمنحنا حق مناقشة البحوث المقدمة في جو من الحرية الكاملة في قاعة الدرس .

وأشكر الدكتور جاسر أبو صفية الذي تربطني به علاقة طيبة ، فكثيراً ما تجاذبنا أطراف الحديث في موضوعات شتى.

ولا يفوتني أن أشكر الأخ الصديق إبراهيم الزعبي الذي لم يضنّ علي بجهده ووقته ، وكل من قدم لي نصيحة، أو اقتراحاً، أو مساعدة في سبيل إنجاح هذه الرسالة.

والله ولي التوفيق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويــــات

قرار لجنة المناقشة .... ب

الإهداء: .... جـ

شكر وتقدير: .... د

الملخص باللغة العربية: .... ز

تمهيد: ١

الفصل الأول: عناية المنصور بن أبي عامر بالشعر والشعراء من خلال

ديوان العطاء ٥

أ - أصل كلمة ديوان ٦

ب- صورة العطاء في الأندلس ٧

جـ- المنصور بن أبي عامر ورعايته للشعراء ٩

د- شعراء المنصور بن أبي عامر ١٧

الفصل الثاني: قضايا الشعر في زمن المنصور بن أبي عامر ٣٤

أ - الشعر والأحداث الداخلية والخارجية ٣٥

١- شخصية المنصور بن أبي عامر ٣٥

أ- نسبه ٣٥

ب - صفات المنصور بن أبي عامر ٣٨

٢- السياسة الخارجية ٤٠

أ- جهود المنصور العسكرية ٤١

ب- المعاهدات ٤٦

ب- شعر الهجاء، وأدب السجون ٤٨

١- وصف السجن ٥١

٢- اتجاهات السجناء ٥٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- اتصالات السجناء ٥٥
جـ- شعر الطبيعة ٥٨
١- الطبيعة الحية ٥٨
٢- الطبيعة الصامتة ٦٣
٣- الظواهر الطبيعية ٦٧
د- الشعر الوجداني ٧١
١- الغزل وأشكاله ٧١
٢- الزهد وصوره ٨٢
٣- الرثاء ٨٥
٤- الحنين إلى الوطن ٨٧
هـ-الشعر ومظاهر الحياة الاجتماعية والحضارية ٨٨
١- الخمر ٨٩
٢- الطعام والشراب واللباس ٩٣
٣- المنجزات الحضارية ٩٥
الفصل الثالث: الخصائص الفنية ١٠١
أ - التقليد في الشعر الأندلسي ١٠٢
ب- النسيج اللغوي ١٠٧
جـ- الصنعة ١١٣
د- الصورة ١١٧
هـ- أثر القرآن والسنة ١٢٥
الخاتمة ١٢٩
ثبت المصادر والمراجع ١٣٢
الملخص باللغة الإنجليزية ١٤١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخـــص

الحركة الشعرية في ظل المنصور بن أبي عامر

إعداد عصام عبد المجيد أحمد المطرمي

إشراف الدكتور صلاح جرار

يعالج هذا البحث الحركة الشعرية في ظل المنصور بن أبي عامر، والحركة الشعرية تعني نشاط الشعراء الذي يتغلغل في مناحي الحياة كافة في زمن محدد أو وفقاً لمذهب فكري معين، وهذا المشهور في الأدب العربي تقسيم الأدب إلى عصور وفترات، وغالباً ما ترتبط بحاكم معين أو مجموعة من الحكام من طبقة واحدة، وهم يقومون على رعاية الشعراء وإغداق العطاء عليهم، وهذه الحركة التي يتناولها البحث ارتبطت بحاكم فرد هو المنصور، فقد جاء عقب تسلله إلى السلطة وانتزاعها من الأمويين، وبعد وفاته بفترة قصيرة انتقل الحكم إلى ملوك الطوائف.

• وقد دفعني إلى دراسة هذا الموضوع جملة أسباب، منها:

١- أن الشعر في ظل المنصور لم يحظ بدراسة علمية دقيقة، كما حظي به غيره، والحقيقة أن هذه الفترة مهملة قياساً إلى غيرها من فترات الحكم في الأندلس، لأنها كانت فترة انتقالية خطيرة، إلا أن هناك محاولتين لتحديدشعراء المنصور:

أ- محاولة المستشرق آنخل جنثالث بالنثيا الذي ذكر أسماء، مثل: القسطلي، صاعد، الرمادي، ابن حزم أبي المغيرة، ولكن دراسته لم تكن شاملة للشعراء جميعهم في فترة المنصور.

ب- محاولة الباحث فؤاد سزكين التي أحرزت تقدماً أكبر، ولكن هذه المحاولة مزجت بين شعراء فترات سياسية ثلاث، هي: فترة حكم الحكم المستنصر، العامريين، ملوك الطوائف، فتبقى هذه الدراسة في إطار المحاولة، لأنها لم تشمل الشعراء جميعهم، ولم تفصل بين شعراء كل مرحلة فصلاً دقيقاً.

٢- إن الشعر كان وسيلة إعلام خطيرة تأتي بعد قوة السلاح في تثبيت الحاكم في السلطة، ولا سيما أن المنصور استولى على السلطة بالقوة خلافاً لما هو مشهور أن يكون الحاكم من الأمويين.

٣- دخول الشعراء إلى الديوان، وتسجيلهم فيه حسب مراتب معينة يجري على أساسها العطاء، وهؤلاء الشعراء كثيرون، ولم يحظوا بدراسة جادة.

٤- إن هذه الحركة تلقي أضواء على دولة عربية إسلامية كانت موحدة تحت سلطة حاكم هو

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنصور بن أبي عامر.

٥- ولأن المنصور نفسه كان شاعراً، له بعض المقطوعات الشعرية التي تكشف عن شخصيته وطموحاته.

وقد تناولت في هذه الرسالة الحركة الشعرية في ظل المنصور بن أبي عامر. واسمه كما ورد في المصادر، محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي عامر، أبو عامر ولد في الجزيرة الخضراء، وقدم في سن الطلب إلى قرطبة طالباً للعلم، وقد تميز فيه، وكان متطلعاً إلى الحكم في سن مبكرة من حياته.

وأنشأ ديواناً للعطاء حين وصل الحكم، ضم عدداً كبيراً من أدباء تلك الفترة، وكان يقوم على هذا الديوان الناقد عبد الله بن مسلمة، وكان الشعراء مصنفين في الديوان إلى طبقات حسب قوتهم الشعرية، ويستتبع ذلك تمييزاً في العطاء، وكان هدف المنصور من ضم أعداد هائلة من الشعراء إضفاء الشرعية على حكمه، وخدمة دولته إعلامياً.

وكان الإعلام في دولة المنصور قائماً على إلقاء الأضواء على شخصية المنصور نفسه، وابنيه: المظفر، وعبد الرحمن بصفتهما وليي عهده، وركز الشعراء على صفات المنصور الخَلْقية والخُلُقية، ومدحوه في المناسبات كلها، سواء أكانت في وقت السلم أم الحرب، وما يتبعها من معاهدات بصفته القيادي الأول في الدولة، وعاقب المنصور عدداً من الشعراء بالسجن، لأسباب كثيرة: سياسية، ودينية، وجرائم عادية، وعرض الشعراء للسجن من الداخل والخارج، فوصفوا السجن من ناحية، وحاولوا الاتصال بالمنصور للعفو عنهم من ناحية أخرى. ولم يحصر الشعراء أنفسهم في الغرضين السابقين الإعلام والسجون، بل وصفوا الطبيعة، وانسجموا معها، وكان وصفهم شاملاً تناول الطبيعة الصامتة، والصانتة، والظواهر الطبيعية، ولا سيما أن بلاد الأندلس جميلة في طبيعتها، ولكن حدث أن بعض الشعراء جاء جزء من شعرهم متأثراً بالموروث الثقافي العربي، فوصفوا الصحراء، والسراب، والجمال، وإذا دققنا النظر في وصف الطبيعة عند الشعراء نجد أنه كان مغرقاً في الرقة، والدماثة، والشفافية، وقد التفت شعراء تلك الفترة أيضاً إلى داخلهم، فعبروا عن عواطفهم في الغزل، بأصنافه: العفيف، والحسي، والشاذ، والتقليدي، كما عرضوا إلى الرثاء، والزهد، والحنين إلى الوطن، ويلاحظ بالنسبة إلى الغزل أن العفيف منه تأثر بالغزل العذري في المشرق، والشاذ يشبه نظيره في المشرق، ولا جرم أن هذا النوع من الغزل خطير في حد ذاته، لأن فيه دعوة على ألسنة الشعراء إلى الانحطاط، وأما الغزل الحسي فقد تناول أعضاء المرأة كلها، لكنه يفتقد إلى النظرة الشمولية، وأما الغزل التقليدي، ففيه التزام بمقدمة الغزل في القصيدة الجاهلية التقليدية التي تأخذ منحى المدح، وورد الرثاء فيه تفجع عند الشعراء على عامة الشعب من خلال بساطة اللغة، وفيه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تكلف وتصنع من قبل الشعراء حين يرثون موتى الطبقة الحاكمة، وجاء الزهد واضحاً في صوره الكبرى، الموت، والاتجاه إلى الله، والصبر، وهو ردة فعل عنيفة، وقوية على حياة الترف في الأندلس، وذكر الحنين إلى الوطن بسبب ضرب الأندلسيين في أكناف الأرض للتجارة، والعلم، والمعرفة، وكان ذلك الشعر يتسم بالحزن والتوهج، وتناول الشعراء الأندلسيون الشعر والمعالم الحضارية، فوصفوا الأطعمة، والأشربة، والمنجزات الحضارية، أما الأطعمة فتدل على مبلغ التحضر الذي وصل الأندلسيون إليه في الطبخ، والتأنق، والذوق، وأما الأشربة، فركزوا على الخمرة منها، ابتداءً من الدنان، وانتهاء بخصائص الخمرة الجيدة، ويلاحظ أن الأندلسيين كانوا على دراية، وعلم بطقوس الخمرة، وأما المنجزات الحضارية، فكانت شاملة حيث تناولوا أدوات الثقافة، كما ازدهرت الصناعة عندهم.

ووردت الخصائص الفنية على نمطين، الأول: اتباع للقصيدة الجاهلية التقليدية خاصة المدح، الثاني: مواكبة الحداثة، وصدور عنها، وهذان التياران في الأصل مشرقيان، وقد بينت ذلك من خلال الظواهر الفنية في نتاج الشعراء، وفتحت أبواب هذا التأثر على التاريخ، والنسيج اللغوي، من ألفاظ نادرة الاستخدام إلى التعبير المباشر، وعالجت الصنعة بصفتها تأثيراً مشرقياً، ونتاج التعقيد الحضاري، ثم انتقلت إلى الصورة مصدراً، ومعالم، ولم أغفل الحديث عن بعض عيوب الصورة، وأخيراً، تحدثت عن التأثر بمصدري الثقافة الإسلامية: القرآن، والسنة، بوصفهما أصلي الثقافة العربية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنصور بن أبي عامر

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي عامر، أبو عامر[١] ، كان أبوه معافري النسب، وأمه تميمية، وهي : بريهة بنت يحيى بن زكريا التميمي، يعرف بابن بُرْطُلْ[٢]، وكان مولد المنصور سنة سبع وعشرين وثلاثمائة[٣]، وأصله من الجزيرة الخضراء[٤] التي كانت لهم مكانة بها[٥]، وقدم إلى قرطبة طالباً للعلم، فحضر حلقات العلم والحديث والأدب، وتميز في ذلك[٦]، وكان يطمح للوصول إلى سدّة الحكم، فقد روى الحميدي، قائلاً :«وأخبرني الفقيه أبو محمد علي بن أحمد، قال : كان المنصور بن أبي عامر يوماً جالساً مع ثلاثة من أصحابه من طلبة العلم، فقال لهم : ليختر كل واحد منكم خطة أوليه إياها إذا أفضى إليّ الأمر، فقال أحدهم : توليني قضاء كورة رية، وهي مالقة وأعمالها، فإنه يعجبني هذا التين الذي يجيء منها، وقال الآخر : توليني حسبة السوق، فإني أحب هذا الإسفنج، وقال الثالث : إذا أفضى إليك الأمر فأمر أن يطاف بي قرطبة كلها على حمار، ووجهي إلى الذنب، وأنا مطلي بالعسل ليجتمع علي الذباب والنحل، وافترقوا على هذا، فلما أفضى الأمر إليه كما تمنى بلغ كل واحد منهم أمنيته على نحو ما طلب»[٧].

وابتدأ المنصور عمله كاتباً أمام القصر[٨] حتى استرعى اهتمام صبح[٩]، التي أوكلت إليه أمر أموالها وضياعها حتى وفاة الحكم المستنصر[١٠]، وتقلد قضاء كورة رية[١١]، ثم ولي الشرطة والسكة

---

(١) ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد ، أبو محمد، جمهرة أنساب العرب ، راجع النسخة ، وضبط أعلامها، لجنة من العلماء بإشراف الناشر، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣، ٤١٨ .

(٢) الحميدي، أبو عبد الله ، محمد بن أبي نصر، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، حققه، وقدم له، ووضع فهارسه، إبراهيم الأبياري، الطبعة الثانية، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٣، ١١٧ . الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧ ، ١٣٢ .

(٣) ابن الأبار، أبو عبد الله، محمد بن عبد ا لله بن أبي بكر القضاعي، الحلة السيراء، حققه وعلق حواشيه، الدكتور حسين مؤنس، الجزء الأول، القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٣ ، ٢٧٢ .

(٤) الجزيرةالخضراء في الأندلس ويقال لها جزيرة أم حكيم، وهي نسبة الى جارية طارق بن زياد، كان حملها معه فتخلفها بهذه الجزيرة فنسبت إليها، وهي قريبة من جبل طارق إذ تقدر المسافة بستة أميال، فكانت أول مدينة افتتحها موسى بن نصير سنة تسعين من الهجرة، وهي ذات مناخ لطيف .

(الحميري، أبو عبد الله، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطا ر ، حققه، الدكتور إحسان عباس، ط٢، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٤م، ٢٢٣ ، ٢٢٤) .

(٥) الحميدي، جذوة المقتبس، ١ / ١١٥. الضبي ، بغية الملتمس، ١٣١.

(٦) الحميدي ، جذوة المقتبس، ١ / ١١٥ . الضبي ، بغية الملتمس ، ١٣١.

(٧) المراكشي، عبد الواحد بن علي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبطه، وصححه، وعلق حواشيه، وأنشأ مقدمته، محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي ، الطبعة الأولى، القاهرة ، مطبعة الاستقامة ١٩٤٩ ، ٢٩ .

(٨) ابن سعيد الأندلسي ، نور الدين ، أبو الحسن، علي بن موسى ، المغرب في حلى المغرب، حققه وعلق عليه، الدكتور شوقي ضيف، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٠ ، ٢٠٣ .

(٩) نفسه ، ١ / ١٩٩ .

(١٠) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ١ / ١١٥ ، ١١٦. الضبي، بغية الملتمس، ١٣١. ابن بسام، أبو الحسن، علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق الدكتور إحسان عباس، القسم الرابع، المجلد الأول، بيروت، دار الثقافة ، ١٩٧٩ ، ٦٠.

(١١) نفسه ، ق ٤ ج١ / ٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمواريث، وقرن له بهذا قضاء إشبيلية في عهد الحكم المستنصر[١]، ولما فارق الحكم الحياة ضمن المنصور لصبح استقرار الحال، لأن هشاماً المؤيد كان صغيراً، وكان ذا همة وقوة ، فأمدته صبح بالأموال، وقام بدوره باستمالة العساكر، فأصبح يعلو أمره بالتدريج حتى استبد بالأمر [٢]، وكان ذلك ضمن خطة وضعها ثم نفذها، فقد بين ابن سعيد الأندلسي تسلسل تحالفات المنصور التي كانت تهدف إلى التخلص من الخصوم كلهم، يقول:«ومن المسهب أنه استعان أولاً بالمصحفي على الصقالبة، ثم بغالب على المصحفي، ثم بجعفر ممدوح ابن هانئ [٣] على غالب، ثم بعبد الرحمن بن هاشم التجيبي على جعفر، وعدا بنفسه على عبد الرحمن، وقال للدهر ، هل من مبارز؟»[٤]، وأما الصقالبة المتنفذون في الدولة فقد استطاع التخلص منهم، يقول ابن بسام : «وأول عروة قضى المنصور بن أبي عامر من عرى الملك جماعة الصقلب، استخرج منهم بأسباب المصادرة أموالاً جمة، استأثر بأكثرها، وتتبع لذلك كتابهم، وأسبابهم وقتاً بعد آخر، وتقسمتهم أيدي القدر، نفياً وقتلاً، صبراً وغلبة، سراً وعلانية حتى هلكوا عن آخرهم في أسرع مدة»[٥]، واستعاض المنصور عنهم بالبربر الذين خدموا سياسته في إخضاع قبائل الأندلس، يقول ابن خاقان : «إنه أذل قبائل الأندلس بإجازة البربر، وأخمل بهم أولئك الأعلام الأكابر، فإنه قاومهم بأضدادهم، واستكثر من أعدادهم حتى تغلبوا على الجمهور»[٦]، واستطاع المنصور التخلص من رجال دولة الحكم المستنصر، يقول ابن بسّام : «وأسقط رجال الحكم من سائر الطبقات، الكتاب والعمال والقضاة والحكام وأصحاب السيوف والأقلام، ومزقهم، وأقام بإزائهم من تخريج واصطناعة رجالاً سدوا مكانهم، ومحو ذكرهم، أعانوه على أمره »[٧].

ومن مظاهر استبداد المنصور بالسلطة، العداوة بينه وبين صبح، يقول ابن بسام : «قال ابن حيان أول ذلك الوحشة الحادثة بين المنصور بن أبي عامر وبين الخليفة هشام، ووالدته صبح، والذي أثارها أسباب الحسد، ودواعي المنافسة بين أهل القصر الهشامي والعامري»[٨]، وبناؤه مدينة الزاهرة، يقول ابن خاقان :

---

(١) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق٤ ج١ / ٦٠.

(٢) الحميدي، جذوة المقتبس ، ١ / ١١٦. الضبي ، بغية الملتمس ، ١٣١. ابن الأثير ، أبو الحسن ، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، عني بمراجعة أصوله والتعليق عليه، نخبة من العلماء، الجزء السابع، الطبعة السادسة، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٦، ٨٣. المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ٣٠ .

(٣) هو محمد بن هانئ بن محمد بن سعدون الأزدي الأندلسي، من أهل إلبيرة، ونشأ بقرطبة، يكنى أبا القاسم، وكان أكثر تأدبه بقرطبة. (ابن الأبار، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، التكملة لكتاب الصلة، عني بنشره ، وصححه، ووقف على طبعه، عزت العطاري الحسيني، ج١، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ص ١٠٣، رقم ٣٥٠).

(٤) ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، ١ / ٢٠٢. ابن عذاري، محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة، ج .س كولان، إ. ليفي بروفنسال، الجزء الثاني ، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الثقافة ، ١٩٨٣ ، ٢٥٩ – ٢٨٥ .

(٥) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق٤ ج١ / ٦١. ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب ، ١ / ٢٠٠.

(٦) ابن خاقان ، أبو نصر، الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة، الطبعة الأولى ، عمان ، دار عمار، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣ ، ٣٨٩ .

(٧) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق٤ ج١ / ٦١ .

(٨) نفسه ، ق٤ ج١ / ٧١، ابن سعيد الأندلسي ، المغرب في حلى المغرب، ١ /٢٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«وفي سنة ثمان وستين وثلاثمائة أمر المنصور بن أبي عامر ببناء الزاهرة، وذلك عندما استفحل أمره، واتقد جمره، وظهر استيداده، وكثر حساده وأنداده، وخاف على نفسه في الدخول إلى قصر السلطان»[١] وانتقاله إليها، يقول ابن خاقان : «وفي سنة سبعين وثلاثمائة انتقل إليها ونزلها بخاصته وعامته، وشحنها بجميع أسلحته وأمواله وأمتعته، واتخذ فيها الدواوين[٢] ومحاصرته الخليفة وأمه، يقول ابن خاقان : «وعطل قصر الخليفة من جميعه، وصيّره بمعزل من سامعه ومطيعه، وسد باب قصره عليه في خبر ألا يصل إليه، وجعل فيه ثقة من صنائعه يضبط القصر، ويبسط فيه النهي والأمر» [٣]، وقراره بإلغاء الخلافة، وقيامه بسلسلة إجراءات إدارية واسعة، يقول ابن عذارى المراكشي :« وفي سنة ٣٨١ هـ رشح المنصور ولده عبد الملك للولاية، وقدم أخاه عبد الرحمن للوزارة، وترك اسم الحجابة، واقتصر على التسمي بالمنصور» [٤].

وكان المنصور متقد الذكاء، والدليل قصة الجوهري الذي طارت حدأة بصرة جواهره حين كان يستحم في النهر، مما سبب حرجاً ومضايقة كبرى له، فالتجأ إلى المنصور الذي استجوبه، فطرح سؤالاً عليه عن الجهة التي ذهب الطائر فيها، فاستدعى مشايخ الرملة، وسأل عمن تغير حاله دون سابق تدرج، فذكروا بعد مناقشة اسم فلاح، مما اضطر المنصور أن يستدعيه، فاعترف، وأعاد المال إلى التاجر[٥].

وكان المنصور ذا همة ونية في الجهاد، مواصلاً لغزو الروم[٦] ، وكان عدد غزواته سبعاً وخمسين غزوة، باشرها كلها بنفسه [٧]، وتوفي في طريق الغزو في أقصى الثغور بمدينة سالم سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة [٨] .

---

(١) ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، ٣٩٢ .

(٢) نفسه ، ٣٩٣ .

(٣) نفسه ، ٣٩٤ .

(٤) ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب ، ٢ / ٢٩٣ .

(٥) نفسه ، ٢ / ٣٩١ ، ٣٩٢ . ابن عاصم، أبو يحيى ، محمد بن عاصم الغرناطي، جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، تحقيق، الدكتور صلاح جرّار، الجزء الأول، عمان ، دار البشير ، ١٩٨٩، ٢٨٧ - ٢٨٩ .

(٦) الحميدي، جذوة المقتبس، ١ / ١١٦. الضبي ، بغية الملتمس ، ١٣١ .

(٧) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ٢ / ٣٠١ .

(٨) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ١ / ١١٦ . الضبي، بغية الملتمس، ١٣٢. المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

عناية المنصور بن أبي عامر
بالشعر والشعراء من خلال ديوان العطاء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ - أصل كلمة ديوان

اختلف الباحثون في أصل كلمة «ديوان» وتطورها، وقد تحدث أبو البقاء الكفوي في كتابه الكليات عن الديوان، فقال :« وهو مجمع الصحف والكتب، وكان يطلق في الأول على كتاب يجمع فيه أسامي الجيش، وأهل العطية من بيت المال ... ثم نقل عنه إلى جمع المسائل في الصحف والكراريس» [١]، وقد عرفه الماوردي في كتاب الأحكام السلطانية، بقوله :«الديوان موضع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال» [٢]، ويدل هذا التعريف على أن الديوان دائرة تشمل ما يتصل بشؤون الموظفين والمال، وقد أفاض ابن خلدون في تعريف الديوان، فقال : «اعلم أن هذه الوظيفة من الوظائف الضرورية للملك، وهي القيام على أعمال الجبايات، وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج ، وإحصاء العساكر بأسمائهم، وتقدير أرزاقهم، وصرف أعطياتهم في إبانها، والرجوع في ذلك إلى القوانين التي يرتبها قومة تلك الأعمال وقهارمة الدولة ، وهي كلها مسطورة في كتاب شاهد بتفاصيل ذلك في الدخل والخرج مبني على جزء كبير فيه الحساب، لا يقوم به إلا المهرة من أهل تلك الأعمال، وتسمى ذلك الكتاب بالديوان، وكذلك مكان جلوس العمال المباشرين لها » [٣].

يتضح مما سبق، أن الديوان يطلق على المكان بالإضافة إلى أن الغرض منه ضبط إيرادات الدولة ونفقاتها، وتقييد أسماء مستخدميها، وصرف رواتبهم في أوانها، وكذلك فإن القائمين على الديوان هم من المختصين، ويطلق الديوان أيضاً على المكان الذي يقيم المستخدمون فيه .

وكان الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أول من دون الدواوين في الإسلام، وقد نص الطبري على ذلك في تاريخه، فقال : «هو أول من دوّن للناس في الاسلام الدواوين» [٤]، وقد بين الماوردي أن السبب الذي من أجله وضع سيدنا عمر – رضي الله عنه – الديوان، فقال: «إن أبا هريرة قدم

---

(١) الكفوي ، أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، نقحه، الدكتور عدنان الشاويش، ومحمد المصري، الطبعة الثانية، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٨٢ ، ٩٨ .

(٢) الماوردي، أبو الحسن ، علي بن محمد بن حبيب، البصري، البغدادي ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٠ ، ١٩٩ .

(٣) ابن خلدون ، ابو زيد ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، المقدمة ، الطبعة الرابعة، بيروت، دار الكتب العلمية ، ١٩٧٨ ، ٢٤٣ .

(٤) الطبري ، ابو جعفر، محمد بن جرير، تاريخ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، الجزء الثاني ، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨، ٥٧٠ . الجهشياري، أبو عبد الله، محمد بن عبدوس، كتاب الوزراء والكتاب، حققه، ووضع فهارسه، مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، الطبعة الأولى ، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٨٠ ، ١٦ . الماوردي، الأحكام السلطانية ، ٩٩ . الكفوي ، الكليات ، ٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليه بمال وفير من البحرين، فقال له عمر، ماذا جئت به؟، فقال : خمسمائة ألف درهم، فاستكثره عمر، فقال له : أتدري ما تقول ؟!، قال : نعم، مائة ألف خمس مرات، فقال عمر : أطيب هو؟، فقال : لا أدري، فصعد عمر المنبر، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال : أيها الناس، قد جاءنا مال وفير، فإن شئتم كلناكم كيلاً، وإن شئتم عددنا لكم عداً»[١]، وكان لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه – دوره في إرساء الدواوين والعطاء، وعندما استشاره عمر بن الخطاب، رد عليه : «تقسم كل سنة ما اجتمع اليك من مال، ولا تمسك منه شيئاً» [٢]، وبين الطبري الطريقة التي اعتمدها سيدنا عمر في توزيع العطاء ، فقال : «وكتب الناس على قبائلهم ، وفرض لهم العطاء» [٣].

ب - صورة العطاء في الأندلس

واستمر العمل بأسلوب الديوان عبر أنظمة الحكم المختلفة التي تعاقبت على إدارة شؤون الدولة العربية الإسلامية حتى الوصول إلى الأندلس، وبالذات زمن المنصور بن أبي عامر، فقد نظم الديوان في عهده بمفهومه العام، وهو خارج عن نطاق الدراسة، ونظم فرعاً خاصاً من فروع الديوان هو ديوان زمام الشعراء الذي يختص بتقسيم العطاء على الشعراء، وهذا الفرع هو أحد التنظيمات المهمة في الهيكل الإداري الإسلامي، فهو مرتبط بتكامل أركان الدولة الإسلامية، إذ كان دوره منذ القديم دور الجهاز الإعلامي للدولة، لذا، فإنه كان يرصد له مبالغ طائلة من موازنة الدولة، إذ كان الشعراء يغتنمون الفرص للاتصال بالحاكم ومدحه، مع رسم الصورة المثلى للدولة، وقد روى ابن حيان القرطبي خبراً عن الأمير محمد، يقول فيه : «كان عباس بن فرناس يصنع للأمير محمد قطعاً من رقيق الأشعار تنتظم بمدحه، وتصوغ قيانه فيها الألحان، فيغنينه بها، فيجزل عليها صلته منها أربعة أبيات كتبها بالذهب على تفاحة محجولة، رفع بها إليه، حيث قال :

تُفّاحَـةٌ مُصْفَرَّةُ البَعْـضِ ... بخَوْفِها مـن أَلَـمِ الْعَضِّ

أَمْنَتُـها ذاك وكَتَّبْـتُـهـا ... حُسْناً بذا من ذَهَبٍ مَحْضِ

وَقُلْـتُ فيها الْحَقَّ من بعدِ ذا ... وما لِقَوْلِ الحقِّ من نَقْضِ

مُحَمَّـدٌ أَكْـرَمُ مُسْتَخْلَفٍ ... من خُلَفاءِ الله في الأَرضِ[٤]

(١) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ١٩٩ .

(٢) البلاذري ، أبو العباس ، أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان ، حققه وعلق على حواشيه، وأعد فهارسه، وقدم له ، الدكتور عبد الله أنيس الطباع، والدكتور عمر أنيس الطباع، بيروت ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، ١٩٨٧، ٦٣١ ، ٦٣٢ . الطبري ، تاريخ الأمم والملوك، ٢/٥٧٠ . الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ١٩٩ .

(٣) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ٢ / ٥٧٠ .

(٤) ابن حيان القرطبي ، حيان بن خلف بن حسين ، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، حققه ، وقدم له، وعلق عليه، الدكتور محمود علي مكي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٣م، ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول المصنف نفسه عن موقف الأمير محمد من ذلك، : «قال : فاستملح الأمير التفاحة، واستحسن الأبيات، فأمر أن يغنى بها، وأمر لعباس بأربعمائة دينار بعددهاصلة، وقال : لو زادنا لزدناه»[١].

وسجل الخليفة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد اهتماماً عظيماً بالشعراء، إذ يقول المصنف نفسه : «فقابلت للخليفة الناصر لدين الله بفضل ما أتاه أسباب من السعادة، وتطابقت فضائلها لديه باجتماع حلبة من فحول الشعراء أمراء الكلام فيها، وتناغيهم في مديح الناصر لدين الله داخلها، استثارة لجوده، وتذرعاً إلى تكريمه، إذ كان له إليهم ميل وله ... كلف ما بدعوا في مديحه، وافتنوا في تقريظه، وتوسعوا في ذكر عدالة سيرته، وسماحة كفه، وشجاعة قلبه، وجزالة رأيه، وثقوب فهمه، ونفوذ عزمه ... ، فأبدعوا فيما تناولوه به من ذلك بفضل اقتدارهم، ومكانهم من صناعتهم، وكسوا دولته الغراء بأشعارهم المنقولة عنهم أوضاحاً حجولاً زادتها حسناً وبهاءً، وكان المقدمون لديه من طبقتهم عدة خناذيذ» [٢].

واستقدم عبد الرحمن الناصر الشعراء حين حضر قسطنطين ومعه الوفد، وكان منذر بن سعيد [٣] من الشعراء الذين قالوا في هذه المناسبة، يقول ياقوت :« وكان سبب اتصاله بالناصر ماظهر من بلاغته يوم الاحتفال بدخول رسول قسطنطين بن ليون صاحب قسطنطينية على الناصر موفداً إليه مع وفود سائر ملوك الإفرنجة، وذلك أن الناصر جلس للقاء الوفود بقصر قرطبة، فلما تكامل المجلس، ودخل عليه الوفود، ورحب بهم، أحب أن يقوم الخطباء، والشعراء بين يديه للتنويه بفخامة الخليفة، وماتهيأ من توطيد الخلافة في أيامه» [٤].

واهتم الحكم المستنصر بالشعراء أشد الاهتمام، فقد استقبل ابن الأزْرَق، قال ابن الفرضي في ذلك: «من أهل مصر يكنى أبا بكر، ويعرف بابن الأزرَق، خرج من مصر سنة ثلاثٍ وأربعين وثلاثمائة، وصار إلى القيروان، فامتحن بها مع الشيعة، وأقام محبوساً بالمهدية معتقلاً في دار البحر ثلاثة أعوام وسبعة أشهر، ووصل إلى الأندلس سنة تسع واربعين، فأمر المستنصر بالله إنزاله، وتوسع له في العطاء،

(١) ابن حيان، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، ٢٨٥.

(٢) ابن حيان القرطبي، حيان بن خلف بن حسين ، المقتبس ، اعتنى بنشره ب شالميتا، بالتعاون لضبطه وتحقيقه مع ف كورنيطي، و م. صبح وغيرهما، الجزء الخامس ، مدريد، المعهد الإسباني العربي للثقافة ، ١٩٧٩، ٤٠ ، ٤١ .

(٣) منذر بن سعيد القاضي أبو الحكم يعرف بالبلوطي، منسوب إلى موضع هناك قريب من قرطبة، يقال له : فحص بلوط، ولي قضاء الجماعة بقرطبة في حياة الحكم المستنصر بالله، وكان عالماً، فقيهاً، وأديباً بليغاً، وخطيباً على المنابر وفي المحافل ، مصقعاً . الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٢ / ٥٥٥ .

(٤) ياقوت بن عبد الله، أبو عبد الله، شهاب الدين، الرومي، الحموي ، معجم الأدباء، الجزء ١٩، الطبعة الثالثة ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٨٠، ١٧٤، ١٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأثبته في ديوان قريش» [١]، وذكر ياقوت في معجم الأدباء أن الحكم المستنصر استضاف القالي، فقال : وكان الحكم قبل ولايته الأمور، وبعد أن صارت إليه يبعثه على التأليف، وينشطه بواسع العطاء، ويشرح صدره بالإجزال في الإكرام، وكانوا يسمونه بالبغدادي لكثرة مقامه، ووصوله اليهم منها» [٢]، وكان الشعراء ينشدون أمام الحكم المستنصرفي الأعياد، وكأنها سنة ثابتة، ففي شوال سنة ستين وثلاثمائة ليلة ترقب القمر مساء الخميس التاسع والعشرين في قصر قرطبة أنشد الشعراء، وقال الخطباء [٣]، وتعرض الشعراء أيضاً في قصائدهم لمرض الخليفة الحكم المستنصر، وشفائه منه[٤].

جـ - المنصور بن أبي عامر، ورعايته للشعراء

وإذا وصلنا إلى المنصور، فإننا نرى أنه بلغ غاية بعيدة في رعاية الشعراء، وما إنشاؤه ديواناً لهم إلا دليل على صدق هذه الرعاية، يقول عبد الواحد المراكشي في سياق ذكر المنصور : «وكان محباً للعلوم، مؤثراً للأدب، مفرطاً في إكرام من ينسب إلى شيء من ذلك، ويفد عليه متوسلاً به، بحسب حظه منه، وطلبه له، ومشاركته فيه» [٥] ويقول الشقندي في رسالته عن فضل الأندلس :« وقد قيل فيه من الأمداح ، وألف له من الكتب، ما سمعت وعلمت، حتى قصد من بغداد» [٦]. وتحدث الحميدي عن ديوان الشعراء في زمن المنصور، فقال : «وكان للشعراء في أيام المنصور بن أبي عامر ديوان يرزقون منه على مراتبهم، ولا يخلون بالخدمة بالشعر في مظانها وسعي به أبي أحمد بن درّاج القسطلي إلى المنصور، وأنه منتحل سارق لا يستحق أن يثبت في ديوان العطاء»[٧]، وأضاف المصنف نفسه في ترجمته لعبد الرحمن بن أبي الفهد : «وكانت مرتبته في الشعراء أيام المنصور بن أبي عامر دون مرتبة عبادة -في الزمام، فاعجب» [٨]، وحدد المصنف نفسه اسم القائم على الديوان، فقال : «وكان عبد الله بن محمد بن مسلمة تخرج صلات الشعراء، ورسومهم على يديه، وكانت تجري أمورهم على ترتيبه» [٩]، ومما يدعم صحة ما ذهب الحميدي اليه من وجود ديوان العطاء، ما أورده لسان الدين بن الخطيب في كتابه الإحاطة، قائلا، إذ

٤٣٢٦٩٠

(١) ابن الفرضي، أبو الوليد، عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ، تاريخ علماء الأندلس، الجزء الثاني، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦، ١١٦ .

(٢) ياقوت ، معجم الادباء ، ٧ / ٣٢ .

(٣) ابن حيان ، حيان بن خلف بن حسين، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، الطبعة الأولى، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٨٣ ، ٥٩ ، ٨١ ، ٩٣ ، ١١٩ ، ١٣٦ ، ١٥٥ ، ١٨٤ ، ٢٢٩ .

(٤) نفسه ، ٢٠٤ - ٢٠٦ ، ٢١١ - ٢١٥ .

(٥) المراكشي ، المعجب ، ٣٠ ، ٣١ .

(٦) ابن حزم، ابو محمد، علي بن احمد بن سعيد، وابن سعيد، والشقندي ، فضائل الأندلس وأهلها، نشرها ، وقدم لها الدكتور صلاح الدين المنجد،الطبعة الأولى ، بيروت، دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٨، ٣١.

(٧) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ١ / ١٥٩ . الضبي، بغية الملتمس ، ٣١ ، ١٧٧ .

(٨) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٢ / ٤٣٩ .

(٩) نفسه ، ١ / ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان يصحب المنصور في هذه الغزوة من الشعراء المرتزقين بديوانه من يذكر فضلاً عن ساير الأصناف على ندارة هذا الصنف من الخدام» [١]، وقرر المصنف نفسه حقيقة كبرى إذ يقول عن شعراء ا لمنصور : «وهم أكثر من أن يحصوا»[٢].

وأورد ابن سعيد الأندلسي الرواية التالية عن المنصور : «فوصل إلى مدينة سالم، وأيقن بالموت، فقال: «إن زمامي يشتمل على عشرين ألف مرتزق، ما أصبح منهم أسوأ حالاً مني» [٣]، وعلق المقري على العدد الذي أورده المنصور للمنتفعين بديوانه، فقال : «ولعله يعني من حضر تلك الغزاة، وإلا فعساكر الأندلس، ذلك الزمان أكثر من ذلك العدد» [٤].

وساق ابن بسام في كتابه الذخيرة في سياق حديثه عن ديوان الندماء الخبر التالي عن صاعد بن الحسن اللغوي : «فأمر له المنصور بألف دينار، ومائة ثوب ما بين غلائل وطيقان وعمائم، وأجرى عليه المراتب من ذلك اليوم ثلاثين ديناراً ، وألحق في ديوان الندماء مع زيادة الله بن مضر الطبني ، وابن العريف، وابن التياني»[٥]، وقد أورد آنخل جنثالث بالنثيا في كتابه تاريخ الفكر الأندلسي تعليقاً لربيرا عن ديوان الندماء ، يقول فيه : «إن ديوان الندماء مهمته ترتيب الشعراء طبقات، وبذل العطاء لهم حسب مراتبهم»[٦].

يستنتج مما سبق أن ولاة الأمور في العالم العربي الإسلامي كانوا ينفقون على الشعراء من ديوان العطاء بسخاء كبير، ودون أن يكون هناك ضابط لتصرفاتهم المالية، مع أن ديوان العطاء كان في الأساس حين وضعه عمر بن الخطاب ينفق منه حسب المصارف التي حددتها الشريعة الاسلامية [٧]، ولكن في فترة لاحقة آثر الحكام أن يتصرفوا في الأموال كما يحلو لهم، وما يحقق مصالحهم الذاتية بما يكفل بقاءهم في السلطة، لأن الشعر في تلك الأزمنة كان وسيلة الإعلام الأولى.

---

(١) لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبد الله، الإحاطة في أخبار غرناطة، حقق نصه ، ووضع مقدمته وحواشيه، محمد عبد الله عنان، الجزء الثالث ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مكتبة الخانجي، ١٩٧٤ ، ١٠٦ .

(٢) نفسه ، ٣ / ١٠٦ .

(٣) ابن سعيد الأندلسي ، المغرب في حلى المغرب ، ١ / ٢٠٢ .

(٤) المقري ، أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، حققه، ووضع فهارسه، الأستاذ يوسف الشيخ محمد البقاعي، الجزء الرابع ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٨٦ ، ٩٣ .

(٥) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق٤ ج١ / ١٩ . المقري، نفح الطيب ، ٤ / ٨٢ .

(٦) آنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي ، نقله عن الاسبانية ، حسين مؤنس، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٥ ، ٦٥ .

(٧) التوبة : ٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتبين من إنشاء المنصور ديوان العطاء أنه قد خصص أموالاً لشعراء دولته، مما يدل على رعايته وتقريبه لهم، وكان اهتمامه بالشعراء يعود إلى ثلاثة أسباب، أولها : أن المنصور كانت عنده مبررات تقريب الشعراء، فقد قال في معرض رده العنيف على المتكلم في شأن الرمادي : «والعجب من قوم يقولون الابتعاد من الشعراء أولى من الاقتراب، نعم ذلك لمن ليس له مفاخر يريد تخليدها، ولا أياد يرغب في نشرها» [١]. ويفهم من قول المنصور، أنه كان ينظر إلى الشعر أنه يخلد أعمالاً رائعة للشخصية التاريخية، وأنه قادر على نشر فضائل يؤمن الممدوح بها، وعلى كلا الحالين، فإن التاريخ يحفظ أعماله من الزوال .

ثانيها : الظروف والملابسات التي أدّت إلى وصول المنصورإلى السلطة، فقد كانت تتطلب منه أن يسخر الوسيلة الإعلامية الوحيدة – وهي الشعر – ، لإقناع الناس بأهليته لتولي زمام الأمور.

ثالثها : أن المنصور كان شاعراً يقرض الشعر، يقول ابن خاقان : «وكان أديباً محسناً، وعالماً متفنناً»[٢]، وقد ذكر صاحب الدرر النثيرة في أخبار الجزيرة صراحة أن المنصور كان شاعراً[٣]، وخلف المنصور مجموعة من القصائد والمقطعات الشعرية التي تثبت شاعريته، وكان الفخر أبرز الموضوعات الشعرية التي قال فيها ، ومن ذلك قوله :

رَمَيْتُ بِنَفْسي هولَ كُلِّ كريهةٍ ... وخاطرتُ والحرُّ الكريمُ مخاطرُ
وما صاحبي إلا جنان مُشَيَّعٌ ... وأسْمَرُ خَطِّيٌّ وأبيضُ باتِرُ
وإنّي لزَجّاءُ الجيوش إلى الوغى ... أسودٌ تلاقيها اسودٌ خوادِرُ
فَسُدْتُ بنفسي أهلَ كُلِّ سيادَةٍ ... وكاثرتُ حتى لم أجِدْ من أكاثِرُ
وما شِدْتُ بنياناً ولكن زيادَةً ... على مابَنى عبد المليك وعامِرُ
رَفَعْنا المعالي بالعوالي حديثَةً ... وأورثناها في القديم معافِرُ[٤]

فالنص السابق يكشف عن شخصية المنصور في فترة توليه الحكم، إذ كان معتداً بنفسه ونسبه،

---

(١) المقري ، نفح الطيب ، ٤ / ٣٤١ .

(٢) ابن خاقان ، مطمح الأنفس، ٣٩٠ . ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب ، ٢ / ٢٧٥ .

(٣) مؤلف مجهول ، الدرر النثيرة في أخبار الجزيرة ، رقم المكروفيلم، ٤٩٥٩ ، صورة عن مخطوط في الخزانة الملكية بالرباط، ورقة ٤٨ .

(٤)ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، ٣٨٩ . ابن الأبار ، الحلة السيراء، ١ / ٢٧٤ ، ٢٧٥ .
ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، ١ / ٢٠٣ ، المقري ، نفح الطيب ١ / ٣٨٣ ، ٣٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان يغلب على شخصيته الطابع العسكري، وهو يعتمد القوة ممثلة بالشجاعة الخارقة، تسندها أدوات الحرب في ذلك الزمان كالسيف والرمح، مما أفضى إلى تحقيق المجد الذي تغنى المنصور به، وقد عبر ابن خلدون عن العلاقة الجدلية بين الجندية والمال في تلك العصور، فقال : اعلم أن مبنى الملك على أساسين لابد منهما، فالأول، الشوكة والعصبية، وهو المعبر عنه بالجند، والثاني : المال الذي هو قوام أولئك الجند، وإقامة ما يحتاج إليه الملك من الأحوال» [١].

وقد رسخ المنصور قيمتي الشجاعة والنسب في قوله :

ألمْ تَرَني بِعْتُ الإقامة بالسُّرى ... ولين الخشايا بالخُيول الضَّوامِرِ
تَبَدَّلْتُ بَعْدَ الزعفران، وطيبه ... صدى الدِّرع من مستحكمات المسامِرِ
أروني فتىً يحمي حماتي، وموقفي ... إذا اشْتَجَرَ الأقرانُ بين العساكِرِ
أنا الحاجبُ المنصورُ من آل عامِرٍ ... بسيفي أُقُدُّ الهامَ تحت المغافِرِ
تلادُ أمير المؤمنين وعبدُهُ ... وناصحهُ المشهودُ يوم المفاخِرِ
فلا تحسبوا أنسي شُغِلْتُ بغيركم ... ولكن عهدتُ الله في قتل كافِرِ [٢]

وكانت تحكم المنصور فكرة التوسع ، ويمكن الاستدلال على ذلك من قوله :

منعَ العينَ أن تذوق المناما ... حبُّها أن ترى الصَّفا -والمُقاما
لي ديون بالشرق عند أناسٍ ... قد أحلوا بالْمَشْعَرَيْنِ الحرَاما
إن قَضَوْها نالوا الأماني وإلا ... جَعلوا وزنَها رقاباً وهاما
عن قريب ترى خيولَ هِشامٍ ... يبلغُ النيلَ خطوها والشآما [٣]

يفهم من النص السابق أن المنصور يكشف عن حبه في الانتقام من أناس استباحوا حرمة المشعرين، وبين أن وفاءهم كفيل بأن يحقن دماءهم ولكن غير ذلك يدفعه إلى الاحتلال العسكري، مما يدعم ما ذهبت إليه أغلب المصادر بأن المنصور كان يمني نفسه بملك مصر والشام، وكانت هذه المصادر تورد الأبيات السالفة للتدليل على ذلك [٤]، ويدعم ابن الأبار ما أوردته أغلب المصادر، بقوله : «يتوعد صاحب مصر حين اشتد سلطانه، وتوالى ظفره» [٥].

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ٢٩٤ .

(٢) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ١ / ٢٧٦ . المؤلف مجهول ، الدرر الثيرة في أخبار الجزيرة ، ورقة ٤٩ .

(٣) ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، ٣٩٠ . ابن الأبار، الحلة السيراء ، ١ / ٢٧٥ . المقري، نفح الطيب ١ / ٣٩٠ .

(٤) ابن خاقان ، مطمح الأنفس، ٣٩٠ . ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٢ / ٢٧٥ المقري، نفح الطيب ، ١ / ٣٩٠ .

(٥) ابن الأبار، الحلة السيراء ، ١ / ٢٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لذا، فإنني أخالف الباحث سعيد أعراب حين أسقط ما في نفسه على النص، وأستدل منه بأن المنصور كان يرغب في إقامة دولة خلافة تضم المشرق والمغرب [١]، وأستبعد ذلك لأن وصول المنصور إلى السلطة كان بطريقة غير شرعية، ولأن الأصل في الوحدة الإسلامية قيامها على تحكيم كتاب الله وسنة نبيه عن طريق الحوار ثم الاتفاق ثم التنفيذ، وكان الشعراء يدركون طموح المنصور في التوسع القائم على القوة العسكرية، وصور ذلك أحمد بن درّاج القسطلي أقوى تصوير، بقوله :

فَعَرِّج على الحَجِّ بالمسلمينَ ... بِعُقْبِ اصطلامِكَ حَجَّ النَّصارى

فَقَدْ نَشَرَتْ مِصر والقيروانُ ... وَقَدَّتْ عُيونُ الحِجازِ انتظارا [٢]

وبالإضافة إلى ما قاله المنصور في الفخر، فقد ترك شعراً في الفكاهة والتندر، فمن ذلك أنه بعث هدايا من سبايا المعركة لأحمد بن عبد الملك بن شهيد، ومعها رسالة شعرية ، يقول فيها :

قد بعثنا بها كشمسِ النهارِ ... في ثلاثٍ من المها أبكارِ

وامْتَحَنّا بعُذرةِ الغيد إن كنـ ... ـتَ تَوَخّى بوادِرِ الإعذارِ

فاتَّئِدْ واجْتَهِدْ فإنك شيخٌ ... قد جَلا الليلُ عن بياضِ النَّهارِ

صانَكَ اللهُ من كَلالِكَ فيها ... فمنَ العارِ كَلَّةُ المسمارِ [٣]

مما تقدم يظهر أن المنصور قد قال الشعر من قبيل الفخر بما يعزز سلطته، ويقوي مركزه، واستخدم الشعر وسيلة لتهديد أعدائه، ولم ينس حظه من الفكاهة مع المقربين إليه، مما يعكس طبيعة حاكم قوي مع خصومه ودود مع أصدقائه يعاملهم بالرفق واللين.

وكان المنصور يعقد المجالس الأدبية في قصره، فقد أورد صاحب الدرر النثيرة في أخبار الجزيرة النص التالي : «وكان الشعراء يقصدون بابه، ويمدحونه فيعطيهم الجوائز السنية، والصلات العظيمة، حتى إنه لم يمدح قط أحداً من الملوك بمثل ما مدح به من الأشعار والخطب والرسائل، وما صبر أحد على العطاء والصلات كصبره مع البر لأهل الأدب» [٤]، وكشف الأستاذ أحمد أمين عن سبب تقديم المنصور العطاء الوفير، بأنه لتحويل أنظار الشعب عن الأمويين، وللإعلاء من شأنه [٥]، وأؤيد ما ذهب إليه الأستاذ أحمد أمين، ولكنني أضيف أن المنصور قد بالغ في العطاء استمراراً لتقليد قديم اتبعه الحكام، وكان غرضه من العطاء تثبيت شرعية وجوده في السلطة.

---

(١) الأستاذ سعيد أعراب ، المنصور بن أبي عامر، دعوة الحق ، الرباط ، العدد الثاني ، ٢٢ ابريل، ١٩٨١ ، شهرية ، ١٨ – ٢٣ .

(٢) ابن درّاج، أبو عمر، أحمد بن محمد، ديوانه ، حققه، وعلق عليه، وقدم له، الدكتور محمود علي مكي، الطبعة الأولى ، دمشق، منشورات المكتب الاسلامي ، ١٩٦١، ٤٦٣ .

(٣) ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، ٣٩٠ . ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ،ق٤ ج١ / ٢٩ . المقري ، نفح الطيب ، ٢ / ١٢٠ .

(٤) مؤلف مجهول ، الدرر النثيرة في أخبار الجزيرة ، ورقة ٤٨ .

(٥) أحمد أمين ، ظهر الإسلام، الجزء الثالث ، الطبعة الخامسة ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٥٣ ، ١٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأبرز مثال على تلك المجالس التي كانت تعقد بحضرة المنصور ما جرى لصاعد اللغوي من امتحانات متتالية، أثبت جدارته فيها في مجال الفن الشعريّ وغيره من الفنون [١]، فقد تعرض – في البداية – صاعد لتهمة السرّقة من الشاعر ابن العريف وروى ابن حزم، فقال « أخبرني أبو خالد التراس أن المنصور محمد بن أبي عامر، أبا عامر صاحب الأندلس جيء إليه بوردة في مجلس من مجالس أنسه أول ظهور الورد، فقال في الوقت صاعد بن الحسن اللغوي، وكان حاضراً يخاطبه فيها :

أتتْكَ أبا عامرٍ وردةٌ ... يحاكي لك المسكَ أنفاسُها

كعَذْراء أبْصَرَها مُبْصِرُها ... فَغَطَّتْ بأكمامِها رأسَها[٢]

وأضاف أبو خالد التراس، فقال : «فاستحسن المنصور ما جاء به، وتابعه الحاضرون ، فحسده أبو القاسم بن العريف، وكان ممن حضر المجلس، فقال : هي لعباس بن الأحنف ، فناكره صاعد، فقام ابن العريف إلى منزله، ووضع أبياتاً ، وأثبتها في دفتر، وأتى بها قبل افتراق المجلس» [٣]، وأثار تصرف ابن العريف المنصور، فأراد أن يتثبت من الأمر، فعقد امتحاناً، وفر فيه المادة كلها، وقد روى ابن بسام : «فلما أصبح وجه عنه بمجلس حفل، وقد أعد طبقاً فيه سقائف من ضروب النواوير، وصنع على السقائف جواري ياسمين، وتحت السقائف بركة ماء حصاها اللؤلؤ، وكان في البركة حية تسبح ، فقال صاعد :

أبا عامرٍ هل غيرُ جدواك واكِفُ ... وهل غيرُ من عاداك في الأرض خائفُ

يسوقُ إليك الدهرُ كلَّ عجيبةٍ ... وأعجبُ ما يلقاهُ عندك واصِفُ

وشائعُ نَوْرٍ صاغَها هامرُ الحَيا ... عليها فمنها عَبْقَرٌ ورَفارِفُ

وما تناهى الحُسْنُ فيها تقابلت ... عليها بأنواع الملاهي الوَصائِفُ[٤]

وغفل صاعد عن منظر أعده المنصور، فلفت انتباهه إليه، وكان إلى ناحية سقيفة فيها جارية تجدف بمجاذف ذهب لم يرها صاعد فقال له المنصور : أجدت إلا أنك لم تصف هذه الجارية ، فقال :

---

(١) ابن بسّام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق٤ ج١ / ١٤ .

(٢) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق٤ ج١ / ١٤ ، ١٥ . الأزدي، علي بن ظافر، بدائع البدائه ، تحقيق، محمد أبو الفضل ابراهيم، الجزء الثالث، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠، ٧٠ . ياقوت، معجم الادباء، ١٠ / ١٨٤ ، ١٨٥ . المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ٣٥ ، ٣٦ ، المقري، نفح الطيب، ٤ / ٧٨ ، ٧٩ . الخفاجي ، أحمد بن محمد بن عمر، ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، تحقيق عبد الفتاح الحلو، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٩٦٧ ، ٤٦٤ .

(٣) الحميدي، جذوة المقتبس ، ١ / ٢٦٨ . ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق٤ ج١ / ١٧ ، ١٨ . الضبي، بغية الملتمس، ٣٠١ ، ٣٠٢. ياقوت ، معجم الادباء، ، ١٠ / ١٨٥ ، ١٨٦ . المقري، نفح الطيب، ٤ / ٧٩ ، ٨٠ .

(٤) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق٤ ج١ / ١٨ ، ياقوت ، معجم الأدباء، ١٠ / ١٨٨ ، المقري، نفح الطيب ، ٤ / ٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأعجبُ منها غادةٌ في سفينةٍ ... مُكَلَّلَةٌ تصبو إليها المهايفُ
إذا راعَها موجٌ من الماء تَتَّقي ... بسكانها ما أَنْذَرَتْهُ العَواصِفُ
متى كانت الحسناء رُبّان مركبٍ ... تُصَرِّفُ في يُمنى يديها المجاذِفُ
فلم تَرَ عيني في البلاد حديقةً ... تَنَقَّلُها في الرّاحتين المناصِفُ [١]

ولم تكن العلاقة بين شعراء الديوان أبداً على ما يرام، وخيرمثال على ذلك صاعد البغدادي، فقد شهد المجالس الأدبية التي كانت تعقد بحضرة المنصور، وكانت تلك المجالس ميداناً للتنافس بين الشعراء، فقد حدث صراع في أحد تلك المجالس بين ابن العريف وصاعد، يقول المقري : «وقد ذكر ابن سعيد أن ابن العريف النحوي دخل على المنصور بن أبي عامر، وعنده صاعد اللغوي ، فأنشده :

فالعامريـــة تزهـــى ... علـــى جميـــع المبـــاني
وأنـــت فيهـــا كسيـــفٍ ... قـــد حَلَّ فـــي غَمـــدانِ [٢]

ولم يلتزم صاعد الصمت إزاء تصرف ابن العريف، فقام ، وكان مناقضاً له ، فقال : «أسعد الله تعالى الحاجب الأجل، ومكن سلطانه، هذا الشعر الذي قاله قد أعده، وتروى فيه، أقدر أن أقول أحسن منه ارتجالاً، فقال له المنصور : قل، ليظهر صدق دعواك، فجعل يقول من غير فكرة كثيرة :

يـــا أيهـــا الحاجـــب المعـــ ... ـتلي علـــى كيـــوانِ
ومـــن بـــه قَـــد تناهـــى ... فخـــارُ كـــلِّ يمـــانِ
العـــامريَّةُ أضْحـــتْ ... كـجنـــةِ الـرضـــوانِ
فـــريـــدةٌ لفـــريـــدٍ ... مـــا بيـــن أهـــل الزمـــانِ [٣]

وعلق المنصور على الموقفين السابقين، فقال لابن العريف :«مالك فائدة في مناقضة من هذا ارتجاله، فكيف تكون رويته» [٤].

ولم تخل تلك المجالس من الضحك، وإشاعة جو الفرح، يقول ابن بسام : «ودخل يوماً صاعد على

(١) ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق٤ ج١ / ١٨ ، ١٩. ياقوت ، معجم الأدباء ، ١٠ / ١٨٩ ، ١٩٠ . المقري ، نفح الطيب ، ٤ / ٨١ .
(٢) المقري، نفح الطيب ، ٢ / ١١٧ .
(٣) نفسه ، ٢ / ١١٧ ، ١١٨ .
(٤) نفسه ، ٢ / ١١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنصور في يوم مطير، وعليه ثياب جدد، وخف طري، فمشى على حاشية الصهريج، لازدحام من حضر، فزلق ، وسقط في الماء ، فضحك المنصور، وأمر بإخراجه، وكاد البرد يأتي عليه، فلما نظر إليه أمر بخلع ثياب له، وأدنى مجلسه ، ثم قال له : يا أبا العلاء ، هل قلت في سقطتك شيئاً، فأطرق ، ثم قال :

شـــيئان كانـا فـي الزمـان غريبةً ضَرْط ابن وهب ثم زلقة صاعِدِ[1]

وكان أبو مروان الجزيري حاضراً، فتكلم موجهاً حديثه إلى صاعد، فقال له : يا أبا العلاء هلا قلت:

ســـروري بغُرَّتِكَ المُشْرِقَهْ وَدِعَةِ راحتِكَ المُغْدِقَهْ

ثانِيَ نَشْوانَ حتـــى هَوَيْتُ فـي لُجَّةِ البِرْكةِ المُطْبِقَهْ

لئـن ظـلّ عَبْدُك فيهـا الغريقَ فجـودُك مـن قبل ذا أغْرَقَهْ [2]

وأثنى المنصور على الجزيري، فقال : «لله درك يا أبا مروان، قسناك بأهل العراق، ففضلتهم ، فيمن تقاس بعد، فأنهض الجزيري للشرطة [3].

يتبين من هذه الحادثة، وما ترتب عليها جملة أمور ، منها : الغض من قدرة صاعد الفنية، واغتنام الفرصة من الجزيري لإظهار الولاء للمنصور مما كان له أطيب الأثر في نفسه، فكافأ الجزيري بأن أعطاه منصباً مهماً في الدولة، وأثبت التفوق له على شعراء بغداد من وجهة نظره الخاصة، وهم الذين تتطامن الجباه أمامهم.

وعلى أية حال، فإن صاعداً أثبت وجوده العلمي والأدبي، فقربة المنصور إليه، وكانت لقاءاتهما تتكرر في القصر وخارجه، يقول ابن بسّام : «وخرج المنصور مع صاعد يوماً إلى الزاهرة، فمد يده الى شيء من الترنجان، فبعث به ، ورماه إليه معرضاً أن يصفه ، فقال :

لم أدرِ قبل تُرُنْجان عبثتَ بِهِ أنَّ الزُّمُرُّد قضبـــان وأوراقُ

من طيبه سَرَق الأترجُّ نَكْهَتَهُ يا قوم حتى من الأشجار سُرّاقُ

كأنما الحاجِبُ المنصورُ عَلَّمَهُ فِعْلَ الجميلِ فطابتْ منه أخلاقُ

من ليسَ يُقْعِدُهُ من سُؤْدُدٍ قَدَمٌ ولا تقومُ له في ســوأةٍ ساقُ [4]

---

(١) ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق٤ ج١ / ٣٥ .

(٢) نفسه ، ق٤ ج ١ ، / ٣٥ ، ٣٦ .

(٣) نفسه ، ق٤ ج١ / ٣٦ .

(٤) نفسه ، ق٤ ج١ / ٢١ . المقري ، نفح الطيب ، ٤ / ٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مما تقدم يبدو أن المنصور كان يتثبت من الإشاعات ا لتي تدور حول شاعر من شعرائه بصدد قدرته الفنية، وكان لا يتحرج من عقد الامتحانات التي يضع مادتها بين أيدي الشعراء، مما يدل على صرامة المنصور في هذه القضية، وعدم محاباته أو مجاملته أحداً، لأن المسألة تتعلق بلسان الدولة وهم الشعراء، لذلك لم يسمح لأحد الناس أن يظهر في إعلام الدولة ما لم يكن كفيّا.

د - شعراء المنصور بن أبي عامر

وقبل الانتهاء من هذا الفصل، فإنني رأيت أن أثبت أسماء شعراء المنصور الذين نصت المصادر الأدبية أنهم كانوا شعراء ديوانه، فقد أورد لسان الدين بن الخطيب في كتاب الإحاطة أسماء مجموعة منهم، إذ قال: «والذي صح أنه حضر ذلك».

أحمد بن درّاج القَسْطَلِي[١].

أحمد بن عبد الملك بن شُهيد [٢].

---

(١) كان كاتباً من كتاب الإنشاء في أيام المنصور، وهو معدود في جملة العلماء، والمقدمين من الشعراء ، مات قريباً من سنة ٤٢٠ هـ . (الثعالبي ، أبو منصور ، عبد الملك النيسابوري ، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق ، الدكتور مفيد محمد قميحة، الجزء الثاني، ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣ ، ١١٩) (ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق الدكتور، إحسان عباس، الجزء الثاني ، الطبعة الثانية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٧م، ١٨٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦) (ابن حزم ، وابن سعيد، والشقندي، فضائل الاندلس وأهلها ، ٣٦) .

(جذوة المقتبس ، ١ / ١٥٨ - ١٦١) (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق١ ج١ / ٥٩ ، ٦٠) ابن بشكوال، أبو القاسم، خلف بن عبد الملك، الصلة، الجزء الأول، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦ ، ٤٠) (بغية الملتمس، ١٧٧ - ١٨١) (ابن دحية، عمر بن الحسن ، المطرب في أشعار أهل المغرب، حققه، مصطفى عوض الكريم، الخرطوم ، مطبعة مصر، ١٩٥٤ ، ١٤٦) (ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي الأندلسي، المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق، ابراهيم الأبياري، الطبعة الثانية، القاهرة ، دار الكتاب المصري، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٢ ، ١٧٥) (ابن خلكان ، أبو العباس، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ، وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان ، حققه الدكتور إحسان عباس، الجزء الأول ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٨ ، ١٣٥ - ١٣٩) (المغرب ، ٢ / ٦١) (ابن سعيد الأندلسي، نور الدين، أبو الحسن، علي بن موسى ، رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق الدكتور النعمان عبد المتعال القاضي، القاهرة ، مطابع الأهرام التجارية، ١٩٧٣ ، ١٠٤) (ابن سعيد الأندلسي، نور الدين ، أبو الحسن ، علي بن موسى ، المرقصات والمطربات، القاهرة ، دار حمد ومحيو، ١٩٧٣ ، ٧٨) (الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء ، أشرف على تحقيق الكتاب، وخرج أحاديثه، شعيب الأرناؤوط، الجزء السابع عشر، الطبعة الثانية ، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م، ٣٦٥) (الإحاطة، ٣/ ١٠٧) (نفح الطيب، ٤ / ١٧٣ ، ٥ / ٢٢٨) (حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله القسطنطني، الرومي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الجزء الخامس ، بيروت ، دار الفكر، ١٩٨٢ ، ٧٣) .

(٢) الصواب هو عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد، أبو مروان، ووالده أبو عامر، شيخ من شيوخ الوزراء في الدولة العامرية، من أهل الأدب والشعر، توفي سنة ٣٩٣ هـ .

(جذوة المقتبس ، ٢ / ٤٤٤) (الصلة ، ٢ / ٣٥٥ ، ٣٥٦) (بغية الملتمس ، ٣٧٤) ، (الحلة السيراء، ١ / ٢٣٩) (الإحاطة ، ١٠٧) (البيان المغرب، ٢ / ٣٠٠) (المغرب في حلى المغرب، ١ / ٢٠٣ ، ٢٠٤) (نفح الطيب ، ٢ / ١١٩، ١٢٠ ، ٤ / ٢٤٦) (كشف الظنون ، ٥ / ٦٢٤).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحمد بن عبد الوهاب ، أبو الفضل [١].

أحمد بن أبي غالب الرَصافي [٢].

أغلب بن سعيد [٣].

حسان بن مالك بن هاني، أبو عبيدة [٤].

حسين بن الوليد، ابن العَريف ، أبو القاسم [٥] .

زيادة الله بن علي بن حسن اليمني [٦].

سعيد بن عبد الله الشنْتَريني [٧] .

سعيد بن محمد القاضي [٨] .

ابن شهيد، أبو ا لوضاح [٩].

صاعد بن الحسن اللغوي ، أبو العلاء [١٠].

---

(١) (الاحاطة ، ٣ / ١٠٧) .

(٢) (نفسه ، ٣ / ١٠٧) .

(٣) (نفسه ، ٣ / ١٠٧) .

(٤) هو حسان بن مالك بن أبي عبده الوزير، من الأئمة في اللغة والأدب توفي سنة ٤١٦ .
(رسائل ابن حزم ، ١ / ٧٦) (جذوة المقتبس ، ١ / ٢٧٠ ، ٢٧١) (مطمح الأنفس ، ٢١١ ، ٢١٢) (الصلة ، ١ / ١٥٥) (بغية الملتمس، ٣٠٣) (نفح الطيب ، ٥ / ٩٠ ، ٩١) .

(٥) إمام في العربية، ومقدم في الشعر، وله في الأدب مؤلفات ، وكان في أيام المنصور، وممن يحضر مجالسه، توفي بطليطلة سنة ٣٩٠ هـ .
(تاريخ علماء الأندلس ، ١ / ١١٤ ، ١١٥) (جذوة المقتبس ، ١ / ٢٦٧) (بغية الملتمس ، ٣٠ ، ٣١) (معجم الأدباء، ١٠ / ١٨٣) (الإحاطة ، ٣/١٠٦) (الأصبهاني، محمد باقر الموسوي، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، تحقيق ، أسد الله اسماعيليان، الجزء الثالث، قم ، مكتبة اسماعليان، ١٣٩٠ هـ ، ٦٩) .

(٦) ولد سنة ٣٣٦ هـ ، وسكن قرطبة، كان أديبا، شاعراً ، مكثراً ، وقد ألف كتاب الحمام للمنصور، توفي سنة ٤١٥ هـ .
(جذوة المقتبس ، ١ / ٢٩٦) (الذخيرة ، ق١ ج١ / ٥٣٦) (الصلة ، ١ / ١٩٢) (بغية الملتمس ٣٤٣) (الإحاطة ، ٣ / ١٠٦)

(٧) (شاعر من شعراء المنصور ، (البيان المغرب ، ٢ / ٢٦٣ ، ٢٦٤) (الإحاطة ، ٣ / ١٠٧)

(٨) (نفسه ، ٣ / ١٠٧) .

(٩) (نفسه ، ٣ / ١٠٧) .

(١٠) هناك ظن أن أصله من ديار الموصل، وقد ورد من المشرق إلى الأندلس في حدود ٣٨٠ هـ، وهو من الشعراء المشارقة الذين اتصلوا بالمنصور، توفي بصقلية سنة ٤١٠ هـ .
(ابن حزم ، رسائله ، ٢ / ١٠٠ ، ١٨٢) (جذوة المقتبس ، ١ / ٣١٩) (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق٤ ج١ / ٨ وما بعدها) (الصلة ، ١ / ٢٣٧) (بغية الملتمس ، ٣٧٣) (معجم الأدباء ، ١١ / ٢٨١) (القفطي ، أبو الحسن، جمال الدين ، علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق، محمد أبو الفضل ابراهيم، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، القاهرة ، دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م ، ٨٥ – ٨٧) (وفيات الأعيان، ٢ / ٤٨٨ ، ٤٨٩) (البيان المغرب، ٢ / ٢٧٧) (الإحاطة ، ٣ / ١٠٦) (السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، الجزء الثاني، بيروت، المكتبة العصرية، – ١٩٨ ، ٧) (نفح الطيب ، ٢ / ٣٣٦ ، ٤ / ٧٦ – ٨٤) (حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ٥ / ٤٢١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طاهر بن محمد ، المُهَنَّد [١]

عبادة بن محمد بن ماء السماء [٢] .

عبد الرحمن بن أحمد [٣].

عبد الرحمن بن أبي الفهد الإلْبيري [٤] .

عبد العزيز بن الخطيب المحرود [٥] .

عبد الملك بن إدريس الجُزَيْري [٦] .

عبد الملك بن سهل [٧] .

علي بن محمد القرشي العباسي ، أبو الحسن [٨] .

---

(١) ولد ببغداد سنة ٣١٥ هـ، ودخل الأندلس سنة ٣٤٠ هـ وكان أديباً شاعراً ، مقدماً، ومن شعراء الدولة العامرية.
(تاريخ علماء الأندلس ، ١ / ٢٠٦ ، ٢٠٧) (جذوة المقتبس ، ١ / ٣٢٦) (بغية الملتمس ، ٣٨٣) (الإحاطة ، ٣ / ١٠٧) .

(٢) هو عبادة بن عبد الله بن ماء السماء، ومن فحول شعراء الأندلس، وكان وشاحاً، توفي سنة ٤٢١ هـ ، بمالقة.
(رسائل ابن حزم، ٢ / ١٨٢) (جذوة المقتبس، ٢ / ٤٦٣ ، ٤٦٤) (ابن خاقان ، أبو نصر، الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، حققه، وعلق عليه، الدكتور حسين يوسف خريوش، القسم الرابع، الطبعة الأولى، مكتبة المنار، الزرقاء ١٩٨٩ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦) (مطمح الأنفس ، ٣٤٤ – ٣٥٠) (الذخيرة ق١ ج١ / ٤٦٨ ، ٤٦٩) (الصلة ، ٢ / ٤٥٠) (بغية الملتمس، ٤٩٦) (ابن سناء الملك، أبو القاسم، هبة الله بن جعفر، دار الطراز في عمل الموشحات ، تحقيق الدكتور جودت الركابي، الطبعة الثانية، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٧٧ ، ٢٠٥) (رايات المبرزين، ٧٨) (الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، توشيع التوشيح، تحقيق، ألبير حبيب مطلق، الطبعة الأولى، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٦ ، ١١٣ – ١١٥) (الإحاطة ، ٣ / ١٠٧) (نفح الطيب، ٢ / ٣٠ – ٣٢ ، ٥ / ١٩٦ ، ٢٤٩) .

(٣) الإحاطة (٣ / ١٠٦) .

(٤) أشجعي النسب، ومن أهل إلبيرة ، سكن قرطبة، وله تصرف في البلاغة والشعر، وكان من شعراء الدولة العامرية.
(جذوة المقتبس، ٢ / ٤٣٩) (بغية الملتمس ، ٣٦٩) (الإحاطة ، ٣ / ١٠٧) .

(٥) أديب ، شاعر في الدولة العامرية.
(جذوة المقتبس ، ٢ / ٤٥٥ ، ٤٥٦) (بغية الملتمس ، ٣٨٤) (الإحاطة ، ٣ / ١٠٦) .

(٦) كان وزيراً من وزراء الدولة العامرية ، وكاتب من كتابها ، وهو شاعر كثير الشعر، ومعدود من أكابر البلغاء توفي سنة ٣٩٤ هـ .
(الحميدي، ٢ / ٤٤٤، ٤٤٥) (مطمح الأنفس ، ١٧٧ – ١٧٩) (الذخيرة ق٤ ج١ / ٤٦ – ٥٢) (بغية الملتمس ، ٣٧٤) (الصلة ، ٢ / ٣٥٦) (الحميري، الروض المعطار، ٣٩١) (الإحاطة ، ٣ / ١٠٧) (يتيمة الدهر ، ٢ / ١١٧ ، ١١٨) (ابن الأبار ، أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، إعتاب الكتاب، حققه، وعلق عليه ، وقدم له، الدكتور صالح الأشتر، الطبعة الأولى ، دمشق ، مجمع اللغة العربية ، ١٩٦١م، ١٩٣ – ١٩٦) (نفح الطيب، ٢ / ٧١ – ٧٣، ١٢٠ – ١٢١ ، ٥ / ٢٠٨ – ٢٠٩) .

(٧) الإحاطة (٣ / ١٠٧) .

(٨) كان في أيام الدولة العامرية، ومشهور بالأدب والشعر، توفي قريباً من ٤٣٠ هـ .
(جذوة المقتبس، ٢ / ٤٨٩) (بغية الملتمس، ٤١٣) (معجم الأدباء ، ١٤ / ٢٤٩) (ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله ، محمد بن محمد الأنصاري، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق ، الدكتور، إحسان عباس، الجزء الثاني، بيروت، دار الثقافة ، ١٩٧٣ ، ٣١٦) (الإحاطة ، ٣ / ١٠٦) (نفح الطيب، ٤ / ١٦٩) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علي النقاش البغدادي [١] .

عمر بن المنجم البغدادي [٢] .

ابن عمرون القرشي المرواني [٣] .

قاسم بن محمد الجيّاني [٤] .

محمد بن اسماعيل الزُّبَيْدِي [٥] .

محمد بن الحسن القُرشي [٦] .

محمد بن حسين الطُّبْني ، أبو عبد الله [٧].

محمد بن عبد البصير [٨] .

محمد بن عبد الملك بن جهور [٩] .

محمد بن مسعود البَلْخِي [١٠] .

محمد بن مطرف بن شخيص [١١] .

---

(١) (الإحاطة ، ٣ / ١٠٧) .

(٢) (نفسه ، ٣ / ١٠٦) .

(٣) هو سعيد بن عثمان بن مروان القرشي ابن عمرون، اختلف في نسبه، فقيل : سعيد بن محمد ، وقيل : ابن مروان، وقيل : غير ذلك، وهو شاعر من شعراء الدولة العامرية.

(يتيمة الدهر، ٢ / ٦٢) (الجذوة ، ١ / ٣١٠) (بغية الملتمس ، ٣٦٠) (المغرب، ١ / ١٩٧ ، ١٩٨) (الإحاطة٣ / ١٠٧) (نفح الطيب، ٥ / ١٣٠).

(٤) هو قاسم بن محمد القرشي المرواني المعروف بالشبانسي، كان شاعراً أديباً في الدولة العامرية.

(رسائل ابن حزم ، ١ / ٩١ ، ٣١٨ ، ٢ / ٩٠ ، ١٩٨) (الجذوة ، ٢ / ٥٢٥) (بغية الملتمس، ٤٤٦) (الإحاطة ، ١٠٧) (نفح الطيب، ٥ / ١٣٠).

(٥) هو محمد بن الحسن الزبيدي النحوي، ومن الأئمة في اللغة العربية، وكان شاعراً كثير الشعر، توفي قرياً من سنة ٣٨٠ هـ .

(الجذوة ، ١ / ٦٦ ، ٦٧) (بغية الملتمس ، ٨٥ – ٨٨) (معجم الأدباء ، ١٨ / ١٧٩) (الإحاطة ٣ / ١٠٧) (كشف الظنون ، ٦ / ٥١) .

(٦) (الإحاطة ، ٣ / ١٠٧) .

(٧) ولد سنة ٣٠٠ هـ ، وكان شاعراً مكثراً ، وأديباً مفتناً، وكان له اتصال بآل عامر، وحظوة عندهم، وولي الشرطة في عهدهم، توفي سنة ٣٩٤هـ.

(تاريخ علماء الأندلس، ٢ / ١١٨) (بغية الملتمس ، ١ / ٩١) (ابن بشكوال، الصلة ، ٢ / ٥٩٤) (المغرب ، ١ / ٢٠٦ ، ٢٠٧) (البيان المغرب، ٢ / ٢٥٦) (الإحاطة ، ٣ / ١٠٦) .

(٨) (الإحاطة ، ٣ / ١٠٧) .

(٩) (نفسه ، ٣ / ١٠٧) .

(١٠) هو محمد بن مسعود البجّاني الغساني، وأصله من بجانه، وسكن قرطبة فنسب إليها، وكان خطيباً ، نحوياً، شاعراً ، توفي سنة ٣٧٩ هـ .

(تاريخ علماء الأندلس ، ٢ / ٩٠) (جذوة المقتبس ، ١ / ١٣١) (الذخيرة ق١ ج١ / ٥٦٤) (بغية الملتمس ، ١٥١) (المغرب ، ٢ / ١٩١) (نفح الطيب ، ٤ / ٣٦٢) .

(١١) كان من أهل الأدب المشهورين، ومن أعيان الشعراء المقدمين، مات قبل ٤٠٠ هـ.

(يتيمة الدهر ، ٢ / ٢٦) (رسائل ابن حزم، ٢ / ١٨٨) (المقتبس ، ١٤٧) (جذوة المقتبس، ١ / ١٢٩) (بغية الملتمس ، ١٤٩) (المغرب، ١ / ٢٠٨).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مروان (ابن عبد الحكم) بن عبد الرحمن [١] .

ابن المضيء، البَجْلي، الكاتب ، أبو الحسن [٢] .

مُنيل بن مُنيل الأشجعي ، أبو الفرج [٣] .

موسى بن أبي طالب [٤] .

وليد بن مَسْلَمَةَ المرادي [٥] .

يحيى بن أمية بن وهب ، أبو بكر [٦] .

يحيى بن هذيل بن عبد الملك بن هذيل المكفوف [٧] .

يوسف بن هارون الرمادي ، أبو عمر [٨] .

وأوردت المصادر الأندلسية تراجم وأشعاراً لشعراء كانوا على اتصال بالمنصور خلال فترة حكمه الأندلس، وعدتهم من شعراء الدولة العامرية، ومنهم :

إبراهيم بن إدريس العَلوي الحسني المنبوذ بالمويّل [٩] .

---

(١) هو مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر، الطليق، أبو عبد الملك، كان أديباً ، شاعراً ، مكثراً، مات قريباً من ٤٠٠هـ.

(الجذوة ، ٢ / ٥٤٦) (بغية الملتمس ، ٤٦١ ، ٤٦٢) (ابن دحية، المطرب في أشعار أهل المغرب، ٧٧ ، ٧٨) (الحلة السيراء، ١ / ٢٢٠) (المغرب ، ١ / ١٩١ ، ١٩٢) (رايات المبرزين ، ٦٧) (المرقصات والمطربات ، ٧٦) (الإحاطة ٣ / ١٠٦) (نفح الطيب ، ٥ / ١٢٥ - ١٢٧) .

(٢) (الإحاطة ، ٣ / ١٠٧) .

(٣) (نفسه ، ٣ / ١٠٧) .

(٤) (نفسه ، ٣ / ١٠٦) .

(٥) شاعر من شعراء الدولة العامرية.

(جذوة المقتبس، ٢ / ٥٧٨) (بغية الملتمس ، ٤٨٢) (الإحاطة ٣ / ١٠٧) .

(٦) (الإحاطة ، ٣ / ١٠٧) .

(٧) شاعر من شعراء الدولة العامرية .

(جذوة المقتبس، ٢ / ٦٠٧ - ٦٠٩) (بغية الملتمس ، ٥٠٩) (المغرب ، ١ / ١٩٧ ، ١٩٨) (الإحاطة ، ٣ / ١٠٧) .

(٨) شاعر من قرطبة ، كثير الشعر، سريع القول، توفي سنة ٤٠٣ هـ .

(يتيمة الدهر ، ٢ / ١١٤) (رسائل ابن حزم، ١ / ٥٤ ، ٦٨ ، ١٢٠ ، ١٢٢، ٢ / ١٩٤) (جذوة المقتبس، ٢ / ٥٨٩ - ٥٩٣) (الصلة ، ٢ / ٦٧٤) (بغية الملتمس ، ٤٩٣ - ٤٩٦) (معجم الأدباء، ٢٠ / ٦٢) (وفيات الأعيان، ٧ / ٢٢٨) (المغرب ، ١ / ٣٩٢) (ابن سعيد الأندلسي، رايات المبرزين وغايات المميزين، ٧٨) (ابن سعيد الأندلسي، المرقصات والمطربات، ٧٥) (الإحاطة، ٣ / ١٠٦) (نفح الطيب، ٤ / ٣٣٩ - ٣٤١، ٤ / ٣٣٩ - ٣٤١) .

(٩) كان شاعراً، أديباً، حسن الشعر، خبيث الهجاء، عاش في أيام المنصور، وقد زامن الفتنة.

(الجذوة ، ١ / ٢١٤) (بغية الملتمس ، ٢٣٦) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إبراهيم بن محمد الشَّرفي أبو اسحاق الحاكم الخطيب [١] .

أحمد بن برد ، أبو حفص الوزير [٢] .

أحمد بن تَلِيد الكاتب [٣] .

أحمد بن حَبْرون [٤] .

أحمد بن جهور [٥] .

أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب ، أبو عمر [٦] .

أحمد بن عبد العزيز بن فرج الفَرْضي ، أبو عمر [٧] .

أحمد بن كليب النحوي [٨] .

أحمد بن محمد بن عبد الله بن بدر ، أبو بكر [٩] .

---

(١) صاحب الشرطة، كان فقيهاً جليلاً، ورئيساً في أيام المنصور ، وخطيباً كبيراً بقرطبة.

(الحميدي ، ١ / ٢١١ ، ٢١٢) (بغية الملتمس ، ٢٣٣).

(٢) كان ذا حظ وافر من الأدب، والبلاغة والشعر، ورئيساً مقدماً في الدولة العامرية ، وقلد ديوان الإنشاء بعد ابن الجزيري، توفي سنة ٤١٨ هـ.

(الحميدي ، ١ / ١٧٣) (الذخيرة ، ق١ ج١ / ١٠٣) (بغية الملتمس ، ١٨٨) (المغرب ، ١ / ٢٠٤ ، ٢٠٥) (نفح الطيب ، ٥ / ٨٨ ، ٨٩) .

(٣) أندلسي ، شاعر ، أديب في الدولة العامرية.

(الحميدي ، ١ / ١٧٢ ، ١٧٣) (بغية الملتمس ، ١٨٩) (نفح الطيب، ٥ / ١٥٩).

(٤) من أهل العلم والجلالة، وكان في أيام الدولة العامرية.

(الحميدي ، ١ / ١٧٤) (بغية الملتمس ، ١٩٠) .

(٥) شاعر ، أديب في الدولة العامرية

(الحميدي ، ١ / ١٧٣) (بغية الملتمس ، ١٨٩).

(٦) كان وزيراً في الدولة العامرية، وله في البلاغة يد قوية، توفي سنة ٤٠٢ هـ .

(رسائل ابن حزم، ١ / ١٣٠ ، ١٣١ ، ٢ / ٢٢٦ ، ٢٢٧) (الحميدي، ١ / ١٨٢ ، ١٨٣) (الصلة ، ١ / ٢٥) (بغية الملتمس ، ١٩٩ – ٢٠١) (إعتاب الكتاب ، ١٩١ – ١٩٣) (وفيات الأعيان ، ٣ / ٣٢٨) (نفح الطيب ، ٢ / ٢٩٢) .

(٧) شاعر من الشعراء في الدولة العامرية

(النويري، شهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، الجزء الأول، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، والترجمة، والطباعة ، والنشر، ١٩٥٥، ٤٥ .

(٨) أديب ، شاعر مشهور، كان في فترة الدولة العامرية.

(رسائل ابن حزم، ١ / ٣١٥ – ٣١٩) (الحميدي ، ١ / ٢٠٢) (بغية الملتمس، ٣٢٢) .

(٩) من أهل بيت وأدب، وشعر ورياسة، كان في أيام المنصور، وأثيراً عنده.

(الحميدي ، ١ / ١٥٤) (بغية الملتمس ، ١٧١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اسماعيل بن عباد [١] .

أمية بن غالب الموزوري ، أبو العاص [٢] .

تمام بن غالب، ابن التيّاني [٣].

جعفر بن عثمان ، المصحفي ، أبو الحسن [٤] .

جعفر بن أبي علي اسماعيل بن القاسم القالي [٥] .

ابن ابي حباب، أبو مطرف [٦] .

خلف بن رضا [٧] .

سعيد بن فتحون، الحمار، أبو عثمان [٨] .

عبد الرحمن بن شبلاق الحَضْرمي، أبو المطرف [٩] .

---

(١) من القضاة بإشبيلية، قديم الجاه على سلطان الأندلس من العامرية، ومشتغلاً بالأمور العظيمة لهم.

(رسائل ابن حزم ، ٢ / ٨٩ ، ٢٠٦) (النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن، تاريخ قضاة الأندلس، أو كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، نشر، إ. ليفي بروفنسال، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الكتاب المصري، ١٩٤٨ ، ٩٤) .

(٢) أديب ، شاعر مشهور في الدولة العامرية.

(الحلة ، ١ / ٢٤٢) (بغية الملتمس ، ٢٧٢) (المغرب، ١ / ٣١٢).

(٣) كان من أهل الأدب والشعر، ومن الشعراء الذين نادموا المنصور.

(جذوة المقتبس، ١ / ٢٥٢ ، ٢ / ٦٣٩ – ٦٤٠) (الذخيرة ، ق٤ ج١ / ١٩) (الصلة ، ١ / ١٢٠) (بغية الملتمس ، ٢٨٣) (المغرب، ١ / ١٦٦) (نفح الطيب، ٤ / ١٣٢ ، ١٦٧ ، ١٨١) (كشف الظنون ، ٥ / ٢٤٥).

(٤) كان من أهل العلم ، والأدب البارع، وله شعر كثير رائع، تعرض إلى الاضطهاد على يد المنصور في فترات مختلفة، قالوا : إنه حين اعتقله المنصور آخر مرة دس شربة سم له أتت عليه .

(الحلة ، ١ / ٢٥٧) (بغية الملتمس ، ٢٨٩) (معجم الأدباء ، ١٥٦) (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق٤ ج١ / ٦٣ – ٦٨) (الحلة السيراء ، ١ / ٢٥٧ ، ٢٥٨) (البيان المغرب ، ٢ / ٢٦٥) (نفح الطيب ، ١ / ٣٧٩ – ٣٨١ ، ٢ / ١٣٢ – ١٣٦) .

(٥) أديب ، شاعر من شعراء المنصور .

(الحلة ، ١ / ٢٥٦) (بغية الملتمس ، ٢٨٨) (معجم الأدباء ، ٧ / ١٦٢) (المغرب ، ١ / ٢٠٨ ، ٢٠٩) .

(٦) أديب ، شاعر في أيام المنصور .

(الحلة ، ٢ / ٦٣٦) (بغية الملتمس ، ٥٢٩).

(٧) شاعر ، أديب في أيام بني أبي عامر.

(الحلة ، ١ / ٢٨٣) (بغية الملتمس ، ٣٢٢) .

(٨) له أدب، وعلم ، وتصرف في حدود المنطق، وهو مشهور، كان في فترة المنصور.

(رسائل ابن حزم، ٢ / ١٨٥) (الحلة ، ١ / ٣١١) (بغية الملتمس ، ٣٦٢) (نفح الطيب ، ٤ / ١٧١ ، ٥ / ٤٩) .

(٩) أديب ، شاعر مشهور في الدولة العامرية.

(الحلة ، ٢ / ٤٣٣) (الصلة ، ٢ / ٣٢٤ ، ٣٢٥) (بغية الملتمس ، ٣٦٤) (كشف الظنون ، ٥ / ٥١٥) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبد الرحمن بن محمد النظّام [١] .

عبد الرحمن بن مهران [٢] .

عبد الله بن أبي الحسين ، أبو بكر [٣] .

عبد الله بن زُرَيْق، أبو الحسن [٤] .

عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن سعد الخير بن الأمير الحكم الربضي المرواني [٥] .

عبد الملك بن أخي نفيل [٦] .

عبد الملك بن يحيى بن أبي عامر ، أبو مروان [٧] .

عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم بن المغيرة [٨] .

---

(١) شاعر ، أديب، كان من نبهاء الدولة العامرية.

(الحلة ، ١ / ٣٥٧) (بغية الملتمس ٤٢٦) (المغرب، ١ / ٢٠٦)

(٢) شاعر مطبوع، كان في الدولة العامرية.

(الحلة، ٢ / ٤٤١) (بغية الملتمس ، ٣٧١)

(٣) أصلة من حمير، وكان من أعيان قرطبة، وممن يحضر مجلس المنصور، وبلغ ابن أبي عامر ما أوجب طلبه، فاستخفى مدة.

(الحلة ، ٢ / ٤١١) (بغية الملتمس ، ٣٤٢) (المغرب، ١ / ٢٠٧ ، ٢٠٨) .

(٤) كان شاعراً في فترة المنصور .

(السبكي، تاج الدين، أبو نصر، عبد الوهاب بن تقي الدين، طبقات الشافعية الكبرى، الجزء الأول، القاهرة ، المطبعة الحسينية المصرية، ١٣٢٤ هـ ، ١٦٤ ، ١٦٥).

(٥) أديب شاعر، وهو من أولاد الحكم الربضي، ويعرف بالحجر، ولي مملكة طليطلة للمنصور، وعصى عليه، ولكن المنصور تغلب عليه، ثم حبسه، توفي بلاردة سنة ٣٩٣ هـ .

(الحلة ، ٢ / ٤١٥) (بغية الملتمس ، ٣٤٧) (ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ٢ / ٧٨٦) (الحلة السيراء ، ١ / ٢١٥ ، ٢١٦) (نفح الطيب ، ٤ / ٣٢١) .

(٦) شاعر من شعراء الدولة العامرية ، وفارس من فرسانها :

(الحلة ، ٢ / ٤٥٤) (بغية الملتمس ، ٣٨٣) (الحميري ، أبو الوليد، اسماعيل ابن عامر، البديع في وصف الربيع، اعتنى بنشره ، وتصحيحه، الأستاذ هنري بيريس، الرباط، المطبعة الاقتصادية ، ١٩٤٠ ، ١٣) .

(٧) من أهل الأدب، والشعر والجلالة، كان أمير الأندلس في أيام هشام المعتد.

(الحلة ، ٢ / ٤٥٤) (بغية الملتمس ، ٣٨٣) .

(٨) من المقدمين في الأدب والشعر، وكان وزيراً كاتباً، توفي قريباً من سنة ٤٢٠هـ .

(الحلة ، ١ / ٣٩٣) (الصلة، ٢ / ٣٨٠) (بغية الملتمس ، ٤٦١) (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق١ ج١ / ١٣٢ - ١٨٠) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عُرَيْب بن سعيد [١] .

ابن عسقلاجة ، أبو حفص [٢] .

عمرو بن أبي الحباب [٣] .

عيسى بن الحسن ، أبوالأصبغ [٤] .

عيسى بن عبد الملك بن قُزْمان [٥] .

محمد بن أحمد العطار [٦] .

محمد بن اليسع [٧] .

موسى بن الطائف [٨] .

ابن نُصَيْر [٩] .

اليَحصبي [١٠] .

---

(١) قرطبي ، كان عماده في الموالي من بيت يعرفون ببني تركي، وكان أديباً ، شاعراً، مطبوعاً، تاريخياً ، وكانت له عند الحاجب المنصور منزلة.

(الذيل والتكملة ، ١ / ١٤١ - ١٤٣) .

(٢) أديب، شاعر، ومن الرؤساء في الدولة العامرية.

(الجذوة ، ٢ / ٦٢٧) (بغية الملتمس ، ٥٢٢) (نفح الطيب، ٢ / ١١٢) .

(٣) من شعراء المنصور .

(البيان المغرب ، ٢ / ٢٧٧) .

(٤) من شعراء الدولة العامرية .

(المغرب في حلى المغرب، ١ / ٢١١) .

(٥) شاعر، أديب، وكان المنصور قد أسند إليه مهمة تأديب هشام المؤيد.

(اليتيمة ، ٢ / ٤٠) (الجذوة ، ٢ / ٤٧٣) (بغية الملتمس ، ٤٠٣ ، ٤٠٤) (المغرب ، ١ / ٢١٠) .

(٦) شاعر ، مدح المنصور .

(يتيمة الدهر، ٢ / ٧٥) (كشف الظنون، ٦ / ٥٨) .

(٧) أديب، شاعر في الدولة العامرية ، وكان أيام المنصور .

(الجذوة ، ١ / ١٤٣) (بغية الملتمس ، ١٥٩) (نفح الطيب ، ٥ / ١٥٨) .

(٨) شاعر مشهور، وكان ايام المنصور.

(جذوة المقتبس ، ٢ / ٥٣٧) (بغية الملتمس ، ٤٥٦) (معجم الأدباء ، ٢ / ٨) .

(٩) أديب ، شاعر ، كان في الدولة العامرية، ومن المتصرفين فيها .

(الجذوة ، ٢ / ٦٤٤) (بغية الملتمس ، ٥٤٠) .

(١٠) شاعر من أهل شذونه، كان سريع البديهة والجواب، قبيح الهجاء ، عاش في الدول العامرية .

(الجذوة ، ٢ / ٦٤٦) (بغية الملتمس ، ٥٤١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اليربوعي القرشي [١] .

يعلى بن أحمد بن يعلى القائد [٢] .

وهناك فئة أخرى من الشعراء الذين عاشوا في الأندلس إبّان حكم المنصور، لكن المصادر الأدبية لم تنص على اتصالهم بالمنصور، إلا أن اسم المنصور ورد في أشعارهم ، وكان لهم صلات مع مشاهير شعراء الدولة العامرية، ومن شعراء هذه الفئة :

إبان بن عثمان بن سعيد المبشر بن غالب بن فيض اللّخْمي ، أبو الوليد [٣] .

إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري الإفليلي [٤] .

أحمد بن أفلح ، أبو عمر [٥] .

أحمد بن أيوب بن أبي الربيع الألْبيري ، أبو العباس [٦] .

أحمد بن سعيد بن إبراهيم الهَمْداني، ابن الهندي، أبو عمر [٧].

أحمد بن عبد الله بن بدر ، أبو مروان [٨] .

---

(١) كان في أيام بني أبي عامر.

(الحلة ، ٢ / ٦٤٨) (بغية الملتمس ، ٥٤٢) .

(٢) شاعر في دولة المنصور، وكان أبوه من رؤساء الدولة العامرية.

(الحلة ، ٢ / ٦١٥) (بغية الملتمس ، ٥١٤) (الحلة السيراء، ١ / ٢٨٤) (المغرب في حلى المغرب ، ١ / ٢٠٤) .

(٣) من أهل شذونة ، وكان نحوياً ، لغوياً ، شاعراً ، توفي سنة ٣٧٧ هـ ، بقرطبة .

(تاريخ علماء الأندلس ، ١ / ٢٢) .

(٤) ولد سنة ٣٥٢ هـ ، دخل الشعراء فأخذ لباقتهم، وصار في جملة الكتاب فاستعار صلفهم ورشاقتهم ، توفي سنة ٤٤١ هـ .

(الذخيرة ، ق١ ج١ / ٢٤١) (الحلة ، ١ / ٢١٣) (الصلة ، ١ / ٩٣) (بغية الملتمس ، ٢٣٤ ، ٢٣٥) (المغرب ، ١ / ٧٣) (معجم الأدباء ، ٢ / ٨٠٦) (كشف الظنون ، ٥ / ٨) .

(٥) ولد سنة ٣٢٤ هـ بقرطبة، وكان محدثاً ، أديباً ، شاعراً .

(الحلة ، ١ / ١٧٠) (الصلة ، ١ / ١٦ ، ١٧) (بغية الملتمس ، ١٨٧) (نفح الطيب ، ٥ / ١٥٨ ، ١٥٩) .

(٦) ولد سنة ٣٦٠ هـ وكان رجلاً، فاضلاً واعظاً ، سنياً، ورعاً، أديباً، شاعراً ، توفي سنة ٤٣٢ هـ

(الصلة ، ١ / ٤٩) .

(٧) ولد بقرطبة سنة ٣٢٠ هـ ،كان حافظاً للفقه، وحافظاً لأخبار أهل الأندلس ، بصيراً بعقد الوثائق، وله فيها ديوان كبير، توفي سنة ٣٩٩ هـ .

(الصلة ، ١ / ١٤ ، ١٥) (المغرب ، ١ / ٢١٧) (كشف الظنون ، ٥ / ٦٩) .

(٨) كان نحوياً ، لغوياً ، شاعراً ، عروضياً ، توفي سنة ٤٢٣ هـ .

(الصلة ، ١ / ٤٠) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحمد بن عمر بن عبد الله بن منظور الـحَضْرمي، ابن عصفور ، أبو القاسم [١] .

أحمد بن محمد بن عبد ربه الشاعر بن حبيب بن حُدَير بن سالم مولى الإمام هشام بن عبد الرحمن بن معاوية ، أبو عمر [٢] .

أحمد بن محمد بن وسيم ، أبو عمر [٣] .

أحمد بن يوسف بن إسحاق بن إبراهيم ، أبو القاسم [٤] .

أسباط بن يزيد بن أسباط المخزومي، أبو يزيد [٥] .

إسحاق بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مُطَرِّف البصري ، أبو بكر [٦] .

جهور بن محمد بن جهور، أبو الحزم [٧] .

حبيب بن أحمد الشَّطْجيري [٨] .

---

(١) ولد سنة ٣٣٨ هـ ، وكان فاضلاً، صالحاً ، عاقلاً ، زاهداً في الدنيا شاعراً مطبوعاً ، من أهل العلم والأدب والفهم ، توفي سنة ٤١٠ هـ.
(الصلة ١ / ٣١) .

(٢) من أهل قرطبة، وهو شاعر الأندلس وأديبها ، توفي سنة ٣٨٢ هـ .
(تاريخ علماء الأندلس ، ١ / ٣٨) .

(٣) كان من المشاهير في العلم، فقيهاً ، متفنناً، شاعراً ، لغوياً ، نحوياً ، توفي سنة ٤٠١ هـ .
(الصلة ، ١ / ٢٥) .

(٤) من أهل إستَجَة، وهو متصرف في الفتيا والشروط ، ومتقلب في حفظ الخبر والشاهد والمثل، وكان له من قرض الشعر نصيب ، توفي سنة ٣٧٢ هـ .
(تاريخ علماء الأندلس ، ١ / ٥٢) .

(٥) من هل شذونة، ومن ساكني شريش، وكان أديباً، شاعراً، خطيباً ، توفي سنة ٣٩٢ هـ .
(تاريخ علماء الأندلس ، ١ / ٨٩) .

(٦) من أهل إستَجَة ، وهو شاعر مطبوع، ومرسل بليغ مع مشاركته في حفظ الرأي، وعقد الشروط ، توفي سنة ٣٧٠ هـ بإستجة.
(تاريخ علماء الاندلس، ١ / ٧٢ ، ٧٣) .

(٧) قديم الرياسة، وموصوف بالدهاء، وهو الذي صار إليه تدمير قرطبة بعد خلع هشام المؤيد، توفي سنة ٤٣٥ هـ .
يتيمة الدهر، ٢ / ٤٠) (جذوة المقتبس ، ١ / ٢٦٠) (الصلة ، ١ / ١٣١) (بغية الملتمس ، ٥٩ ، ٦٠) (المطرب، ١٤٩) (المعجب، ٥٧) (الحلة السيراء، ١ / ٢٤٥، ٢ / ٣٠ - ٣٤) (المغرب ، ١ / ٥٦) (البيان المغرب، ٣ / ١٨٥) (لسان الدين ابن الخطيب، محمد بن عبد الله، تاريخ إسبانية الإسلامية، أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ، وتعليق، إ. ليفي بروفنسال، الطبعة الثانية، بيروت، دار المكشوف، ١٩٥٦ ، ١٤٧) (نفح الطيب، ١ / ٢٨٦ - ٢٨٨ ، ٢ / ٢٩) .

(٨) ولد سنة ٣٢٤ هـ بقرطبة، وهو شاعر مشهور من أهل الأدب، وقد أدرك أيام الحكم المستنصر ، وبلغ سناً عالية، توفي قريباً من سنة ٤٣٠هـ.
(الجذوة ، ١ / ٢٧٣) (الصلة ، ١ / ١٥٤) (بغية الملتمس ، ٣١٠ ، ٣١١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حجاج بن يوسف بن حجاج اللَّخْمي، أبو محمد [١] .

الحسن بن أيّوب بن محمد بن أيّوب الانصاري ، الحدّاد، أبو علي [٢] .

حسين بن محمد بن قابل ، أبو بكر [٣] .

حفصة بنت حمدون الحجارية [٤] .

حُمَام بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أكْدَر بن حُمَام بن حكم بن سليمان بن عبد الرحمن بن صالح الأطروشي، أبو بكر [٥] .

خلف بن سليمان بن عمرون البَزّاز، بُقَيْل، أبو القاسم [٦] .

الزُّبيْدِي [٧] .

زياد بن عبد العزيز بن أحمد بن زياد الجذامي ، أبو مروان [٨] .

سعيد بن إبراهيم بن مقدام الرُّعَيني، أبو عثمان [٩] .

---

(١) من أهل إشبيلية، وهو قديم الطلب لفنون العلم، مقدم في الفهم، وقول الشعر، توفي سنة ٤٢٩ هـ .
(الصلة ، ١ / ١٥٢) .

(٢) ولد سنة ٣٣٨ هـ ، بقرطبة، وكان من أهل العلم بالمسائل والحديث، راوية للحديث، واللغات، وافر الحظ من الأدب، حسن الشعر في الزهد والرثاء ، توفي سنة ٤٢٥هـ .
(الصلة ، ١ / ١٣٦) .

(٣) ولد سنة ٢٩٦ هـ ، بقرطبة، وهو متصرف في العربية، والغريب ، والشعر، شاعراً ، توفي سنة ٣٧٢ هـ .
(تاريخ علماء الأندلس ، ١ / ١١٤) .

(٤) فخر بلدها بها ، وهي من شاعرات المائة الرابعة، ولها شعر كثير.
(المغرب، ٢ / ٣٧) (نفح الطيب ، ٦ / ٦٥) .

(٥) من أهل قرطبة، وكان واحد عصره في البلاغة، وفي سعة الرواية، حسن الشعر، توفي سنة ٤٢١ هـ ، بقرطبة.
(الصلة ، ١ / ١٥٥ ، ١٥٦) .

(٦) من أهل إسْتجة ، ولكنه سكن قرطبة، وكان نحوياً، لغوياً، شاعراً، توفي سنة ٣٧٨هـ ، بقرطبة.
(تاريخ علماء الأندلس ، ١ / ١٣٦) .

(٧) صاحب أبي العلاء صاعد بن الحسن اللغوي، وكان أديباً ، شاعراً.
(الجذوة ، ٢ / ٦٤٦) (بغية الملتمس ، ٥٤١) .

(٨) كان بارعاً في الآداب كلها، بليغاً ، راوية للأخبار، حسن الشعر، توفي سنة ٤٣٠ هـ .
(الصلة ، ١ / ١٨٨ ، ١٨٩) .

(٩) من أهل إشبيلية ، وكان أديباً ، شاعراً، متنسكاً، توفي بعد ٣٧٢ هـ ، بالثغر .
(تاريخ علماء الأندلس ، ١ / ١٧٢) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سليمان بن محمد بن بطال ، أبو أيوب [١] .

عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم [٢] .

عباس بن يحيى بن قَزْلـمَـان اللَّـخْمي ، أبو القاسم [٣] .

عبد الرحمن بن سليمان البلوي، أبو بكر [٤] .

عبد السلام بن عبد الله بن زياد اللخمي القرطبي، أبو عبد الملك [٥] .

عبد العزيز بن أحمد بن السيد بن مغلس القيسي [٦] .

عبد العزيز بن حكم بن أحمد بن الإمام محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو الأصبغ [٧] .

عبد الله بن أحمد بن عثمان ، ابن القُشّاوي ، أبو محمد [٨] .

عبد الله بن أحمد بن محمد الأنصاري ، ابن البرجونس ، أبو محمد [٩] .

---

(١) ولد في بطليوس، فقيه مقدم، وشاعر محسن كثير الشعر، توفي سنة ٤٠٢ هـ.
(الجذوة ، ١ / ٢٩٧) (الصلة ، ١ /١٩٧) (بغية الملتمس ، ٣٤٤) (ابن فرحون ، المالكي، عبد الله بن محمد اليعمري، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق ، وتعليق، الدكتور محمد الأحمدي أبو النور ، القاهرة ، دار التراث للطبع والنشر— ١٩٧ ، ٣٧٦) (كشف الظنون ، ٥ / ٣٩٦) .

(٢) (٢) لم يكن في جزائر الأندلس في زمانها من يعدلها فهماً ، وعلماً، وأدباً ، وشعراً ، توفيت سنة ٤٠٠ هـ .
(الصلة ، ٢ / ٦٩٢) .

(٣) ولد سنة ٣٥٠ هـ ، بإشبيلية، وكان بارعاً في الآداب، شاعراً مطبوعاً، ذا حظ صالح من الحديث والرأي والأخبار، توفي سنة ٤٢٦ هـ.
(الصلة ، ٢ / ٤٤٣) .

(٤) من أهل العلم، أديب، شاعر، كان في حدود ٤٠٠ هـ.
(رسائل ابن حزم، ١ / ١٩٦) (الجذوة ، ١ / ٣٦٣) (بغية الملتمس، ٤٣١) .

(٥) كان فصيحاً ، مفوهاً، عالماً بالأنساب ، حافظاً للأخبار، قليل الشعر، توفي سنة ٣٧١ .
(تاريخ علماء الأندلس، ١ / ٣٣١) .

(٦) من أهل العلم باللغة، شاعر، رحل من الأندلس، واستوطن مصر، فمات بها سنة ٤٢٧ هـ .
(الجذوة ، ٢ / ٤٥٥) (بغية الملتمس ، ٣٨٤) .

(٧) ولد سنة ٣١٠ هـ في قرطبة، وهو عالم بالنحو، والغريب، والشعر، شاعر، مائل إلى الكلام والنظر، توفي سنة ٣٨٧ هـ .
(تاريخ علماء الأندلس ، ١ / ٢٧٩) .

(٨) من أهل طليطلة، كان ديناً ، تقياً، ورعاً ، شاعراً ، مشاوراً في الأحكام، توفي سنة ٤١٧ هـ .
(الصلة ، ١ / ٢٦٢) .

(٩) ولد سنة ٣٣٢ هـ في سرقسطة، وكان يحفظ الموطأ، وله حظ من الأدب، وقرض الشعر، وولي القضاء بسرقسطة، توفي سنة ٣٩٢هـ.
(تاريخ علماء الأندلس ، ١ / ٢٤٨) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبد الله بن رضا بن خالد بن عبد الله بن رضا الكاتب ، أبو محمد [١] .

عبد الله بن محمد بن سليمان ، ابن الحاج [٢] .

عبد الله بن محمد بن موسى بن أزهر بن حريث بن قيس بن أيوب بن جبير، أبو محمد [٣] .

عبد الله بن محمد بن يوسف ، الفَرْضي، أبو الوليد [٤] .

ابن عبدون اليابري [٥] .

علي بن فتح ، أبو الحسن [٦] .

علي بن معاذ بن سمعان بن موسى الرُّعَيْني [٧] .

علي بن وداعة بن عبد الود ود السليمي، أبو الحسن [٨] .

عمر بن أبي عمرو واسمه لب بن أحمد البكري [٩] .

عيسى بن محمد بن إبراهيم بن عيسى بن حيوية الكناني، أبو الأصبغ [١٠] .

---

(١) ولد سنة ٣٥٤ هـ ببايرة ، وكان من أهل الأدب البارع، والشعر الحسن، وبلاغة اللسان، والتصرف في العلوم، توفي سنة ٤٢٩ هـ .
(الصلة ، ١ /٢٦٧) .

(٢) من أهل قرطبة، كان حافظاً لكتاب الله تعالى، مجوداً ، شاعراً ، توفي سنة ٤١٩ هـ .
(الصلة ، ١ / ٢٦٣) .

(٣) من أهل إستَجَة ، كان أديباً يقول الشعر، وله حظ من البلاغة ، توفي سنة ٣٧٩ هـ ، بإستجة.
(تاريخ علماء الأندلس، ١ / ٢٤١ ، ٢٤٢) .

(٤) ولد سنة ٣٥١ هـ ، وكان حافظاً ، متقناً، عالماً، ذا حظ من الأدب الوافر، توفي سنة ٤٠٣ هـ .
(رسائل ابن حزم، ٢ / ١٨٠ ، ١٨٢) (الجذوة ، ١ / ٣٣٤ – ٣٣٦) (الذخيرة ق١ ج٢ ، ٦١٤) (الصلة ، ١ / ٢٥١ – ٢٥٣) (بغية الملتمس ، ٣٩٦ ، ٣٩٧) (المغرب ، ١ / ١٠٣) (الديباج المذهب ، ٢ / ١٨٠ – ١٨٢) (كشف الظنون ، ٥ / ٤٤٩) .

(٥) أديب ، شاعر ، كان في حدود ٤٠٠ هـ أو نحوها .
(الجذوة ، ٢ / ٦٤٢) (بغية الملتمس ، ٥٣٩) .

(٦) كان وزيراً بقرطبة أيام الفتنة، مشهور الأدب والشعر .
(الجذوة ، ٢ / ٤٩٩) (بغية الملتمس ٤٢٦) .

(٧) ولد سنة ٣٠٧ هـ ببجانة، وكان فصيحاً، شاعراً، عالماً بالنسب ، طويل اللسان، مفوهاً ، توفي سنة ٣٨٩ هـ .
(تاريخ علماء الأندلس ، ١ / ٣١٥ ، ٣١٦)

(٨) كان أميراً قريباً من ٤٠٠ هـ، وفارساً من الأبطال، موصوفاً بالأدب البارع، والشعر الرائع .
(الجذوة ، ٢ / ٤٩٩ ، ٥٠٠) (بغية الملتمس ، ٤٢٨) (الحلة السيراء، ١ / ٢٨٢).

(٩) كان أديباً ، شاعراً، محسناً، توفي قريباً من ٤٢٠ هـ .
(الصلة ، ٢ / ٣٩٧) (الذيل والتكملة، ٢ / ٤٥٦)

(١٠) من أهل قرطبة، كان له حظ من علم الأدب، ونصيب من قرض الشعر، توفي سنة ٣٧٤ هـ .
(تاريخ علماء الأندلس، ١ / ٣٣٥) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عيسى بن محمد بن أحمد بن مهذّب بن معاوية اللخمي ، أبو الأصبغ [١] .

ابن فاكان ، أبو عبد الله [٢] .

قاسم بن مروان بن معبد الأزدي القُشَيْري الورّاق، أبو بكر [٣] .

لبنى كاتبة الخليفة الحكم عبد الرحمن [٤] .

متوكل بن أبي الحسين [٥] .

محمد بن إبراهيم بن خلف اللَّخْمي ، ابن زُرْقَةَ ، أبو عبد الله [٦] .

محمد بن أحمد بن سعيد المعَافري ، القزّاز، أبو عبد الله [٧] .

محمد بن أحمد بن عبد الله الأموي، أبو عبد الله [٨] .

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن حامد بن موسى بن العباس بن محمد بن يزن، ابن الأَزْرَق، أبو بكر [٩] .

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الملك بن أيمن ، أبو عبد الله [١٠] .

---

(١) ولد سنة ٣٣٣ هـ بإشبيلية، وكان فاضلاً، متفنناً، حافظاً للأخبار وممن يقول الشعر، توفي سنة ٤٢٠ هـ . (الصلة ، ٢ / ٤٣٤ ، ٤٣٥).

(٢) أديب ، شاعر، كان يتكلم على معاني الآداب، ومحاسن الأشعار.

(الجذوة ، ٢ / ٦٢٩، ٦٣٠) (بغية الملتمس، ٥٢٤) (نفح الطيب ، ٤ / ٧٧) .

(٣) من أهل قرطبة، كان شيخاً أديباً ، شاعراً، توفي سنة ٣٩١ هـ.

(تاريخ علماء الأندلس ، ١ / ٣٧٠) .

(٤) كانت حاذقة بالكتابة ، نحوية، شاعرة، بصيرة بالحساب، مشاركة في العلم، توفيت سنة ٣٧٤ هـ .

(الصلة ، ٢ / ٦٩٢) .

(٥) أديب، شاعر، مليح الشعر، كان قريباً من سنة ٤٠٠ هـ .

(الجذوة ، ٢ / ٥٦٠) (بغية الملتمس ، ٤٦٨) .

(٦) كان من أهل الأدب، متعلقاً بطلبه، قديماً مشهوراً فيه، وممن يقول الشعر الحسن، توفي سنة ٤٣٥ هـ، وهو ابن سبع وستين سنة.

(الصلة ، ٢ / ٥٢٦) .

(٧) من أهل إلبيرة، كان شيخاً صالحاً، ديناً، نحوياً، شاعراً ، توفي سنة ٣٧٩ هـ في إلبيرة.

(تاريخ علماء الاندلس ، ٢ / ٨٩) .

(٨) ولد سنة ٣٣٠ هـ ، بطرطوشة، وكان فقيهاً، عالماً، حافظاً ، متيقناً، متفنناً في العلوم، أديباً ، شاعراً ، توفي سنة ٣٩٩ هـ .

(القفطي، علي بن يوسف، المحمدون من الشعراء، حققه، وقدم له، ووضع فهارسه، حسن معمري، الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٩٧٠ ، ٦٨) (الصلة ، ٢ / ٤٨٤ ، ٤٨٥) .

(٩) ولد سنة ٣١٩ هـ بمصر، ووصل الأندلس ٣٤٩ هـ ، وكان أديباً ، شاعراً ، توفي سنة ٣٨٥ هـ .

(تاريخ علماء الأندلس ، ٢ / ١١٥ – ١١٨) .

(١٠) من أهل قرطبة، أديب ، شاعر، توفي سنة ٣٩٠ هـ .

(تاريخ علماء الأندلس، ٢ / ١٠٥) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محمد بن تمام ، أبو عبد الله [١] .

محمد بن الحسن ، ابن الكتاني ، أبو عبد الله المذحِجيّ [٢] .

محمد بن خطاب [٣] .

محمد بن عبد الرحمن بن أحمد التُّجِيبي، حَوْبيل [٤] .

محمد بن عبد الرحمن بن عيسى الحَجْري ، ابن القيم ، أبو عبد الله [٥] .

محمد بن عبد الله بن أبي زمنين ، أبو عبد الله الألْبِيري [٦] .

محمد بن مغيرة بن عبد الملك بن مغيرة بن معاوية القرشي، أبو عبد الله [٧] .

مسلمة بن عبد الملك [٨] .

الناجم [٩] .

---

(١) من أهل طليطلة، فقية، عالم، متفنن، شاعر، موثق، حسن الخط، قتله أهل طليطلة سنة ٤٠٠ هـ ، أو ٤٠١ هـ .
(الصلة ، ٢ / ٤٨٩) .

(٢) ولد سنة ٣٦٠ هـ بقرطبة، وله مشاركة قوية في علم الأدب والشعر، وله تقدم في علوم الطب والمنطق، توفي قريباً من سنة ٤٢٠ هـ.
(رسائل ابن حزم، ١ / ٣١٥ – ٣١٨ ، ٣٣٢ ، ٢ / ١٨٥) (جذوة المقتبس، ١ / ٦٧) (التكملة لكتاب الصلة، ١ / ٣٨٣) (بغية الملتمس ، ٨٨ ، ٨٩) (المغرب، ١ / ٢١١) (كشف الظنون ، ٦ / ٥٨) .

(٣) كان من الأدباء المشهورين، والنحاة المذكورين ، وله شعر مأثور، وكان قبل ٤٠٠ هـ.
(رسائل ابن حزم ، ١ / ٣١٥ – ٣١٩) (الجذوة ، ١ / ٧٤) (بغية الملتمس ، ٩٦) (التكملة لكتاب الصلة ، ١ / ٣٧٧) .

(٤) ولد سنة ٣٧١ هـ ، وكان أديباً ، شاعراً ، توفي سنة ٤٣٥ هـ .
(جذوة المقتبس ، ١ / ١٠٠) (الصلة ، ٢ / ٥٢٥ ، ٥٢٦) .

(٥) من أهل قرطبة، ومن أهل العلم بالنحو، واللغة والشعر، وشاعر مطبوع، وله حظ صالح من علم الحديث، توفي سنة ٤٣٦ هـ، وهو ابن أربع وتسعين سنة.
(الصلة ، ٢ / ٥٢٦ ، ٥٢٧).

(٦) ولد في إلبيرة سنة ٣٢٤ هـ ، وهو فقيه مقدم، وزاهد متبتل، وله تواليف متداولة في الوعظ والزهد، وأخبار الصالحين، وأشعارٌ كثيرة، توفي سنة ٣٩٨ هـ .
(الجذوة ، ١ / ٧٧ ، ٧٨) (مطمح الأنفس ، ٢٦٦ ، ٢٦٧) (الصلة، ٢ / ٤٨٢ ، ٤٨٣) (بغية الملتمس ، ١٠٠ ، ١٠١) (كشف الظنون، ٦ / ٥٨)

(٧) ولد سنة ٣٤٩ هـ بقرطبة، ثم سكن إشبيلية ، وهو من أهل العلم بالحديث والرأي ، وضروب الآداب، وممن يقول الشعر الحسن ، توفي سنة ٤٢٥ هـ .
(الصلة ، ٢ / ٥١٧) .

(٨) رئيس ، شاعر، أديب ، كان حياً في أيام الفتنة، ومات فيها.
(الجذوة، ٢ / ٥٥١) (بغية الملتمس ٤٦٣) .

(٩) شاعر، أديب، وله أخبار مع صاعد بن الحسن.
(الجذوة ، ٢ / ٦٤٩) (بغية الملتمس ، ٤٤٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هاشم بن عبد العزيز بن هاشم ، أبو خالد [١] .

يحيى بن أزهر [٢] .

يوسف بن حمود بن خلف بن أبي مسلم الصُّدَفِي ، أبو الحجاج [٣] .

يوسف بن سليمان بن مروان الأنصاري ، الرِّيَاحِي ، أبو عمر [٤] .

يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث ، أبو الوليد [٥] .

إن هذا العدد الجم من الشعراء الذي ينيف على مائة وأربعين شاعراً، ودور المنصور في رعايتهم، وتشجيع مواهبهم، فضلاً عن المستوى الفني الذي بلغه كثير من هؤلاء الشعراء، كل ذلك أدلة على مدى ازدهار الحركة الأدبية، والنشاط الشعري في ظل المنصور .

---

(١) أخو أسلم بن عبد العزيز القاضي، ومذكور بفضل وأدب.

(جذوة المقتبس، ٢ / ٥٨١) (بغية الملتمس ، ٤٨٤)

(٢) أديب، شاعر، وكان يروي عن أبي بكر عبادة بن ماء السماء .

(الجذوة ، ٢ / ٥٩٦) (بغية الملتمس ، ٤٩٨) .

(٣) ولد سنة ٣٥٧ هـ) ، بسبتة، وكان رجلاً صالحاً ، أديباً ، شاعراً، توفي سنة ٤٢٨) هـ .

(الصلة، ٢ / ٦٨٣) .

(٤) ولد سنة ٣٦٧ هـ وكان فقيهاً ، عالماً ، متديناً، ورعاً ، فاضلاً متقللاً من الدنيا، وكان نحوياً، عروضياً، شاعراً، نسابة ، توفي سنة ٤٤٨ هـ .

(الصلة ، ٢ / ٦٧٦ ، ٦٧٧) .

(٥) ولد سنة ٣٣٨ هـ وكان قاضي الجماعة بقرطبة ويعرف بابن الصفار ، توفي سنة ٤٢٩ هـ .

(الجذوة ، ٢ / ٦١٣) (الصلة، ٢ / ٦٨٤) (بغية الملتمس ، ٥١٢) (المغرب، ١ / ١٥٩) (تاريخ قضاة الأندلس ، ٩٥) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

قضايا الشعر في زمن المنصور بن أبي عامر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يكن الشعر في عهد المنصور بعيداً عن حلقات سلسلة المجتمع ، بل ارتبط بكل صغيرة وكبيرة في حياة الناس من سياسة ، واجتماع ، وفن ، وأدب ، وهذا نابع من كون الشعر في تلك المرحلة يعد من أهم وسائل الثقافة والإعلام ، لذا ، فإننا نجد أن الشعراء روّجوا للحاكم ، وتغنوا بصورة الدولة المثلى ، وتطرقوا أيضاً لما عرض لبعضهم من تضييق واضطهاد ، وتناولوا الطبيعة التي عاشوا فيها ، وتناولوا أحساسيسهم وعواطفهم الذاتية ، وبينوا المعالم الاجتماعية والحضارية في عهد المنصور ، لذا ، فإنني سأتناول ما يلي :

أ - الشعر والأحداث الداخلية والخارجية

يعد هذا القسم الأصل في الدور الذي اضطلع شعراء الديوان به ، ويتناول هذا القسم أيضاً نتاج الشعراء عن شخصية المنصور ، فقد كانت شخصية محورية ، سلط الشعراء الضوء عليها ، لأنها كانت تحكم في تلك الفترة من تاريخ الأندلس ، لذا ، فإنني سأعالج في هذه الدراسة قضايا متعددة في مقدمتها، نسب المنصور ، حقه في الحكم ، صفاته ، سياسته .

ا - شخصية المنصور بن أبي عامر .

وأما شخصية المنصور ، فقد كانت مدار حديث الشعراء في تلك الفترة ، وحلل الشعراء شخصيته من زوايا متعددة ، فعرضوا لنسبه ، وأبرزوا الصفات التي كان عليها ، سواء أكانت صفات جسمية ثابتة أم صفات معنوية مكتسبة ، ومدحوا ابنيه المظفر وعبد الرحمن .

ا - نسبه

وقد ربط الشعراء بين ماضي العامريّين الموغل في القدم ، وحاضرهم الذي انتهت الرئاسة فيه إلى المنصور ، ولم يخترع الشعراء ذلك النسب ، فقد ذكر ابن خلدون في مقدمته أن المنصور من عصبية قوية ، فقال : « والمنصور بن أبي عامر ، وابن عباد كانا من قبائل العرب القائمين بالدولة الأموية بالأندلس ، وأهل عصبيتها ، وكان مكانهم فيها معلوماً ، ولم يكن نيلهم لما نالوه من الرئاسة والملك بخطة القضاء كما هي لهذا العهد ، بل كان القضاء في الأمر القديم لأهل العصبية من قبيل الدولة ، ومواليها كما هي الوزارة لعهدها بالمغرب»[1]، وقد أشار القسطلي إلى علو نسب المنصور ، فقال :

هُوَ الحاجِبُ المنصورُ والملكُ الذي ... سَعى فتعالى جَدُّهُ فتناهى

سليلُ المُلوكِ الصِّيدِ من سَرْوِ حِمْيَرٍ ... توَسَّطَ في الأحْسابِ سَمْكَ ذُراها [2]

---

(١) ابن خلدون، المقدمة ، ٣١ .

(٢) ابن درّاج القسطلي ، ديوانه ، ١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفصل الشاعر نفسه القول في ملوك حمير من العامريين ، وبين أنهم خبروا الحكم والسلطة في حالتي السلم والحرب ، وسبروا غوريهما ، وكانوا يتمتعون بالتوازن النفسي في أحوالهم كلها ، فقال :

تَلاقَتْ عليه من تَميمٍ ويَعْرُبٍ شُموسٌ تلالا في العُلا وبُدورُ
منَ الْحِمْيَرِيِّينَ الذين أكُفُّهُمْ سَحائِبُ تَهْمي بالنَّدى وبحورُ
لَهُم بَذَلَ الدَّهْرُ الأبِيُّ قيادَهُ وَهُمْ سكَّنوا الأيامَ وَهْيَ نُفورُ
وهم يَسْتَقِلّونَ الحياة لراغِبٍ ويستصغرون الخطْبَ وَهْوَ كبيرُ (١)

وينقلنا الشاعر نفسه إلى أجواء الدعوة الجديدة بزعامة النبي عليه السلام ، فبين دور العامريين الحاسم في نصرة الدعوة الجديدة ، فقال :

وَهُمْ نَصَروا حِزْبَ النُّبوَّةِ والهُدى وليس لها في العالمين نصيرُ
وَهُمْ صَدَّقوا بالْوَحْيِ لما أتاهُمُ وما الناسُ إلا عاندٌ وكفورُ (٢)

وكان الشاعر نفسه كثيراً ما يلتفت إلى المنصور في معرض خوضه في نسب العامريين ، فقال :

فاسْلَمْ ولا زالَ عزُّ الْمُلْكِ مُتَّصِلاً من يَعْرُبٍ وبنيه حيث لم يَزَلِ (٣)

وقد شغل مدح العامريين في مراحل الإسلام الأولى مساحة واسعة من قصائد القسطلي ، فركز على بدر وأحد ، وبين دور العامريين الفاعل في تلك المعارك ، ومن قوله :

وَهُمُ المغفورُ في بَدْرٍ لَهُمْ وَهُمُ الأبرارُ في يومِ أُحُدْ
وَهُمُ حُرّاسُ نفسِ المصطفى حين نام الجيش عنه وَهَجَدْ
وَهُمُ أندى وأعطى من قرى وَهُمُ أرضى وأزكى من شَهِدْ (٤)

وينقلنا الشاعر نفسه إلى فتح الأندلس ، إذ شارك جد المنصور عبد المليك في الفتح مع طارق بن زياد ، يقول :

---

(١) ابن درّاج القسطلي ، ديوانه ، ٣٠١ .
(٢) نفسه ، ٣٠١ .
(٣) نفسه ، ٤١٦ .
(٤) نفسه ، ٣٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَكُلُّ عَدُوٍّ أنت تَهْدِمُ عَرْشَهُ وَكُلُّ فتوح عَنْكَ يُفْتَحُ بابُها

وإنَّكَ من عبد المليك الذي لهُ حُلى فَتح قُرْطاجَنَّةٍ وانتهابُها

حباها أبو مَروانَ جَدُّك قابضاً بِكَفٍّ تليدٍ طعنُها وَضِرابُها (١)

يلاحظ مما سبق أن القسطلي وقف عند أحداث الدعوة الجديدة ومشاركة العامريين فيها ، وعرض أيضاً لفتح الأندلس مغفلاً سقوط الحضارة اليمنية ، ومتجاوزاً أحداثاً كثيرة في التاريخ الإسلامي ، مما يدل على أن الشاعر كان يقف عند الأحداث الكبرى التي تشكل مفاصل التاريخ .

ويعرض ابن درّاج أيضاً لأهلية العامريين للحكم ، فهم يبذلون المال دون خوف أو تقتير ، وهم يخوضون الحروب دون تردد أو وجل ، بما يحقق العزة والنصر ، ومن قوله :

مَنْ ذا يُنازِعُكُم أعْلامَ مكرُمَةٍ والْمَجْدُ مُتْلِدٌ فيكُمْ ومُطَّرِفُ

أم من يُباريكُمُ سَبْقاً إلى كرَمٍ والْبَرْقُ عن شأوِكُمْ بالْمَجْدِ مُعْتَرِفُ

والنَّصْرُ مُنْسِلُكُمْ والحَرْبُ مُرْضِعُكُمْ وشامخُ العِزِّ والعَلْيا لكم كَنَفُ (٢)

ويفسر الشاعر نفسه تصرفات العامريين في حالتي السلم والحرب ، أما في السلم فإنه ينتشر الخير العميم على أيديهم ، وأما في الحرب فهم عنيفون ، أباة ، فقال :

إن سَألوا الأرضَ كانوا غيثَ أمْحُلِها أو كَلَّفوها توالي خَيْلِهِمْ عَنَفُوا

وإن رَضُوا أشْرَقَ الليلُ البهيمُ بهم ويكشفُ الموتُ عن ساقٍ إذا أنِفوا (٣)

ومما يدل على قوة النزعة العسكرية لدى العامريين ، وثبوت نسب المنصور ، قول الشاعر نفسه :

هُمْ أنْجَبوك وَقَلَّدوكَ سيوفَهُمْ للنَّصْرِ تُبْلي في الاله وتَبْتَلي(٤)

وقد ذهب حبيب بن أحمد الشطجيري إلى أن المنصور مالك الرعية ، وهو المتصرف في شؤون المسلمين ، ومنها قوله :

لا ضَيَّعَ اللهُ للمنصور مالكنا حوط الهدى وصلاح الدين بالنظر

في كُلِّ يَوْمٍ له في المسلمين يَدٌ غَرّاء تخبرُ عن أفعاله الغُرَرِ (٥)

---

(١) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ٢٥٦ .

(٢) ابن درّاج القسطلي ، ديوانه، ٣٥٨ .

(٣) نفسه، ، ٣٥٩ .

(٤) نفسه ، ٤٢٠ .

(٥) الثعالبي، يتيمة الدهر ، ٢ / ٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبرر ابن درّاج شرعية حكم المنصور عن طريق بيان صلته بالرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال:

حُسامُ الإمامِ المصطفى وسِنانُهُ وَمَفْزَعُهُ في المُشْكِلاتِ وحاجِبُهْ (١)

وذهب الشاعر نفسه إلى أبعد من ذلك ، حين نظر إلى المنصور بأنه قدر ، ونائب عن الله في الأرض ، يقول :

هُوَ القَدَرُ المحتومُ منْ ذا يَرُدُّهُ وَسُلطانُ رَبِّ العَرْشِ من ذا يُغالِبُهْ (٢)

ب - صفات المنصور بن أبي عامر

ولم يغفل الشعراء الحديث عن صفات المنصور الخَلْقيَّة والخُلُقيَّة، فقد وصف الشعراء في تلك المرحلة صفات المنصور الخَلْقيَّة ، وما يتعلق من وظائف بها ، ومزايا ، فقد صور القسطلي المنصور بأنه فارس يحسم المعارك لمصلحة الدولة ، يقول :

مُعَظَّمُها منصورُها وجوادُها وفارسُها يوم الوغى وفتاها (٣)

وكان التفوق في الفروسية حتى انتهاء فترة العصور الوسطى شرطاً رئيساً من شروط السيادة ، يقول الدكتور دينيس لويد : « وبالنسبة لفارس العصور الوسطى كانت الحرب أو القتال النشاط الوحيد الجدير بالاحترام في نظام المجتمع القائم آنذاك » (٤) ، وقد ثبت تفوق المنصور في مجال الفروسية من خلال ممارستها في الحروب ، أما إذا انقطعت السبل بينه، وبين مباشرتها لأعذار قاهرة ، فإن وضعه النفسي يصبح غير طبيعي ، يقول ابن درّاج :

وأروهُ فارساً مستلئماً وأنا كذّابُكُم إن لم يَشُدّ
هَدّئوهُ بالعَوالي والظُّبى وبأبطال الكُماةِ تَجتَلِدْ (٥)

وكان المنصور جميلاً ، بهيَّ الطلعة ، مشرقها ، ومن قول الشاعر نفسه فيه :

فكأنَّ صَفحَةَ وَجْهِهِ شَمْسُ الضُّحى وُصِلَتْ بَبَدْرٍ بالنُّجومِ مُكَلَّلِ (٦)

---

(١) ابن درّاج ، ديوانه ، ٣٧٩ .
(٢) نفسه ، ٣٧٩ .
(٣) نفسه ، ١٤ .
(٤) المحامي اللورد دينيس لويد، فكرة القانون، تعريب المحامي، سليم الصويص، ومراجعة سليم بسيسو، الكويت، عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨١م. ١٣٨ .
(٥) القسطلي، ديوانه، ٣٧٠ .
(٦) نفسه، ٤٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان المنصور ملكاً ، يزين التاج جبينه ، يقول الشاعر نفسه :

يختالُ تـــاجُ الْمُلْكِ فـــوقَ جَبِينِهِ لمـــا تَبَوَّأَ منـــه أكـرَمَ مَنْزِلِ (١)

وترتبط بملوكيته فكرة المهابة التي تقوم على خشية الآخرين له ، قال الشاعر نفسه :

وتَواضَعَتْ صـــيدُ الملـــوك مهابَةً يَضـعون أَوْجُهَهُمْ مكـان الأَرْجُلِ (٢)

والتفت الشعراء إلى صفات المنصور الخُلُقية أيضاً ، فقد ربطوا بين أخلاقه ومصادرها ، وحرصوا أن تكون المصادر أصيلة ، فورد عند القسطلي أن خلق المنصور مستمد من الدين ، إضافة إلى مناقب يتميز وحده بها ، يقول :

ســامٍ إلـــى شِيَمِ الـمُلوكِ منازعٌ هـــادٍ علـــى خُلُقِ الهُـــدى مفطورُ

مُتَفَرِّدٌ بمنـــــاقِبٍ متقاصِـــرٌ عـن كُنْهِها المَنظومُ والمنـثورُ (٣)

وجاء عند الشاعر نفسه أن المنصور هو الحامي للدين ، الذاب عن حياضه ، المطبق لأحكامه بالعدل ، يقول :

فليشـــكرن الـديـــن أن أوليتـــه عطـف الشـقيق وخـلة الأرحـام

فصـدعت عـــنه الجـور صـــدعة ثائر ونظـمت فيـه العـــدل أي نظـام (٤)

ويدرج الشاعر نفسه صفات الجود ، والحمد ، والسبق ، والحكم للمنصور ، فقال :

بالجـــود مُغْتَبِقٍ بالحَمْدِ مُصْطَبِحٍ في السَّبْقِ مُنْقَطِعٍ بالحِلم مُتَّصِلِ (٥)

ويوضح الشاعر نفسه أن المنصور ضرب المثل الأعلى في الشجاعة ، لكونه يكسر شوكة الملوك الأقوياء، فقال :

ويَتْرُكُ الـمَلِكَ الجَبّارَ مُخْتَلَعاً عنـــهُ رداءُ العُـــلا والعِـــزَّ مُسْتَلَبا

مُجَدَّلاً بِجَنوبِ الأرضِ مُنْعَفِراً وَمُشْعِراً بِنَجيعِ الجَوْفِ مُخْتَضِبا(٦)

---

(١) ابن درّاج القسطلي، ديوانه ، ٤١٩ .

(٢) نفسه ، ٤٢١ .

(٣) نفسه ، ٣٩٤ .

(٤) نفسه ، ٤٢٥ .

(٥) نفسه ، ٤١٦ .

(٦) نفسه ، ٣٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصور الشاعر نفسه صبر المنصور في المعارك ، وسقوط الأقوياء حوله قتلى وجرحى ، يقول :

وافَتْـــهُ فـــي الرَّوْعِ مملـوءاً جـوانِحُهُ صَبْراً على الْهَوْلِ والأبطال تَتَزِفُ (١)

ومدح الشاعر نفسه المنصور بأنه كان يطبق الإجارة بمعناها الدقيق ، يقول :

وَمَلْجَأً أمْنِ الْمُسْـــتَضامِ كفى الدَّهْرَ حتى ما تنوبُ نوائِبُهْ (٢)

يبدو مما سبق أن شخصية المنصور كانت شخصية محورية ، وقد كان المنصور شأنه شأن معظم الحكام في العهد القديم ، إذ لم يكن للشعب دور في اختياره ، بل فرض نفسه بالقوة عليهم ، ولتبرير بقائه في السلطة ، ودفع الشعب إلى تأييده ، لجأ إلى استخدام وسيلة إعلامية تتمثل في دور الشعراء في توجيه الرأي العام ، فالفرد المستبد بالسلطة يلجأ إلى محاولات إقناع الشعب بأنه أفضلهم أصلاً وشروطاً لاستلام الحكم ، وقد لجأ الشعراء إلى الترويج الدعائي الضخم إزاء أصل الحاكم ، وشروطه ، لقد جعلوا المنصور شخصية يمتد نسبها إلى العرب الأوائل الأقحاح ، وربطوا بين قومه وبين أفضل من أخرجت الأمة العربية ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، كما أن الشعراء خلعوا صفات كثيرة عليه ، منها الشجاعة الخارقة ، والحلم المحمود ، والصبر الشديد ، والكرم الأصيل ، والإباء الذي لا يضعف أو يلين .

وكانت قيم المدح الآنفة الذكر التي أشاعها الشعراء قد لاقت قبولاً من الناس لجملة أسباب :

أولها : إن الأندلسيين كانوا يفخرون بالعروبة ، لأنها تمثل الجذور بالنسبة إليهم .

ثانيها : إن العقيدة الدينية تجعلهم يلتفون حول كل من له صلة قرابة أو نسب أو نصرة بمحمد صلى الله عليه وسلم .

ثالثها : إن المنصور كان يمتلك من مقومات الحاكم ما يخوله ممارسة الحكم .

٣ - السياسة الخارجية

وأما السياسة الخارجية فيمكن النظر إليها في تلك الفترة من خلال علاقة دولة المنصور بالدول المجاورة ، إذ كانت تقوم من جانب المنصور على القتال دون مهادنة ، وكانت المعاهدات تجسد سلطة المنصور بصفته الغالب للدول المجاورة ، وكانت أنباء الحروب تشمل التجهيز للمعارك ، وكيل المديح للمنصور في المناسبات، والوقائع الحربية مع الأعداء .

---

(١) ابن درّاج القسطلي، ديوانه، ٣٦٠ .
(٢) نفسه ، ٣٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١ - جهود المنصور العسكرية

وكان وضع دولة المنصور في تلك الآونة أن الأعداء قد أحاطوا بها ، لذلك فإنه استجاب للتحدي بالاستعداد العسكري ، والتدريب المستمر ، وبنى المنصور جيشاً قوياً ، مقاتلاً بالجهد والرعاية الدائمة ، حتى أصبح جيشاً متميزاً ، ويصور القسطلي جيش المنصور بأنه أراقم ، دائبة الحركة ، وكتائب تتدفق كالمطر، والجندي في ذلك الجيش مدرب أحسن تدريب ، ويتمتع بالرشاقة الجسمية ، والروح المعنوية العالية، ومن ذلك قوله :

أراقِمُ تَقري ناقعَ السُّمِّ مالها ... بما حملت دون الغواة مقيلُ
إذا نَفَثَتْ في زَوْرِ زيري [1] حُماتِها ... فَوَيْلٌ لـه من نكزها وأليلُ
هنالِكَ يَبلو مَرْتَعَ الْمكْرِ أنَّهُ ... وخيمٌ على نفس الكفور وبيلُ
كتائبُ تعتامُ النفاق كأنَّها ... شآيبُ في أوطانه وسيولُ
بِكُلِّ فَتىً عاري الأشاجع مالَهُ ... سوى الْمَوْتِ في حمى الوطيس مثيلُ
خفيفٌ على ظَهْرِ الْجَوادِ إذ عَدا ... ولكن على صَدْرِ الكميِّ ثقيلُ [2]

ويلاحظ في النص السابق أنه ورد مصطلح الكتائب ، ويخبرنا الأمير عبد الله بن مرزلي في مذكراته معنى المصطلح ، فقال :« وتوقع المنصورُ من أجناده الاتفاق على بعض ما يخل بدولته ، إذ كانوا صنفاً واحداً، وتألبهم على معصية أمره ، متى أمر بما أحبوا أو كرهوا ، فنظر من ذلك بعين اليقظة ، وسوّل له رأيه أن تكون أجناده قبائل مختلفة ، وأشتاتاً متفرقة ، إن هم أحد الطوائف بخروج على الطاعة، غلبها بساير الفئات »[3] .

وأهاب القسطلي بجيش المنصور المدجج بالسلاح عن طريق إبراز الدور القيادي للمنصور في الحرب ، فقد كان دوراً واضحاً ، ومصيرياً ، وحاسماً ، يقول :

---

(١) هو زيري بن عطية الخزري المغراوي، حكم المغرب، وصار أمير زناته، كان يدعو لبني أمية في دولة هشام المؤيد، وانقلب على ابن أبي عامر بعد حب شديد، وقامت حروب طاحنة بينهما، كانت نتيجتها هزيمة زيري.
(البيان المغرب، ١ / ٢٥٢ ، ٢٥٣) .

(٢) ابن دراج القسطلي ، ديوانه ، ٦ .

(٣) الصنهاجي ، عبد الله بن بلقين بن باديس، مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب «التبيان» تحقيق إ.ليفي بروفنسال، القاهرة، دار المعارف ، ١٩٥٥ ، ١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بَهَرَتْ مناقبُكَ الضُّحى وتقاصَرَتْ عن كُنْهِها الأشْباهُ والأمثالُ
نفسي فداؤُكَ والنفوسُ هَفَتْ بها نارُ الوغى وتصادم الأجيالُ
والبيضُ تلمعُ والأسِنَّةُ تَلتَظي والْخَيْلُ في ضَنْكِ الوغى تختالُ
ومجالُ وَجْهِكَ في مواقِفَ للرَّدى وما لِلْخَواطرِ بينَهُنَّ مجالُ
ونفيسةٍ أقْحمْتَ نفسكَ دونها إن النفائِسَ بالنفوس تُنالُ[1]

ويخبرنا الشاعر نفسه أن المنصور في حالة استنفار دائم إلى أرض الأعداء حتى في أيام العيد ، وأما جيشه، فخشن ، مقاتل ، كأنه الأراقم ، والصقور ، ويدخل الذعر في قلوب الأعداء ، فقال :

وَحَسْبُكَ من خَفْضِ النَّعيمِ مُعَيِّداً جهازٌ إلى أرض العِدى ونفيرُ
فقُدْها إلى الأعْداءِ شُعْثاً كأنَّها أراقِمُ في شُمِّ الرُّبى وصُقورُ
فَعَزْمُكَ بالنَّصْرِ العزيزِ مُخَبِّرٌ وسَعْدُكَ بالفتحِ المبينِ بشيرُ [2]

وألقى الشاعر نفسه الضوء على ماهية جيش المنصور ، فهو متفوق عقيدة ، وعدداً ، وعدة ، وأساليب قتالية ، إضافة إلى تميز الجندي فيه بأنه محارب رفيع المستوى ، يقول :

فانْهَضْ بِحِزْبِ اللهِ يَقْدُمُ جَمْعَهُ حِفْظُ الإلهِ وَسَعْيُكَ المشكورُ
في جَحْفَلٍ جَمِّ العَديدِ كأنَّهُ قَلَكٌ على الأرْضِ الفَضاءِ يَدورُ
عُمَّتْ بهِ الأقطارُ إلا مَوْضِعاً فيهِ عَدُوُّكَ للسيوفِ أسيرُ
لَجِبٍ يُغِصُّ الأرضَ وَهْيَ عَريضَةٌ وَيَرُدُّ غَرْبَ الطَّرْفِ وَهْوَ حَسيرُ
من كُلِّ مِقدامٍ يكادُ فؤادُهُ طرباً إلى نَغَمِ السيوفِ يطيرُ [3]

مما تقدم يظهر أن المنصور قد لجأ إلى التنويع في تركيبة الجنود ، فقد وصل إلى سدة الحكم عن طريق التحالفات ، ثم مزقها ، وبذلك يكون قدسد الطريق على من يأتي بعده ، وكان هذا الأسلوب ناجحاً في إيجاد جيش قوي يخوض المعارك ، ويحقق النتائج الحاسمة ضد أعدائه .

وعبر الشعراء عن فرحهم الغامر بالانتصارات التي كان يحققها المنصور ، وعرضوا للمفارقة بين

(١) القسطلي ، ديوانه ، ٣٠٣ .
(٢) نفسه ٣٠٣ .
(٣) نفسه ، ٣٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العقيدة الإسلامية، وبين العقيدة المسيحية في مدائحهم، واغتنموا المناسبات كالأعياد لإذاعة القصائد المدحية ، وكان الشعراء يبثون مشاعرهم تجاه الانتصارات التي كان يحققها المنصور على الأعداء ، فقد كان يحدوهم الزهو ، والفرح الغامر ، وقد هنأ صاعد المنصور بالفتح من خلال استذكاره للمعارك الأولى في الإسلام ، وقدم صورة رائعة للحرب بين المنصور وبين أعدائه ، فقد كانت أقرب إلى الملحمة التي تألق نجم المنصور فيها ، ومنها قوله:

جَدَّدْتُ شكري للهوى المتجدِّدِ ... وعهدتُ عندك منه ما لَم يَعْهَدِ
اليومَ عاشَ الدينُ وابتدأ الهُدى ... غَضّاً وعادَ الْمُلْكُ عَذْبَ الْمَوْرِدِ
وَوَقَفْتَ في ثاني حنين وقفةً ... فرأيتَ صُنْعَ اللهِ يؤخَذُ باليَدِ
من فاتَهُ بَدْرٌ وأدْرَكَ عُمْرَهُ ... جَرِّيرَ فهو من الرعيل الْأَسْعَدِ
فَوَدَدْتُ لو حتم القضاءُ بأنني ... في القوم أوّلُ طالعٍ مُستَشْهِدِ
فما أستكينُ لروعة ومحمدٌ ... وبنوهُ أنصارُ النبيِّ مُحَمدِ
غطى عليه المشركون فلم يكن ... في القوم إلا صخرة في فَدْفَدِ
حتى تحصن بالملائكة التي ... حَصَنَتْهُ بين معفر ومُرودِ
حَمَلْتَ ميامنهم عليك نَشيجَةً ... كالسيل يحطم جلمداً عن جلمدِ
ورآوك فارتدّوا على أعقابهم ... مثل ارتداد تنفس المتنهدِ
وركبت قُلَّهُم بكل مهنَّدٍ ... يفضي به في الروع كل مهندِ [1]

يبدو من النص السابق ربط الشاعر بين أحداث المعركة وبين أحداث حنين ، ولكن شدة بأس المنصور وثباته في المعركة حوّلا موازين الحرب لمصلحته ، مثلما ثبت الرسول صلى الله عليه وسلم وحده في المعركة، كما يكشف النص أن المنصور محارب من الطراز الأول ، فقد لاحظنا أنه وحده تحمل ضغط الأعداء الشديد، وكأنه بطل أسطوري .

ويبدي ابن درّاج إعجابه بالمنصور في فتح شنتياقة[2] إذ أعلن الجهاد ، وحارب بالسيف الذي يمثل ذروة الشجاعة ، وامتدح المنصورلالتزامه إنصاف المسلمين المظلومين من الأعداء ، يقول :

---

(١) لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام، ٧٢ ، ٧٣ .

(٢)شنتياقة أوشنت ياقوت : تقع في ثغور ماردة، وفيها كنيسة عظيمة، وسميت البلدة باسم الكنيسة، غزاها المنصور سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ، وأوسع أهلها قتلاً وأسراً وقراها وأسوارها هدماً واحراقاً . (الحميري، الروض المعطار، ٣٤٨).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالله جازيكَ يا منصورُ دَعْوَتَهُ بسعي ماضٍ لنصر الله مُحْتَسِبهْ
وعن كتائبَ للإسلام قدْت بها الى رضا الله حتى كُنَّ من كُتُبهْ
ومُؤْمِنٍ مُنْصِبٍ لله مُهجَتَهُ بَلَّغْتَهُ أَمَدَ المغْبوطِ من نَصَبِهْ
وعن حُسامِ هُدىً لم تَجْلُ صفحتَهُ إلا أَسَلْتَ دِماءَ الشِّركِ في شُطُبهْ
وَلْيَفْتَخِرْ منك يا منصورُ يومُ عُلاً تركتَ غايرةَ الأيام تَفْخَرُ بِهْ (١)

وعبر الشاعر نفسه عن فرحه لنجاح المنصور في أسر غرسية بن فرلنذ الذي كان يعد خطراً جسيماً على الدين والدولة في الأندلس ، يقول :

فَيَهْنِ الدينَ والدنيا بشيرٌ بِغَرْسِيَةِ الأعادي والعَداءِ
بصُنْعٍ أعجزَ الآمالَ قدْماً وقَصَّرَ دونَهُ أَمَدُ الرَّجاءِ
أَلَذُّ على المسامع من حَيَاةٍ وأَنْجَعَ في النفوسِ من الشِّفاءِ
فيا فَتحاً لِمُفْتَتِحٍ وبُشرى لِمُنْتَظِرٍ ويا مرأىً لِداءِ
أسيرٌ ما يُعادَلُ في فكاكٍ وعانٍ ما يُساوى في فداءِ
هُوَ الدَّاءُ العياءُ شَفَيْتَ منهُ فما للدينِ من داءٍ عياءِ (٢)

مما سبق يظهر أن الشعر في هذا الموضوع يقوم مقام دوائر التوجيه المعنوي في الجيوش الحديثة في زماننا، وكان الغرض من هذا الشعر إعلاء مكانة المنصور ، ورفع قيمة الأعمال الحربية التي قام بها ، وبث الروح الجهادية في أوساط الشعب .

وبصدد العقيدة ، فإن شعراء المنصور رأوا في تلك الفترة أن العقيدة الإسلامية تؤدي إلى الارتياح، والتسليم، والاطمئنان ، والإيمان الكامل ، وبالمقابل رأوا أن العقيدة المسيحية تبعث على الشؤم ، والكفر ، والشك المطلق ، وقد عبر عن هذه المفارقة معظم شعراء المدح ، وقد كشف القسطلي النقاب عن سيرة المنصور الجهادية ، ووضح أنه يخوض غمار معارك ضارية ، صعبة ، قاسية ، ليس من السهل تحقيق النصر فيها، ولكنه يحرز النصر ، ويحرق الصلبان ، ومنها قوله :

---

(١) ابن دراج القسطلي ، ديوانه ، ٤٤٣.
(٢) نفسه، ٤٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يا رُبَّ شامِخَةِ الذُّوائبِ والذُّرى ... أوطَأْتَ أعــلامَ الهُـدى أعــلامها

أشْـرَعْتَ تنحوهــا قِسِيٌّ عَزائِمٍ ... كــانت هــوادي الْمُقْرَباتِ سِهامَها

الرِّيــحُ أحْسَــرُ مــن يَؤُمُّ مَحَلَّهــا ... والنَّجْمُ أدْنــى مــن يَدَيْ من راقَهــا

فَهَتَكْتَ بالبيضِ الرِّقاقِ سُجُوفَها ... وَفَضَضْتَ بالجردِ العِتاقِ ختامَها

وَرَفَعْتَ مــن صُلبــان يــعة قُدْسِها ... نــاراً تَشُــبُّ على الضَّلالِ ضِرامَها [1]

ويكرر الشاعر نفسه مشهد إضرام النار العظيمة في الصلبان وقت حلول عيد المسيحيين على يد المنصور، فقال :

وكانَ لها الفِصْحُ الأجَلُّ فأصْبَحَتْ ... لنارِكَ فِصْحاً ما لها بَعْدَهُ فِصْحُ

فَلِلّه عينا من رأى بك صَرْحَها ... ومن جاحِمِ النيرانِ في سَمْكِهِ صَرْحُ

رَفَعْـتَ مـن الصُّلْبانِ فـي عَرَصاتِها ... وقـوداً لـه فـي وَجْهِ رومِيَّةٍ لَفْحُ [2]

مما سبق يلاحظ أن العصور الوسطى شهدت حروباً صليبية واضحة ، لذلك ، فإن الشعراء المسلمين ركزوا على حرق الصلبان ، لأنها رمز السيادة بالنسبة إلى المسيحيين .

وإزاء مناسبات الأعياد فقد رفع الشعراء أصواتهم فيها ، مهنئين المنصور بالعيد ، ومشيدين بالانتصارات التي حققها ، ولم يتوان القسطلي عن إظهار حبه الشديد للمنصور عن طريق تمنياته له بالصحة والسلامة ، وبلوغ أقصى أهدافه ، ومنها قوله :

عــادَتْ عليــكَ عوائِدُ الأعوامِ ... فــي العِزِّ والإجــلالِ والإعظامِ

وَعَمَرْتَ هــذا الملــكَ منتهيــاً بِهِ ... أمَدَ الدُّهورِ وَغايَةَ الأيامِ

فــي صِحَّــةٍ مصحوبَةٍ بتمامِ ... وســلامةٍ موصولةٍ بدوامِ

وَقَهَرْتَ أشيــاعَ الضَّــلالِ مُؤيَّداً ... بنوافِذِ الأقــدارِ والأحكامِ

وَبَلغْتَ حيثُ نَوَتْ لِقَصْدِك همَّةٌ ... موصــولةُ الإنجاد والإتهامِ [3]

---

(١) ابن درّاج القسطلي، ديوانه ، ٢٩٦ .

(٢) نفسه ، ٣٩١ ، ٣٩٢.

(٣) نفسه ، ٤٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويصادف أحد الأعياد أن المنصور حارب أهل الضلال ببسالة ، أدت إلى تحقيق النصر ، وترتب على ذلك تمزيق حزب الشرك ، والظفر بالمكاسب المادية والمعنوية ، فقال الشاعر نفسه :

فَضَرَبْتَ أشياعَ الضَّلالِ بعَزْمَةٍ ... عَجِلَتْ إليهِمْ بالحمامِ المُعْجِلِ
فَأَعَدْتَ أرْضَهُمُ وليسَ لمعقِلٍ ... قَصْدٌ وليسَ لِمُفْلِتٍ مِن مَعْقِلِ
بِعَزائمٍ ومخائلٍ أعْيَتْ على ... بَأسِ الشُّجاعِ وحيلة المُتَحَيِّلِ
فَتَرَكْتَ حِزْبَ الشِّرْكِ بين مُصَرَّعٍ ... وَمُعَفَّرٍ وَمُجَدَّلٍ وَمُرَمَّلِ
وَثَنَيْتَ حِزْبَ الدينِ بينَ مُمَلَّكٍ ... وَمُظَفَّرٍ وَمُغَنَّمٍ وَمُنَفَّلِ[1]

وقد أبدى الشاعر نفسه رأيه في حكم المنصور بأنه يسوس أطراف البلاد برأي مجاهد ، أي ينزع نزوعاً شديداً إلى قتال الأعداء ، وتحصين الثغور ، مما يجعل الدولة قوية ، مهابة الجانب من أعدائها ، ومنها قوله :

كتائبُ توحيدِ الإلهِ شعارُها ... وما يومُ خِزْيِ الكُفرِ فيها بواحدِ
إذا يَمَّمْتَ منه حِمىً فكأنّما ... أَرَبَّتْ عليه مُصْعِقاتُ الرَّواعِدِ
لَئِنْ حَلَّ دارَ المُلْكِ من بَعْدُ قافِلاً ... لَقَدْ شَدَّ أقصاها برأي مُجاهِدِ[2]

كان المنصور متفوقاً في حروبه مع الأعداء ، وقد أبرز الشعر هذه القيمة في الأعياد التي تحتفل الأمة فيها بالإنجازات ، ومنعة الحمى ، ويمكن لنا أن نستنتج أيضاً أن التركيز على المدح خلال الأعياد ، والمناسبات العامة ، يكون تأثيره أقوى من أي وقت ، لأن الشعب يكون على استعداد للسماع في أعياده ، ومناسباته العامة .

ب - المعاهدات .

وأما موضوع المعاهدات ، فإنني لن أبحثه في وضعه الراهن ، وإنما أكتفي بذكر إحدى صورتيه أو شكليه، فلم يكن في ذلك الوقت إلا المعاهدة التي تنظم الهدنة ، أو تملي شروط المنتصر على المهزوم ، لعدم وجود علاقات دولية واضحة في ذلك الوقت بين الدول سوى القتال ، وقد تحدث القسطلي عن وفادة ثانجة بن غرسية بن فرلنذ سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة إلى المنصور ، ويتضح من خلال الأبيات التالية أن المنصور كان يمارس مع أعدائه المهزومين القاعدة التي كانت مطبقة في عصره ، والعصور التي سبقته ، وهي أن المعاهدة التي تبرم بعد انتهاء الحرب هي إملاء لشروط المنتصر على المهزوم ، ويتضح

(١) ابن درّاج القسطلي، ديوانه، ٤٢٠ .
(٢) نفسه ، ٤٠٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أيضاً أن الأشياء كلها بما فيها حياة المهزومين هي في مهب الريح ، فإذا شاء المنصور عفا ، وإن شاء أتى على حياتهم أو حريتهم ، يقول:

وَقَدْ تَيَمَّمَ « شَنْجٌ » منكَ عائذَةً ... تُجيرُهُ من سُيوف الكَرْبِ والوَهَلِ

وقادَ نَحْوك والتوفيق يَقْدُمُهُ ... جيشاً من الذُّلِّ ملءَ السَّهْلِ والجَبَلِ

مُسْتَعْطِفاً لحياةٍ جَلَّ مَطْلَبُها ... عن مُبْلِغ الكُتْبِ أو مُسْتَعْطِفِ الرُّسُلِ

مُسْتَخْذِياً لسيوفِ النَّصْرِ حينَ أَبَتْ ... من دينِ طاعَتِهِ قولاً بلا عَمَلِ

خَلَّى الكَتائِبَ قَسْراً والظُّبى وَغَدا ... عن الأحِبَّةِ والأشياعِ في شُغُلِ

مُذِلُّ صَفْحَةَ عانٍ جَلَّ مَطْلَبُهُ ... داع إلى صَفْحِكَ المأمولِ مُبْتَهِلِ

في شيعَةٍ مَلأتْ ذُلاً قلوبَهُمُ ... نهوجُ سُبْلٍ إليها للقناذُلُلِ

مُحكِّمينَ يسوقونَ النفوسَ إلى ... إنقاذِ حُكْمِكَ سَوْقَ السَّبْيِ والنَّفَلِ

مُسْتَبْشِرينَ بما أحْيَيْتَ من أَمَلٍ ... مُسْتَسْلِمينَ لما أمْضَيْتَ من أجَلِ (١)

ويخبرنا الشاعر نفسه بأسلوب قصصي عن مغادرة ابن شانجة صهره إلى المنصور ، والأبيات التالية جاءَت تطبيقاً لقاعدة إملاء شروط المنتصر على المهزوم ، فنلاحظ أن ابن شانجة أصبح عبداً ، وتبقى حريته مقيدة إلا إذا مَنَّ المنتصر عليه ، ومنها قوله :

ولَمّا تَقاضى غَرْبَ سَيْفِكَ نَفْسَهُ ... وحاطَتْ له الأقْدارُ مُحْتَقَنَ الدَّما

ولم يَسْتطعْ نحوَ الحياةِ تأخُّراً ... بِفَوْتٍ ولا نَحْوَ النَّجاةِ تَقَدُّما

تدارَكَهُ المَقْدارُ في قَبْضَةِ الرَّدى ... وخاطبه حتّاً عليه فَأَفْهَما

وبَشَّرهُ التأميلُ منك بعَطْفَةٍ ... تَلَقّى بها رَوْحَ الحياةِ تَنَسُّما

فأشْرَعَ أرْماحَ التَّذلُّلِ ظاعِناً ... وأصْلَتَ أسْيافَ الخُضوعِ مُصَمِّما

وقابَلَهُ النَّصْرُ الذي لك صَفْوُهُ ... مع السَّعْدِ حتى احتازَهُ لَك مَغْنَما

وقَادَ لِحَبْلِ الرِّقِّ نحوَك نَفْسَهُ ... فلاقاك مُمْتَنّاً ووافاك مُنْعِما (٢)

---

(١) القسطلي، ديوانه، ٤١٤ ، ٤١٥ .

(٢) نفسه ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويطلعنا الشاعر نفسه على وفادة غند ثلب بن ثمانجه بن غرسية إلى المنصور ، وتكشف الأبيات التالية أيضاً عن القاعدة نفسها ، وهي إملاء شروط المنتصر على المهزوم ، فوحدة أراضي الدولة غير معترف بها ، بل إن أرض الدولة المهزومة تصبح من حق المنتصر ، فإذا شاء منح جزءاً منها مع قدر قليل من السلطة لتنظيم الشؤون الداخلية للشعب المهزوم ، ومنها قوله .

حتى تلاقَتْ منك باستلامِهِ ... ما كان أعْجَزَها بَحَرٌ جِلادِها
ورمى ابنُ ثُنْجُ إليكَ نفسَ مُحكَّمٍ ... نَهَجَ الخُضوعُ لها سَبيلَ رشادها
مُستَعْطِفاً لِحشاشَةٍ من مُلْكِهِ ... وثُمالَةٍ قد آذنَتْ بنفادِها
فاستَنْقَذَتْهُ منك عودَةُ مُنْعِمٍ ... قامتْ لِمُهْجَتِهِ مَقامَ مَعادِها
وثنى نواجِذَهُ وَفِلْذَةَ كبْدِهِ ... شَفَقاً وناظرَ عَيْنِهِ وسَوادِها (١)

مما تقدم يلاحظ أن الإعلام في عهد المنصور كان أشبه بالإعلام الرسمي لدى الأنظمة ذات الحكم الفردي في زماننا هذا ، فلا يوجد حدث صغير أو جلل إلا أدخل الإعلام الحاكم طرفاً فاعلاً فيه ، بصفته موجها بطريقة تخدم مصالح الشعب .

ب - شعر الهجاء ، وأدب السجون

وكما وجد شعراء مداحون في عهد المنصور من صناعته ، فإنه كان بالمقابل شعراء هجاؤون ، لكنهم كانوا مغمورين لم تعرف أسماؤهم غالباً خوفاً من البطش ، فكانت أشعارهم قليلة ، وأشبه ما تكون بمفارقة فكهة ، وهناك صنفان من الهجائين ، أما الصنف الأول ، فكان غير معروف أشخاصه ، وهذا اللون من الهجاء تميز بالقدح في المنصور ، والطعن في عرض صبح ، ومن معها ، وأما الصنف الثاني ، فكان معروفاً اسمه ، ولكن موته كان قاب قوسين أو أدنى ، ويمكن أن نتخذ من المصحفي أنموذجاً على هذا الصنف ، وقد نقد الأنموذج الأول في الهجاء المنصور ، ومن حوله بمثالب متعددة ، فقد احتج شاعر مجهول على حكم المنصور ، فقال أبياتاً على لسان هشام المؤيد يشكو فيها مر الشكوى سلبه السلطة ، يقول :

أليسَ من العَجائِبِ أنَّ مثلي ... يَرى ما قَلَّ مُمْتنعاً عليْهِ
وتُملَكُ باسْمِهِ الدُّنيا جميعا ... وما من ذاك شيءٌ في يَدَيْهِ (٢)

وينتقد شاعر ثانٍ المنصور في شكله ، وتفجع على غياب الأمويين الأقمار عن السلطة ، فقال :

(١) القسطلي، ديوانه ، ٤٣٣ .

(٢) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب ، ٢ / ٢٨٠ ، المقري ، نفح الطيب، ٢ / ١٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيما أرى عجب لِمَنْ يَتعجَّبُ ... جَلَّتْ مصيبتنا وضاق المَذْهَبُ
إنِّي لَأكذبُ مقلتي فيما أرى ... حتى أقولَ غلِطْتُ فيما أحسبُ
أيكونُ حيّاً من أُمَيَّةَ واحدٌ ... ويَسوسُ ضَخْمَ المُلْكِ هذا الأحْدَبُ
تمشي عساكِرُهُمْ حَوالَي هَوْدَجٍ ... أعوادُهُ فيهنَّ قردٌ أشْهَبُ
أبني أُمَيَّةَ أينَ أقمارُ الدُّجى ... منكم وما لُوُجوهِها تَتَغَيَّبُ (١)

وطرح شاعر ثالث رأيه في تقديم هشام ، وهو صغير لم يبلغ الحلم ، وفي أمه صبح ، وفي قاضيه ابن السليم ، يقول :

اقترب الوعْدُ وحانَ الهلاكْ ... وكُلُّ ما تكْرَهُهُ قد أتاكْ
خليفةٌ يَحْضُرُ في مكتَبٍ ... وأُمُّهُ حُبْلى وقاضٍ يُناكْ (٢)

إن مثل هذه المقطوعات الهجائية تكشف عن شكل من أشكال المعارضة السرية ضد تسلط المنصور على السلطة ، وسلبها من أيدي الأمويين ، ولكن سطوة المنصور على خصومه ربما كانت تحول دون ترجمة هذه المعارضة إلى إجراء فعلي في بادىء الأمر ، ولذلك ما أن توفي المنصور وورثه أبناؤه على السلطة حتى قام المؤيدون لبني أمية بثورة ضد العامريين ، والمقطوعات الآنفة تدل على أن بذور الثورة وإرهاصاتها كانت موجودة منذ أيام المنصور نفسه .

وكان وصول المنصور إلى السلطة نقمة على بعض الأشخاص في الحكم ، فقد لجأ المنصور إلى أسلوب التصفية الجسدية ، وكان من أولئك المغضوب عليهم المصحفي الذي ندم لرعايته المنصور ، فقد تبين له في وقت متأخر ، وبعد فوات الأوان أنه لئيمُ الطبع ، خسيس النفس ، يقول :

تَنَدَّمْتُ والمغرورُ من قَدْ تَنَدَّما ... وَهَلْ يَنْفَعُ الإنسان أن يَتَندَّما
غَرَسْتُ قضيباً خِلْتُهُ عودَ كَرْمَةٍ ... وَكُنْتُ عليه في الحَوادِثِ قَيِّمَا
أكَرِّمُهُ دَهْري فيزدادُ خسَّةً ... ولو كان من عودٍ كريمٍ تكَرَّما (٣)

(١) ابن الأبار، الحلة السيراء، ١ / ٢٢٧ . ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ٢ / ٢٨١ . المقري، نفح الطيب، ٢ / ١٢٤ . مؤلف مجهول، نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى، منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر، اعتنى بنشرها وتصحيحها، إ. لافي بروفنصال، الرباط، المطبعة الجديدة، ١٩٣٤ ، ٢٢١ .

(٢) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ٢ / ٢٨٠ . المقري، نفح الطيب، ٢ / ١٣٤ .

(٣) ابن بسام، الذخيرة ق٤ ج١ / ٧٠ . المقري، نفح الطيب، ٢ / ١٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينبئنا الشاعر نفسه عن مفارقة مؤلمة ، فقد كان قوياً صلباً في الماضي ، وأما الحاضر ، فإنه يخيفه المنصور الثعلب ، فقال :

لا تَأمَنَنْ مِن الزَّمانِ تَقَلُّباً ... إن الزَّمانَ بأهْلِهِ يَتَقَلَّبُ

ولَقَدْ أراني والليوثُ تخافُني ... وأخافني من بعد ذاك الثَّعْلَبُ

حَسَبُ الكريم مَذَلَّةً ونقيصةً ... ألا يزال إلى لئيمٍ يطلبُ[١]

وتعرض بعض الشعراء لتقييد حرياتهم عن طريق زجهم في غياهب السجون ، على يد المنصور الذي وجد في زمن كان لرئيس الدولة القدرة على سجن أي مواطن ارتكب جريمة لا تعد من بين الجرائم التي ورد فيها نص صريح من القرآن والسنة ، وقد أثبتت المصادر أسماء أحد عشر شاعراً سجيناً ، وتنوعت الأسباب التي دخلوا من أجلها السجن ، فمنهم لأسباب سياسية ، إما لمنافستهم المنصور على الحكم ، مثل المصحفي[٢]، ومنهم لتأييده العاملين على إزالة المنصور من سدة الحكم ، مثل عيسى بن الحسن [٣] ، ومنهم لنيله من ذات المنصور ، مثل : قاسم بن محمد القرشي المرواني المعروف بالشبانسي[٤] ، ومنهم لمعارضته الصامتة إذ خشي بعض الشعراء أن يقول حقيقةما بنفسة تجاه المنصور ، فأودعه الأخير السجن ، مثل : عبد الملك بن إدريس الجزيري [٥] ، ومنهم لأسباب تتعلق بجرائم أمن الدولة ، كارتكاب جريمة التجسس ، مثل : عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن أمية بن الحكم الربضي المرواني [٦] ، ومنهم لأسباب دينية ، لتعرض بعضهم للذات الإلهية ، مثل : محمد بن مسعود البجاني [٧] ، ومنهم من تعرض للسجن لارتكابه جرائم عادية ، مثل : مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر أبو عبد الملك يعرف بالطليق[٨]، وأخيراً ، منهم من لم يرد سبب في المصادر لسجنه ، مثل : عبد العزيز بن الخطيب ، أبو الأصبغ[٩] .

وأما أدب السجون ، فيحتاج إلى غير قليل من الدقة في التعامل مع مادته الأدبية التي أقل ما

---

(١) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ١٦٤ . ابن بسام ، الذخيرة ق٤ ج١ / ٦٩ . ابن الأبار، الحلة السيراء، ١ / ٢٦٧ . ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ٢٧٢ . المقري، نفح الطيب، ١ / ٤٠٥ .

(٢) ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق٤ ج١ / ٦٥ .

(٣) ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب ، ١ / ٢١٢ .

(٤) المقري، نفح الطيب، ٥ / ١٣٠ .

(٥) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق٤ ج١ / ٤٧ .

(٦) ابن الأبار، الحلة السيراء ، ١ / ٢١٨ .

(٧) ابن سعيد الاندلسي، المغرب في حلى المغرب ، ٢ / ١٩١ .

(٨) الحميدي، جذوة المقتبس، ٢ / ٥٤٦، ٥٤٧ . الضبي ، بغية الملتمس ، ٤٦٢ .

(٩) الحميدي، جذوة المقتبس، ٢ / ٤٥٥ ، ٤٥٦ . الضبي، بغية الملتمس ، ٣٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

توصف به أنها وَقّادة ، تنبعث من نفوس ضاقت بالقيود في الأعم الأغلب ، وتتطلع إلى الانفلات من الحيز المكاني الضيق إلى العالم الفسيح ، وإذا أردنا أن نضع أساس العلاقة بين السجين وبين العالم ، فإنها علاقة توصف بأنها داخلية وخارجية ، فهي داخلية بكل ما تعني هذه الكلمة من ضيق مكاني ونفسي ، وعلاقات قائمة أساساً على القمع والتسلط ، وهي خارجية لأن الحياة تعني شبكة واسعة من العلاقات الاجتماعية ، إضافة إلى الأرض الفضاء .

وتعد عقوبة السجن من أقسى العقوبات تأثيراً في النفس ، وهذه العقوبة تؤدي بالسجناء إلى أمور، أهمها : الانحراف ، أو الانغلاق على الذات ، أو محاولات تأهيلها ، ويستوي في ذلك الإنسان المبدع وغيره كما سيتضح معنا حين نتعرض لاتجاهات السجناء في أشعارهم المقولة وراء القضبان .

ا - وصف السجن

إن السجن أشبه بعالم داخلي قائم بذاته خاص بالمسجونين ، تحدثوا فيه عن ماهية السجن ، وعن ميولهم ، ولجأ الشعراء السجناء إلى التنفيس عما يعتلج في صدورهم من ضيق ، فوصفوا السجن وصفاً مادياً ومعنوياً ، وقد أطلعنا الطليق المرواني على السجن من الداخل بأنه مظلم ، على حين تشع الزهراء بالأنوار، يقول :

فـي منْزلٍ كالليـلِ أسـودَ فاحِمٍ ... داجي النـواحي مُظْلِمِ الأبْراجِ
يَسْـوَدُّ والـزهـراءُ تـزهَرُ حـولَهُ ... كالخبر أودع في دواة عاجِ (١)

ويرسم عبد الملك الجزيري موقع السجن بأنه وعر ، وعالٍ ، ويتعَرض لهبوب الريح العاتية ، العاصفة ، فقال :

في رأسِ أجْرَدَ شاهِقٍ عالي الذُّرى ... ما بعـده لمؤمـل مـن مبصرِ
يَهـوي إليـه كـل أجـرَدَ ناعِبٍ ... وتهب فيـه كـل ريـح صرصَرِ
ويكـادُ مـن يَرْقى إلـيه مـرةً ... مـن دهرِهِ يشكو انقطاع الأبهَرِ(٢)

وشكا الطليق من القيود التي يرسف فيها ، والظلمة التي ما ينفك منها ، يقول :

---

(١) ابن الكتاني، أبو عبد الله، محمد بن الكتاني الطبيب، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق الدكتور إحسان عبّاس، الطبعة الثانية، بيروت، دار الشروق، ١٩٨١ ، ٢٧٤ ، ابن الابار، الحلة السيراء، ١ / ٢٢١.

(٢) الحميري، الروض المعطار، ٣٩١ . المقري، نفح الطيب، ٢ / ١٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كأنَّ زماني فوقَ ساقيَّ قابضٌ ... لِيَقصُرَ باعي من عُلا كُلِّ مَطْلَبِ
فمن زُبَرِ الأقيادِ مَدٌّ بساعِدٍ ... ومن حلقاتِ الكبلِ شَدٌّ بمَخْلَبِ
أمُرُّ على الأفواهِ ذكراً ولا أرى ... كأنيَ فيها ذكرُ عنقاء مُغرِبِ (١)

ويكشف عيسى بن الحسن ، أبو الأصبغ ،عن ضيق السجن ، وعن ظاهرة الأخلاط فيه ، فقال :

طالَ عهدي عن كل ذاك وليْلي ... ونهاري في مُقْلَتَيَّ سَواءُ
ليس حَظّي من البسيطة إلا ... قَدْرَ قَبْرٍ صَبيحَةً أو مَساءُ
وإذا ما جَنَحْتُ فيه لأنسٍ ... أوْحَشَتْني بأنْسِها الأغبياءُ (٢)

٣ - اتجاهات السجناء :

وقد أفرزت السجون في عهد المنصور شعراء ذوي اتجاهات مختلفة كما هو الحال في كل زمان ومكان ، فهناك الاتجاه الشاذ ، والاتجاه التأملي العميق ، والاتجاة التشاؤمي ، أما عن ظاهرة الشذوذ في السجن فليس غريباً ، لأن السجن تجمع لا يلبث أن ينسخ خيوط علاقات جديدة تكون مجتمع السجن ، وبغض النظر عن طبيعة العلاقات ، فهي قائمة ، موجودة ، واستخرج الشاعر محمد بن مسعود مكنونات نفسه حين عبر عن علاقته الشاذة بالطليق المرواني ، فقد أنزله منزلة يوسف عليه السلام جمالاً مطلقاً ، ونظر إلى وجوده في السجن فرصة لتحقيق رغباته الشاذة المعوجة ، يقول :

غَدَوْتُ في الْجُبِّ خِدْناً لابن يعقوب ... وكنتُ أحسبُ هذا في التكاذيب
رأت عُداتِيَ تعذيبي وما شَعَرَتْ ... أن الذي فَعَلَتْهُ ضِدُّ تَعْذيبي
رامُوا بعادي عن الدُّنيا وزُخْرِفِها ... فكان ذلك إدنائي وتقريبي
لم يعلموا أن سجني لا أبا لهُمُ ... قد كان غايةُ آمالي ومرغوبي (٣)

ويشخص الشاعر نفسه الطليق المرواني من خلال هيامه به ، فوصف جماله ، ورائحته ، وأضفى صفة الاحتجاب عليه ، وبين عدم قدرته الصبر على فراقه ، فقال :

---

(١) ابن الكتاني، التشبيهات ، ٢٦٦ .

(٢) علي بن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ١ / ٢١٢ .

(٣) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق١ ج١ / ٥٦٣ . المقري، نفح الطيب، ٤ / ٣٦٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفيك ما يتسلى العاشقون به ... من حسن خلقٍ ومن ظرفٍ ومن طيبِ
بَلى لقد فَجَعَتْ نفسي لِمُحْتَجِبٍ ... قد كان عن لحظ عيني غيرَ مَحْجوبِ
قد صيغ من فِضَّةٍ بيضاءَ صافيةٍ ... ورشَّحَ الحُسْنُ خَدَّيْهِ بتذهيبِ
والتَفَّ بالياسمين الغَضِّ بينهما ... نضيرُ وَرْدٍ بماءِ الْحُسْنِ مهضوبِ
ما أَقْبَحَ الصَّبْرَ عندي بعد فُرْقَتِهِ ... يا نفسُ ذوبي عليه هكذا ذوبي (١)

ومن الطبيعي أن يوجد في السجن من لهم نظرات تأملية عميقة ، بسبب الصدمة الموجعة التي غالباً ما تستيقظ على التناقضات والمفارقات بين الماضي وبين الحاضر ، فقد حدد المصحفي وجهة نظره إزاء الحوادث الكبرى ، بأنها تجعل الأحرار هدفاً لها ، أما الماضي بالنسبة إليه فقد كان جميلاً ، مشرقاً ، ولكن الحاضر مليء بالمفاجآت السارة والضارة ، يقول :

تـأمَّلْتُ صَرْف الحـادِثاتِ فلـم أزَلْ ... أراهـا توفِّي عنـد مَوْعِدِها الحُرّا
فللـه أيّـام مَضَتْ بسبيلها ... فإنّـي لا أنْسـى لهـا أبداً ذِكْرا
تجـافَتْ بهـا عـن الحَوادِثِ بُرْهَةً ... وأبْدَتْ لنـا منـها الطُّلاقَةَ والبِشرا
ليـالِيَ لـم يـذَرِ الزَّمانُ مكانَها ... ولا نَظـرَتْ منـها حَوادِثُهُ شَزْرا
ومـا هـذه الأيـامُ إلا سَحائِبٌ ... على كُلِّ أرْضٍ تُمْطِرُ الْخَيْرَ والشَّرّا (٢)

ويوطن الشاعرُ نفسَهُ على التحلي بالصبر بسبب لزوم الإذلال له ، ويوضح لحاق الذل به نتيجة تعسف المنصور ، وظلمه ، ولكنه يرى أن أفضل طريقة للتعامل مع الحاضر هي مواجهة الموت بعزة وكرامة ، فقال :

صَبَرْتُ على الأيّامِ لمّا تَولَّتِ ... وألْزَمْتُ نفسي صَبْرَها فاستَمَرَّتِ
فواعَجَباً لِلْقَلبِ كيف اعترافُهُ ... وللنفسِ بعد العِزِّ كيف استذلَّتِ
وما النَّفْسُ إلا حيث يجعلها الفتى ... فإن طَمِعَتْ تاقَتْ وإلا تَسَلَّتِ
وكانت على الأيّام نفسي عزيزةً ... فلمّا رأت صبري على الذُّلِّ ذَلَّتِ
فَقُلْتُ لها يا نفسُ موتي كريمةً ... فقد كانت الدنيا لنا ثُمَّ وَلَّتِ (٣)

(١) ابن بسام ، الذخيرة ، ق١ ج١ / ٥٦٣ ، ٥٦٤ .
(٢) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ١٦١ . ابن الأبار، الحلة السيراء، ١ / ٢٦٥. ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ٢ / ٢٧١ . المقري ، نفح الطيب، ٤ / ٩١ ، ٩٢ .
(٣) ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، ١٥٦ ، ١٥٧ . ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ٢ / ٢٧٠ . المقري، نفح الطيب ، ٢ / ١٢٦ ، ١٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأظهر الشاعر نفسه استسلامه الكامل ، لأنه أصبح يجاري الحوادث والأحداث ، يقول :

أُجـاري الزّمـان علـى حـالِهِ ... مجاراة نفسـي لأنفاسِهـا
إذا نَفَـسٌ صـاعدٌ شَـفَّها ... تَـوارَتْ بِهِ دون جُلاسِها
وإن عكَفَتْ نكبَـةٌ للزمـانِ ... عَطَفْتُ بِنفسي علـى رأسِها (١)

ويستسلم الشاعر نفسه بمرارة للقدر ، ويطرح فكرة جوهرية ، هي إيمانه بأن الأيام دول ، يكون الإنسان فيها غالباً حيناً ، ومغلوباً حيناً آخر ، فقال :

لـي مُـدّةٌ لابـدَّ أبْلُغُـها ... فـإذا انْقَضَـتْ أيّامُهـا مـتُّ
لو قابَلَتْنـي الأُسْـدُ ضارِيَةً ... والمـوتُ لـم يَدْنُ لمـا خِفْتُ
فانْـظرْ إليَّ وكُـنْ علـى حَـذَرٍ ... فبمثـل حالـكَ أمـسِ قـد كنتُ (٢)

ومن الطبيعة البشرية أيضاً أن صنفاً من الناس إذا تعرض لأقل هزة انطوى على نفسه ، ونظر بسوداوية إلى الحياة ، فقد شكا الشاعر الطليق المرواني من طول الليل ، وما يسببه من أرق له ، يقول :

فما بالُ صُبحي قد تَقارَبَ خَطوُهُ ... فأبطأ حتى ليس يُرجى قدومُهُ
كأن نُجومَ الليل قَيَّدَها الدُّجى ... وأوقفها في موضع لا تريمُهُ (٣)

ويتذمر الشاعر نفسه من تقدم السن به ، واشتعال الشيب في رأسه ، وكأنه خط أُمّيّ على صحيفة، فقال :

وَشَّتْ يَدُ الدَّهْرِ رأسي بالمشيبِ أسىً ... في غَيْهَبٍ بسنا المصباح مَوْشِيِّ
فَدَبَّ فيه دَبيبَ النار في فَحْمٍ ... ينفـي دُجاهُ بلـون غيـر منفـي
كـأنه بمشـيبي حيـن كَتَّبَـها ... صَحيفةٌ كتبتها يَـدُ أُمّـي (٤)

ونظر الشاعر نفسه إلى الحياة بأنها عبثية ، فالنجاح ممزوج فيها بالظلم ، والنعيم مختلط بالبؤس والشقاء، وأما خاتمة الحياة ، فهي الموت ، يقول :

(١) الحميدي، جذوة المقتبس، ١ / ٢٥٧ . ابن خاقان، مطمح الأنفس، ١٥٩ . الضبي، بغية الملتمس ، ٢٨٩ . ابن الأبار، الحلة السيراء، ١ /٢٦٥ . ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ٢ / ٢٦٩ . المقري، نفح الطيب، ٢ / ١٢٧ .

(٢) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق٤ ج١ / ٧٠ . ابن الأبار، الحلة السيراء، ١ / ٢٦٧ . المقري، نفح الطيب ، ٢ / ١٣٥ .

(٣) ابن الأبار، الحلة السيراء، ١ / ٢٢٥ .

(٤) ابن الكتاني، التشبيهات ، ٢٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ألا إن دَهراً هادِماً كُلَّ ما نبني ... سيَبْلى كما يُبلى ، ويَفْنى كما يُفْني
وما الفوزُ في الدنيا هو الفوزُ إنما ... يفوزُ الفتى بالربح فيها مع الغَبْنِ
يُجازى بيؤسٍ من لذيذ نعيمِها ... ويجني الرَّدى ، فما غَدَتْ كَفُّهُ تَجْني (١)

٣ - اتصالات السجناء

وحاول الشعراء السجناء أن ينسجوا خيوط الاتصال مع المجتمع في الخارج خاصة مع المنصور بصفته الآمر الناهي ، ومع ذويهم كالأبناء مثلاً ، وكشف الشعراء السجناء اتصالهم بالمنصور ، مُستعطفين إياه ، للتخلص من الظروف غير الطبيعة التي فرضت عليهم ، لأن المنصور هو الذي يملك قرار حريتهم ، أو بقائهم في السجن ، وقد بعث المصحفي إلى المنصور أبياتاً شعرية يعاتبه فيها أشد العتاب ، ويشكو أنه شيخ كبير من باب الاسترحام ، يقول :

هَبْني أسأتُ فأينَ الفَضْلُ والكرمُ ... إذا قادني نحوك الإذعانُ والندمُ
يا خَيْرَ من مُدَّتِ الأيْدي إليه أما ... ترثي لشيخ نعاهُ عندكَ القَلَمُ
بالَغْتَ في السُّخْطِ فاصفَحْ صَفْحَ مُقْتَدِرٍ ... إنَّ الملوك إذا ما استرحموا رحموا (٢)

وأرسل عبد الله بن عبد العزيز بن أمية بن الحكم الربضي أبياتاً شعرية إلى المنصور يؤكد في مطلعها غلبة سلطان المنصور ، وفي الخاتمة يعترف بأن انتقام المنصور بوضعه في السجن كان على حق ، ويطلب العفو عنه بإخراجه من السجن ، يقول :

فَرَرْتُ فلم يُغْنِ الفِرارُ لحالةٍ ... سوى حَذَرِ الموتِ الذي أنا راهِبُ
ولو أنني وفَّقتُ للرُّشْدِ لم يكن ... ولكنَّ أمْرَ اللهِ لابُدَّ غالِبُ
وقَدْ قادني جَرّاً إليك بِرُمَّتي ... كما اجتَرَّ ميتا في رحى الحرب سالِبُ
وأجْمَعَ كُلُّ الناسِ أنك قاتلي ... وَرَبَّتَ ظَنَّ ربُّهُ فيه كاذِبُ
وما هو إلا الانتقامُ فَتَشْتَفي ... وتَركك منه واجباً لك واجبُ
وإلا فَعَفْوٌ يرتضي اللهُ فِعْلَهُ ... ويجزيك منه فوق ما أنْتَ طالبُ (٣)

(١) ابن الأبار، الحلة السيراء، ١ / ٢٢١ .

(٢) ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق٤ ج١ / ٦٩ . ابن الأبار، الحلة السيراء، ١ / ٢٦٥ ، ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ٢ / ٢٨٦ . المقري، نفح الطيب، ١ / ٣٩١ ، ٢ / ١٣٣ .

(٣) ابن الأبار،الحلة السيراء ، ١ / ٢١٨ ، ٢١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكتب محمد بن مسعود أبياتاً شعرية إلى المنصور تتضمن الطلب بإبلاغ صوته إلى مسامع المنصور أن سبب دخوله السجن تلفيق من أعدائه ، واستخدم سلطة النص الديني ، فعرض للجنة والنار من قبيل التأثير في المنصور ، يقول :

دَعَوْتُ لما عيل صبري فهل ... يَسْمَعُ دعواي المليكُ الحليمِ
مولاي مولاي ألا عطفة ... تَعذب عني بالعذاب الأليمِ
إن كنت أضْمَرْتُ الذي زَخْرَفوا ... عني فدعني للقدير الرحيمِ
فعندهُ نَزّاعةٌ للشّوى ... وعندهُ الفردوسُ ذاتُ النّعيمِ (١)

ووجه قاسم بن محمد القرشي المرواني أبياتاً إلى المنصور يدعوه فيها إلى التثبت من الاتهام المنسوب إليه ، وأن يحكم كتاب الله ، وسنة نبيه في قضيته ، وأن يلتفت إليه على أساس أنه فرد من الرعية ، يقول :

يا مَنْ برُحْماهُ أستغيثُ وحُقَّ لي ... من الغياث عُلاك استر عليَّ دمي
لا أبْتَغي فيه سوى سُنَنِ الهُدى ... غَرَضاً وأقْضِيَةِ الكتاب الْمُحكَمِ
وتثبَّتَ المنصورُ مولانا وسيدنا الـ ... موفَّق في القضاء الْمُلْهَمِ
ليموت أو يحيا بعدلِ قضائِهِ ... فيرى اليَقينَ عيانُ من لَمْ يَعْلَمِ
ناشَدْتُكَ اللهَ العظيم وَحَقَّهُ ... في عَبْدِكِ المتوسِّلِ الْمُتَحَرِّمِ
بوسائِلِ المدْحِ المُعادِ ونشيدها ... في كُلِّ مَجْمَعِ مَوْكِبٍ أو مَوْسِمِ
لا يُستَبَحْ منهُ حمىً أرعاكَهُ ... يا مَنْ يُرى في الله أحْمى محتمي (٢)

وليس بمستغرب أن تقوى العلاقة بين السجين وبين العالم الخارجي ، ولعل من أهم أسباب ذلك الفصل القسري بين السجين وبين العالم مما يجعل السجين فريسة للدعايات لما يجري في الخارج ، ويجعله متضخماً بالعاطفة نحو من يختصون به وغيرهم ، وقد كشف الجزيري عن حبه العميق لابنه الأصغر ، يقول :

---

(١) المقري ، نفح الطيب، ٤ / ٣٦٢ ، ٣٦٣ .

(٢) الحميدي، جذوة المقتبس، ٢ / ٥٢٥ ، ٥٢٦ . الضبي، بغية الملتمس ، ٤٤٧ . المقري، نفح الطيب، ٥ / ١٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا الفتى فقد الشباب سما له حب البنين ولا كحُبِّ الأصْغرِ
عجباً لِقَلْبي يوم راعنا النَّوى ودنا وداعُكَ كيف لم يتفَطَّرِ
ما خلتني أبقى خلافك ساعةً لولا السكون إلى أخيك الأكبرِ (١)

وينصح الشاعر نفسه لابنه نصحاً خالصاً أن يطلب العلم النافع عن رضى واقتناع ، فقال :

واعلَمْ بأن العِلْمَ أرفعُ رتبةً وأجل مكتسب وأسْنى مَفْخَرِ
وبِضُمَّرِ الأقلام يبلغُ أهلُها ما ليس يبلغ بالجياد الضُّمَّرِ
والعِلْمُ ليس بنافع أربابَهُ ما لم يُفِدْ عملاً وَحُسْنَ تَبَصُّرِ (٢)

ويرشد الشاعر نفسه ابنه إلى أسس اختيار الصديق ، وأهمها كما سيتضح من النص الامتحان للصديق، وعدم الحكم على الظاهر ، فقال :

فإذا دفعت إلى قرين فابْلُهُ قبل التقارض والتشارك واخْبُرِ
لا يستفزك منظر حسن بدا حتى تقابله بحسن الْمَخْبَرِ
كم مِنْ أخٍ يلقاكَ منه ظاهرٌ بادٍ سلامتهُ وباطنهُ وري (٣)

وفي ختام حديثنا عن أدب السجون لابد من التعرض إلى نقطتين : **الأولى** : الحرية وحقوق الإنسان ، **والثانية** : المنصور نفسه ، أما عن **النقطة الأولى** ، فإن الحرية لم يكن لها من الضمانات ماهو متوفر في الشريعة الاسلامية ، إذ لم تكن ثمة ضمانات في المحاكمة ، وكان رئيس الدولة أو من ينوب عنه يمارس القضاء في معظم الجرائم ، أما أحكامه ، وأحكام أعوانه ، فكانت مطلقة من حيث مدتها ، فلم تكن هناك جهة تملك إنهاء العقوبة إلا رغبة المنصور نفسه ، وكذلك لم تكن هناك ضمانات تحدد ما هو محرم ، وما هو مباح ، كما لم توجد ضمانات توجب احترام إنسانية من دخل السجن ، فلم تراع الظروف الصحية للسجناء ، ولم يتم تطبيق نظام عزل السجناء ، إذ كان سجناء السياسة على سبيل المثال يزجون مع مرتكبي جرائم الشذوذ الجنسي .

وأما **النقطة الثانية** التي تتعلق بالمنصور ، فإنه لم يكن مقتنعاً بالجرائم التي يعاقب الناس عليها ، مثل : تحريم الخمر ، لأنه كان نفسه وحاشيته يعاقرون الخمر في مجالسهم الخاصة ، لقد كانت تصادر الحريات من الناس بالأمس ، أما قمة هرم السلطة فكان يمارس الحريات كلها دون حدود ، ويلاحظ أن

---

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ٢ / ١١٧ . ابن خاقان، مطمح الأنفس ، ١٨٠ ، المقري، نفح الطيب، ٢ / ١٢٢ .
(٢) الثعالبي ، يتيمة الدهر، ٢ / ١١٨ . الحميدي، جذوة المقتبس، ٢ / ٤٤٥. الضبي ، بغية الملتمس ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ .
(٣) الثعالبي، يتيمة الدهر، ٢ / ١١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنصور كان يعاقب الناس بمروقهم على القانون ، وكان في الوقت نفسه يخرق القانون ، فقد نقل ابن بسّام خبراً يدل على أن المنصور رئيس الدولة العامرية كان يعاقر الخمر هو وحاشيته ، يقول : « وكان صاعد كثيراً ما يمدح بلاد المشرق بمجلس المنصور ، ويباهي بأخبارها ، ووصف أشربتها وأديارها ، فكتب الوزيرعبد الملك بن شهيد، أبو مروان ، إلى المنصور في يوم قرّ بهذه الأبيات :

أمـا تـرى بـردَ يومـنا هذا ... صَيَّرنا للكُمون أفذاذا
قـد فُطِرَت صحـة الكبـودبه ... حتـى لكادَتْ تعـودُ أفـلاذا
فـادْعُ بـنا للشُّمولِ مُصْطَلِياً ... نُغِذُّ سيـراً إليـك إغْـذاذا
وادْعُ المسمّى بهـا وصاحبَه ... تَدْعُ نبيـلاً وتَدْعُ أُسْتاذا [1]

ويمكن لنا أن نثير السؤال التالي : كيف يلجأ المنصور إلى تقريب الشعراء ، ولا يتحرج من سجن بعضهم ؟

لقد كان المنصور منفرداً في السلطة ، ودون وجود جهة تحاسبه ، وبما أن الشعراء هم وسيلة الإعلام المثلى في تلك المرحلة ، فقد لجأ إلى جعلهم مؤيدين له ، مانعاً الرأي الآخر من الظهور ، كما أنه جعل هذا التيار المعارض أو الخارج على القانون أي قانونه من الصف الأول له من خلال طلب الاسترحام ، أو إعلان الولاء ، أو الاعتراف ، أو الاستنكار ... إلخ .... إلخ .

جـ - شعر الطبيعة .

كانت الطبيعة أيضاً مجالاً واسعاً لنشاط شعراء المنصور ، ويمكن تقسيم شعر الطبيعة في تلك الفترة إلى ثلاثة أقسام ، هي : الطبيعة الحية ، والطبيعة الصامتة، والظواهر الطبيعية المختلفة .

ا - الطبيعة الحية

كانت بلاد الأندلس غنية بالكائنات الحية ، لأنها بيئة صالحة للحياة والتكاثر ، إلا أن الشعراء التفتوا إلى البيئة الصحراوية الأولى ، فظهر التقليد في قليل من الموضوعات ، مثل : الإبل ، لأن البيئة خضراء ، ليس فيها صحراء تعيش الجمال بها ، ولكن بما أن الحياة العربية هي الغلابة في الأندلس ، فإن الأندلسيين استذكروا صور الجمال ، والصحراء ، والإنسان العربي الذي يعاني شظف الحياة ، وقد التفت الشعراء إلى الأحياء في تراثهم كالإبل ، ووصفوا الأحياء في بيئتهم ، كالخيول ، والطيور ، والحمام ، والحيات ، وكان أكثر الشعراء تأثراً بالصورة التراثية للإبل الرمادي ، فقد صور الصحراء التي تشبه البحر ، وهم ضالون فيها ، فقال :

---

(١) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق٤ ج١ / ٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويَهماءَ مثل البحر خرقاءَ لا ترى سبيلاً بما يهدي فبالظَّنِّ يُهتَدى
تَرى الرَّكبَ فيها من سُرى فوق عيسهم لغير إلاهٍ راكعين وَسُجَّدا (١)

وفي أبيات أخرى يصف الشاعر نفسه الرحلة عبر الصحراء ، بأنها طويلة ، وشاقة ، حتى إن ناقته من شدة ضمورها أصبحت كالغزال الذي يعيش في البراري ، فقال :

وركبٍ إذا قطعوا نفنفاً رَمى بهمُ البعدُ في نفنفِ
كأنَّ الفيافيَ في طولها ليالٍ على عاشقٍ قد جُفي
قطعنا على مضمرات تجودُ كَلالاً بأدْمُعها الوُكَّفِ
وتحتيَ حَرْفٌ لفرطِ النحولِ تنفي النحولَ عن المُدنَفِ
كأني إذا ما شَدَدْتُ الحِزامَ أشُدُّ نطاقاً على أهْيَفَ (٢)

وتتكرر صورة الإبل الضامرة نتيجة السفر الشاق عند سعيد بن العاصي ، ولكنها كانت في عُرض الصحراء ليلاً ، صاحبها عزيف الريح المخيف ، فقال :

ولَرُبَّ مُهْلِكَةٍ قطعتُ بساطها والليلُ مُسْوَدُّ الجوانب أدْهَمُ
يَهْماءُ يُضْحي الخَوْفُ يمنعُ رَكْبَها أن يُعْلِنوا الأصوات أو يتكلموا
وكأنما الأصداءُ في جَنباتها تحت الظَّلام إذا صدت تتلعثَمُ
خَرْق تَظَلُّ بها الرِّياحُ إذا جَرَت من حيثما انْخَرَقَتْ تَكِلُّ وتَسْأَمُ (٣)

ولفت انتباه الشعراء في الخيل ميزات تنفرد بها ، وكان للخيل أغراض متعددة في حياتهم وواقعهم، وكانت نظرة يحيى بن هذيل إلى الجواد ، بأنه وسيلة حرب، فالتفت إلى حمحمته، وجماله، وسرعته، يقول:

وماجنٍ صوتَ معشوقٍ إذا اجتَمَعَتْ ألحانُهُ وهي شتّى نَبَّهَتْ قَلقي
كأن نغض عِذارَيْهِ إلى فَمِهِ كأسٌ مُفَتَّحَةٌ من خالِصِ الوَرَقِ
كأن عَيْنَيْهِ من ياقوتتينِ إذا ما كانتا في صفا ماءٍ إلى الزُرقِ
كأنَّما سَرْجُهُ في ظَهْرِ كاسِرَةٍ أو حاصِبٍ يَتَوقّى ظَهْرَ مُنْبَعِقِ
كأنَّما هو مَحْمولٌ على أدَبٍ فليس يُلحَقُ في ساقٍ ولا عُنُقِ (٤)

(١) ابن الكناني، الشبيهات ، ١٧٠.
(٢) نفسه ، ١٦٩ .
(٣) نفسه ، ١٦٨ .
(٤) نفسه ، ١٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان تصور الرمادي عن الجواد بأنه وسيلة حرب حين يضطرم القتال ، وأنه زينة في وقت السلم، ولفت انتباهه في الجواد ، رشاقته ، وسرعته ، وقوته ، يقول :

وَأَقَبَّ كالمحبوبِ حُسْناً لم يَجُدْ ... كصفاته لو حُدَّ في تمثالِ
في سُرعَةِ الأوهامِ ليس كجريهِ ... في البُعْدِ إلا جَلْبَةُ الآمالِ
ذو مَنْظَرٍ حَسَنٍ تَضَمَّنَ مَخْبَراً ... حسناً فكان لزينةٍ وقتالِ
ألقوا عليه حَلْيَهُ فبدا لنا ... فيه كما تبدو العروسُ لِجالِ
وكأنما يُزهى بما يعلوهُ منْ ... حَلْيٍ فيمشي مِشيَةَ المُختالِ
حَطَمَتْ حوافِرُهُ السِّلام صَلابَةً ... فكأنها من أوجه البُخَّالِ [1]

وكانت رؤيا عبد العزيز بن الخطيب إلى الخيل بأنها وسيلة صيد من الطراز الأول ،وكانت مقاييسه لجودة الخيل هي نفسها السابقة من طاقة زائدة ، وسرعة فائقة ، وجمال أخّاذ ، يقول:

فَرُحْتُ لِلصَّيْدِ بِرَحْبِ هَيْكَلٍ ... عالي الشَّوى لاحق خَلق الأَيْطَلِ
مُتَّقِدٍ حميةٍ كالمرجلِ ... يختالُ كالنَّشْوانِ في التَّفَتُّلِ
يَسْبِقُ شَدَّ الرِّيحِ بالتَّرَسُّلِ ... يغدو لَدَيهِ البرق كَالْمُكَبَّلِ
اذْكُر عليه أي أرض وانزلِ ... يَقْفُرُها من قَبْلِ ذِكر المنزلِ [2]

وشاهد الأندلسيون الطيور تقفز من فنن إلى فنن ، ومن زهرة إلى زهرة فراقهم ذلك المنظر البديع ، ويربط عبادة بن ماء السماء بين القمري ، وبين الغصن ، ويبين أن طوق القمري عليه جبات الندى ، حيث تؤلف منظراً بديعاً ، رائقاً ، فقال :

مُطَوَّقٌ جَوَّد في شَدْوِهِ ... كأنما طُوِّقَ إذ جَوَّدا
مال على الخوط فَشَبَّهْتُهُ ... بشارب لما انتشى عَرْبَدا
كأنما الطلُّ على طوقِهِ ... دَمْعٌ على عِقْدِ فَتاةٍ بَدا [3]

ودقّق يحيى بن هذيل في القمري ، وهو يمارس التخفي المستحسن خلف الأغصان المتشابكة ، والأوراق الكثيفة ، يقول :

---

(١) ابن الكتاني ، التشبيهات ، ١٨٥ ، ١٨٦ .
(٢) نفسه ، ١٨٧ .
(٣) نفسه ، ٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قـد اختفـى بيـن أغصـان وأوراق وَحَـنَّ حَنَّةَ مشغـوفٍ ومُشتاقِ
كـأنما خـافَ عـَذْلاً فهـو مُستَتِرٌ أو خـاف واشِيَةً أوْدَتْ بميثاقِ (١)

ويسمع محمد بن الحسن الطبني صوت قمرية تعلن عن وجودها بالغناء الواله ، المعذب ، فقال :

قُمْرِيَّةٌ دَعَـتِ الهـوى فكـأنما نطقَـت وليـس لهـا لسـانٌ نـاطِقُ
غَنَّـتْ فَجُبْـتَ الأراك كـأنما فـوق الغُصـونِ حبابَةٌ ومخـارقُ (٢)

وتتكرر صورة مشابهة عند الرمادي حين وصف أم الحسن مغنية من خلال تناغمها ، وانسجامها مع الربيع الزاخر بالخضرة ، والأزهار المختلف ألوانها ، وهي مصدر إطراب الناس ، وتخضع لإراداتهم ومشيئاتهم المختلفة ، يقول :

وخـرساءَ إلا فـي الربيـع فإنـها نظـيرة قُسٍّ فـي العصـورِ الذواهِبِ
أتَـتْ تمدحُ النـوّار فـوق غصـونها كمـا يمـدح العشـاقُ حُسـنَ الحبائِبِ
تُبَـدِّلُ ألحـاناً إذا قيـل بَدِّلي كـما بَدَّلَتْ ضَـرْباً أكُفُّ الضَّوارِبِ
تُغَنّي علينا في عَروضَيْنِ شِعْرَها ولكـنّ شـعراً فـي قَـوافٍ غرائِبِ
إذا ابتَدَأتْ تُنْشِدُكَ رَجْزاً وَإنْ تَقُلْ لهـا بَدِّلي تُنْشِـدْكَ فـي المتقارِبِ
وليـس لهـا تيـه الطـراةِ بصوتها ولـكن تُغني كُلَّ صـاحٍ وشارب (٣)

ويسترعي اهتمام الشعراء الحمام ، هذا الطائر الذي تهفو النفوس إليه ، لأسباب نفسية عميقة الغور ، يشكل الحزن على الماضي أحد معالمها ، ويشاهد حسين بن الوليد الحمام ذكراً مفرداً ، وكان لذلك الحمام تأثير عميق في نفس الشاعر العاشق ، فكان ترجيعه مؤلما بالنسبة إليه ، فقال :

وساجعٍ هاجَ لي الأحزانَ إذْ سَجَعا إذا انتهى غاية في سجعه رَجَعا
مُخَضَّبٌ بخضاب لا تصولُ له كأنَّهُ في دموعي للنّوى انتَقِعا (٤)

ويلقي يحيى بن هذيل الضوء على حمامتين ، كانتا جميلتين تتزاحمان فيما بينهما من باب الاستعراض المستحسن ، وسببه الكبرياء ، فقال :

---

(١) ابن الكتاني، التشبيهات ، ٦٣ .
(٢) نفسه ، ٦٣ .
(٣) نفسه، ٦٠ .
(٤) نفسه ، ٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تـرى قطـراتِ الطـلِّ كـالدرِّ فوقها ... إذا انتَفَضَتْ فـي الأيْكِ تَنثُرُهُ نَثْرا

إذا فَرَّقَتْهُ أَلْفَ الغيـمُ غيرَهُ ... عليـها فقـد شَبَّهْتُها قَيْنَةً سـكرى

تُـزاحم أخـرى مثلَها بعقـودِها ... ولـم تَرْضَ باسترجاع منثورها كبرا (١)

والتقط محمد بن الحسين الطبني صورة لمجموعة حمائم يغنين بصوت جميل ، يبعث على الطرب والاستمتاع ، فقال في ذلك :

تَغَنَّـتْ علـى الأغصـانِ يـوماً حمائِمٌ ... كمـا يَتَغَنَّيْنَ القيـانُ الأوانِـسُ

يَظُـنُّ الـذي يصغـي إليـهنَّ مَعْبَداً ... أو ابـن سـريج في ذُرى الأيك جالِسُ (٢)

وشهدت الطبيعة الأندلسية نشاط الحيات أيضاً في بعض الفصول ، ولم يترك الشعراء تلك الحيات دون إبراز الجوانب الإيجابية والسلبية فيها ، فقد كانت نظرة يحيى بن هذيل إلى الحيات بأنهن مرعبات ، فبين خطرهن ، وقوتهن ، ولم يغفل جمالهن في وضع الدوائر الذي يشبه الأساور ، والخلاخل ، وبين كذلك لون عيونهن عند الضحى كالخرز الأسود في كفي تاجر ، يقول :

هُرْتُ اللهـازم بينهـنَّ نـوافذُ ... فـإذا حَبَـتْ فـي بـاطنٍ أو ظاهِرِ

يَرْمِيـن نفـطاً مُحْرِقاً وكـأنما ... يحـرقن بالأنْيابِ حَدَّ مياشِرِ

يَـرْفَعْنَ أعـناقاً كعيدان القنا ... وَيَـدَعْنَ في المُنتـاب رُعْـبَ الخاطِـرِ

وَتَميـلُ عمـا قـاتَلَتْه بوَجْهِهـا ... فَكأنَّما تحكي صـدود الهـاجِرِ

وإذا صَنَعْنَ دَوائِـراً فكأنّمـا ... يحكمـن صَوْغَ خـلاخلٍ وأسـاورِ

وَكأنّمـا أحْداقُهُنَّ مـع الضُّحـى ... سَبَجٌ يُقلـبُ بيـن كَفَّيْ تـاجرِ (٣)

ويؤكد على جمالية الحيات علي بن أبي الحسين حين يتتبع سير حية ذات ألوان مختلفة بين الماء والورود من ناحية ، والنطاف والحمض في الجبال من ناحية أخرى ، فقال :

---

(١) ابن الكتاني، التشبيهات ، ٦٣ .

(٢) نفسه ، ٦٥ .

(٣) نفسه، ١٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أرقـــمُ كالدِّرع فيـــه وَشْـــمٌ مُنْمنـــمُ الظَّهْرِ واللَّبـــانِ
يـــزحف كالســـيل مـــن تـــلاع كأنَّ عينيـــــه كوكبانِ
مـــا بيـــن نبـــع وبيـــن ضالٍ وبـــين آسٍ وأقْحُـــوانِ
يرتشـــفُ المـــاء مـــن نطـــافٍ ويقضُـــمُ الحمـــضَ مـــن رعانِ [1]

٢ - الطبيعة الصامتة .

وأما الطبيعة الصامتة ، فإنها تنقسم إلى قسمين : اليابسة التي تنبت فيها الأزهار ، والنباتات ، والأشجار بالإضافة إلى الماء الذي يشمل البحار والأنهار ، واليابسة هي المكان الطبيعي على سطح الأرض الذي تنمو النباتات فيه ، ويعيش الإنسان على اليابسة غالباً ، ويبني حضارته من قصور ، وبيوت، ومساجد ، وكنائس ، وأسواق ... ، وسيتضح هذا الجانب الإنساني الحضاري في القسم الأخير من هذا الفصل ، الشعر والمعالم الحضارية ، ويعد فصل الربيع أكثر الفصول جمالاً ، واخضراراً ، وورروداً ، وهذا الفصل، يشكل للإنسان أملاً ، وبهجة ، وسروراً لاستمتاعه بالطبيعة التي تكون خصبة في هذه الفترة من السنة ، ويتحدث يحيى بن هذيل عن العلاقة اللازمة بين الورود في الربيع وبين الرياح ، وينتج عن هذه العلاقة أن الورود تتعانق ، فقال :

وإذا تألـــف فـــي أعاليهـــا النَّـــدى مـــالت بأعنـــاق ولطـــفِ قـــدودِ
وإذا التقت بالريـــح لـــم تُبصـــر بهـــا إلا خُدوداً تلتقـــي بخـــدود[2]

وأدهش الرمادي انتظام المطر على الرياض الذي أفضى إلى الإخصاب ، فضلاً عن قطرات الندى التي أضفت جمالاً ورونقاً على الرياض ، يقول :

بكَتِ السَّحابُ على الرِّياض فَحَسَّنَتْ منها غُروساً من دُموع ثكولِ
فكأنها والطلُّ يشرق فوقها وشيٌ يحاكُ بلؤلؤ مصقول [3]

وأفضى طاهر بن محمد بصورة جميلة للربيع تحوي الماء ، والأزهار الجميلة ، والاخضرار ، والتنوع ، والنفاسة مقروناً ذلك كله بالجواهر النفيسة ، والأقمشة العالية الجودة ، يقول :

---

(١) ابن الكتاني، التشبيهات ، ١٨٢ .
(٢) نفسه، ٤٨ .
(٣) نفسه ، ٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكأن السماءَ تنشرُ للأر ... ضِ وتُبدي طرائفَ الأنماطِ
وكأن الملوك أهْدَوْا إليها ... غِبَّ إردائِها نفيس الرِّياطِ
وكأن الجَواهرَ انتجَعْتها ... رغبة من بواطن الأسفاطِ
في جَميمٍ كأنه جُمَمٌ بيـ ... ـن جعادٍ ممشوطةٍ وسياطِ
فلها أسطُر من الرَّوْضِ فاتَتْ ... باعتدالٍ أنامِلَ الخَطَّاطِ
وحروفٌ قد نَقَّطَ الزَّهْرُ منها ... كل مستعجم على النُّقاطِ (١)

وكان الاهتمام بالورد ينم عن شفافية شعراء تلك الفترة ، ودفعهم حبهم الشديد له أن يصفوه لأغراض شتى ، وينظر جهور بن محمد بن جهور ، أبو الحزم إلى الورد بأنه أفضل النوريات ، وقد منح الورد والنوريات صفات الأحياء ، فالنوريات تخضع للورد ، وتتذلل له ، وتحسده ، وتموت كمداً منه ، ومنها قوله:

الوَرْدُ أحْسَنُ ما رأت عيني وأذْ ... كى ما سقى ماءُ السحاب الجائدُ
خضعَتْ نَواويرُ الرِّياض لِحُسْنِهِ ... فَتَذَلَّلَتْ تنقادُ وهي شَوارِدُ
وإذا تَبَدّى الوَرْدُ في أغصانِهِ ... يزهو فذا ميتٌ وهذا حاسدُ (٢)

وشبه محمد بن شخيص الورد الذي تعلوه حبات الندى بالخدود الحمراء عليها قطرات الدموع ، يقول:

كأن انتشارَ الطلِّ في الوَرْدِ أدْمُعٌ ... تَبَدّى على زَهْرِ الخُدودِ انتشارُها (٣)

ويوضح الجزيري علاقته القوية بصديقه حتى إنه يهدي إليه في فصل الربيع باكر ورده ، ويتميز الورد الذي يهديه بطيب الرائحة ، والحمرة الشديدة ، فقال :

أهدي إليكَ تحيةً من عنده ... زمنُ الربيع الطلْقِ باكرَ وَرْدِهِ
يَحْكي الحبيب سَرى لِوَعْدِ مُحِبِّهِ ... في طيب نَفْحَتِهِ وَحُمْرَةِ خَدِّه (٤)

---

(١) ابن الكتاني ، التشبيهات ، ٥٥ .
(٢) ابن خاقان، مطمح الأنفس ، ١٨٦ .
(٣) ابن الكتاني، التشبيهات، ٥٨ .
(٤) ابن الكتاني، التشبيهات ، ٥٦ . الحميري، البديع في وصف الربيع، ١٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واشتهر السوسن من النوريات عند الشعراء ، فهاموا به لجماله ، وتعدد ألوانه ، فقد ترقب يحيى بن هذيل بدايات نمو السوسن ، ومراحل اكتماله ، وبهائه ، وما يشيع في النفوس من بهجة ، يقول :

فَأَوَّلُ مـا يَبْـدو فَخَلْقُ سـبيكَةٍ ... مُخَلَّصَةٍ بيضـاءَ أتْقَنَها السَّبْكُ
بَنَتْ نَفْسَها فـوق الزُّمُرُّدِ واقفـاً ... فلاحَـتْ كمثـل الدُّرِّ ضَمَّتْهُ السِّلْكُ
جنـى سُـوسَـنٍ لولا سَـنـا بَشَراتِهِ ... لمـا زَيَّنَ الأفْواهَ ثغرٌ ولا ضَحِكُ (١)

ويذكر الجزيري مرحلة نضج السوسن ، فيذكر لونه ، وألسنته ، وصفاءه ، فقال :

وَمُلَسَّنَ الطّاقاتِ أبيـض ناصعٍ ... يـُزهي بأصفر مـن جنـاه فاقع
أعْـدادَ زَهْرَتِهِ إذا حَصَّلْتَها ... سـتٌ سِوى عـدد الرقيـب السبع
سَـكَنَتْ قَـرارَةَ حِجْـرِهِ كَلَـفاً بِهِ ... كالأمِّ تَكْلَفُ بالصغيـر الرّاضع
صـافي الأديـم إذا تَخَلَّقَ صَدْرُهُ ... بخلـوقِ أرْؤُسِها الـذَّكيِّ المائع
أهـدى الصَّبابَةَ والهـوى بنسيمِهِ ... وبديـع منظرِهِ الأنيـقِ الرائـع
سَمَّـوْهُ بالسّوسانِ ظُلْماً واسْـمُهُ ... فـي مـا خـلا ساسـانُ غيْر مدافع (٢)

وأعلى عبادة بن ماء السماء من قيمة السوسن ، حتى إنه لو منح الحياة لبزّ الإنسان ، ولتساوى مع الفتاة الحسناء ، ومنها قوله :

دُمْـتَ بإنعـامٍ وإحْسـانْ ... إن أنـت أنْعَمْتَ بسـوسـانْ
لو كـان نفسـاً حيـوانيّة ... مـا كـان الأنفس إنسـانْ
كـأنَّهُ أنْمُلُ حسـناءَ لـمْ ... تَخْضِبْ يَدَيْهـا خَـوْفَ غَيْـران (٣)

وعرف الشعراء من النوريات البهار الذي وصفوه بناءً على معاينتهم له في البيئة الأندلسية ، وهو النرجس عند المشارقة (٤)، ويجيد ابن القرشية في وصف البهار الذي ينمو في أكواس ، ومن طبيعته الخفر، والحياء ، فقال :

---

(١) الحميري، البديع في وصف الربيع، ١٣٢ .
(٢) نفسه ، ١٣٠ ، ١٣١ .
(٣) نفسه، ١٣٤ .
(٤) نفسه ، ٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كـأنَّ الثّرى يَمْدُّ نحـو خـلالِهِ بأكواسِ راحٍ راحُهُنَّ الكواعِبُ
يُستَرْنَ مـن فَـرْطِ الحياءِ معاصماً بأكمـامِهِنَّ الخُضْرِ عَمَّنْ يُراقبُ (١)

ودفع هذا الوصف الرائع للبهار الحميري أن يعلق ، فقال : جعل قضبه الخضر معاصم مستورة بأكمام خضر ، وجعل أكفها مبيضة ، وكؤوسها مصفرة » (٢) .

وربط أحمد بن برد بين البهار ، والمعادن الثمينة كالذهب ، والفضة ، والزبرجد ، يقول :

تَـأمَّلْ فَقَدْ شَـقَّ البَهـارُ كمائمـاً وأبْـرَزَ عـن نُوّارِهِ الْخَضِلِ النّدي
مَداهِنَ تِبْر فـي أنـامِلِ فِضَّةٍ على أذْرُعٍ مَخْروطَةٍ من زَبَرْجَدِ (٣)

وكان الخيري من النوريات التي تعلق الأندلسيون بها ، لما يتميز به من طبيعة خاصة ، فقد وازن القسطلي بين لون الخيري ورائحته من ناحية، وبين النرجس من ناحية أخرى ، إلا أنه لاحظ بأن الخيري يتميز على النرجس باللون البديع ، والرائحة الطيبة ، ومنها قوله :

أعـارَهُ النَّرْجِـسُ مـن لَـوْنِهِ تَفَضُّلاً وازدادَ مـن طيبِهِ
وناسَبَ النّمّامَ لمـا انتهى إلـى اسـمه الأدنـى وتركيبِهِ
ومـا يُجـاري واحـداً منهـما إلا كَـبا فـي حيـن تَقْريبِهِ (٤)

ويكشف الرمادي عن ميزة أخرى للخيري ، بأنه يبعث رائحة زكية خلال الليل البهيم ، ومنها قوله :

انظـر غـرائِبَ لِلْخَيْرِيِّ ظـاهِرَةً عنـد الظَّـلامِ وعنـد الصُّبْحِ تَسْتَتِرُ
كـأنَّهُ سارِقٌ طيبـاً تَفَرَّقَ في الـ ـظلمـاءِ فَهْوَ بتَمِّ الريحِ مُشْتَهِرُ(٥)

ويعزز صاعد بن الحسن اللغوي المعنى نفسه ، لكنه اقتنص صورة الخليع في الطريق الذي يقبل على الخيري ليلاً ، فقال :

بعثـت إليـك مـن خيريِّ رَوْضٍ مخرمـة كـأوراق العقيقِ
تـوكل بالغـروب عـن التصـابـي وتصطـاد الخليـع مـن الطريقِ (٦)

---

(١) الحميري، البديع في وصف الربيع ، ٩٨ .
(٢) نفسه ، ٩٨ .
(٣) ابن خاقان ، مطمح الأنفس، ٢٠٧ ، ٢٠٨ . المقري، نفح الطيب، ٥ / ٨٩ .
(٤) الحميري ، البديع في وصف الربيع، ١١٤ .
(٥) نفسه، ١٠٩ .
(٦) المقري، نفح الطيب، ٤ / ٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما الماء ، فإن بلاد الأندلس قد نعمت به ، سواءٌ أكان أنهاراً أم بحاراً ، وسيأتي الحديث عن البحار لعلاقتها بالسفن ، والأساطيل في القسم الأخير من هذا الفصل، الشعر والمعالم الحضارية ، وبلاد الأندلس تخترقها أنهار كثيرة تضفي جمالاً ، وحياة على البيئة الأندلسية الساحرة ، فدفع ذلك شعراء المنصور أن يصفوها ، ولكنه ليس وصفاً فوتوغرافياً ثابتاً ، ميتاً ، بل أضفوا على الوصف الحياة بما فيها من حركة ، وتجدد، وبين يحيى بن هذيل أثر النهر فيه من خلال بعث النشاط فيه ، وقد شبه الماء النمير بالخمر الصافية ، ويرى من خلال الماء الحصباء في قاع النهر ، وكأنها دموع الفتاة الحسناء صفاء ، يقول:

وماءٍ كمثل الراح جارٍ يزيدني ... نشاطاً فَيجري كُلُّ معنى على ذهني

يمرُّ على حصبائه فكأنَّهُ ... صفا الدَّمع في عقد الفتاة التي أعني [1]

ويتتبع محمد بن الحسين الطبني مجرى النهر ، وحركة مياهه ، ويلاحظ أنه يتشكل كالفضة ، والثوب، والنصل، والسوار ، حسب الوضع الذي يكون فيه جغرافياً، وما يتبع ذلك من إبطاء وسرعة ، واستقامة واستدارة ، ومنها قوله :

والنَّهرُ مكسوٌّ غلالَةَ فِضَّةٍ ... فإذا جَرَى سيلاً فثوبُ نضارِ

وإذا استقامَ رأيتَ رَوْنَقَ مُنْصُلٍ ... وإذا استدارَ رأيت عطفَ سوارِ [2]

٣ - الظواهر الطبيعية .

وأما الظواهر الطبيعية، كانبلاج الفجر ، والبرق، والرعد ، والسحاب ، والمطر ، والريح ، والسراب ، والنيران ، فقد عبر الشعراء عنها ، وارتبط الفجر بالليل من ناحية ، وبالنهار من ناحية أخرى ، لذلك فإن بزوغ الفجر استحوذ على اهتمام شعراء تلك الفترة ، فوصفوه ، والأمل يحدوهم ، والبشر يغمرهم ، ويربط طاهر بن محمد بين اللون الأسود ليلاً، وبين اللون الأزرق صباحاً ، ويولد صورة لفتاة جميلة ترتدي ثوباً أزرق ، وتخلع ثوبها الأسود ، ومنها قوله :

وكأن وَجه الْفَجْرِ وَسْطَ سَمائِهِ ... من سودِ أرديةِ الظَّلامِ أعاضَها

خَوْدٌ ألمَّ بها الأسى في أزرَقٍ ... برزَت فَشَقَّقَ حُزْنُها فَضْفاضُها [3]

وشبه الرمادي انبلاج الفجر بخوافي جناحي هيقل [4] ، أو بثوب أزرق فاتح سماوي ، يقول :

---

(١) ابن الكتاني، التشبيهات ، ٦٦ .

(٢) نفسه ، ٦٧ .

(٣) نفسه ، ٣٣ .

(٤) الهقل : الفتي من النعام، والهيقل كالهقل (لسان العرب مادة : هقل) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بَـدا الصُّبْحُ مـن تَحْتِ الظلام كـأنه خـوافـي جَناحَي هَيْقَل بـات حاضِنا

وإلا فكـالثـوبِ السـمـاويِّ مُعْلِماً شفيفاً بـدا في أسـفل الثـوب بائـنا (١)

وكانت ظاهرتا البرق والرّعد من الظواهر الطبيعية التي استرعت اهتمام شعراء المنصور ، خاصة أن الظاهرتين متلازمتان ، فقد قابل يحيى بن هذيل بين الليلة ذات البروق ، والزنجي ذي الأسنان الناصعة البياض، يقول :

ولقـد شَفَّني فأسهرَ طرفـي لمـعُ بـرقٍ يـرفُّ فـي لمعانِهِ

شِـمْتُهُ والظَّلامُ يفتـرُّ عنـهُ كافترار الـزنجـي عن أسنانِهِ (٢)

ويضرب حبيب بن أحمد الشطجيري مثلين للبرق وتألقه ، فالمثل الأول كالقين الذي يستل السيف من غمده ، ويعيده ثانية إلى قرابه بسرعة ، والمثل الثاني كالمحبوبة التي زيارتها خاطفة لا تلبث أن تعود إلى ديارها، فقال :

ألا هَـلْ رأتْ عينـاك إيمـاض بـارقٍ بَـدا مَوْهِنـاً فـي الْجَوِّ بين سَحابِهِ

كمـا قَلَّبَ القـينُ الحسـام وردَّهُ علـى عَجلٍ فـي جَفْنِهِ وقِرابِهِ

كـأنَّ التـي مـن أرضِها لاح وَكَّلَتْ بـه بُخْلها فـي جَيْبِهِ وذهابِهِ (٣)

وربط طاهر بن محمد بين البرق ، وبين الرعد ، وما يلقي كل منهما من أثر نفسي عليه ، فالبرق يبعث الإضاءة والنور ، والرعد يلقي في روعه الذعر الشديد ، فوظف صورتي الخيل البلقاء للبرق ، والبازل الطائر الجارح للرعد ، يقول :

تكشَّـفَ كالأبْلَقِ الطافِرِ وَهَمْهَـمَ كـالبـازِلِ الهـادِرِ

كـأنَّ فؤادِيَ فـي خَفْقِهِ وَعَيْنَـيَّ فـي غَيْنِهِ الماطِـرِ (٤)

ومن الظواهر الطبيعية ظاهرتا السحاب والمطر ، فقد نظر شعراء تلك الفترة إليهما نظرة جمالية ونفعية ، وقد راقب الرمادي سحابة في فصل ماطر ، وبين دور الرياح في سوقها عبر الفضاء ، إلا أنه دهش لأنها سفين بحورها فيها من خلال وجودها في الجو ، يقول :

---

(١) ابن الكتاني ، التشبيهات، ٣٤ .

(٢) نفسه ، ٤٠ .

(٣) نفسه ، ٤١ .

(٤) نفسه، ٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجاريَةٍ جَـرْيَ السفين تسـوقُها الريـاحُ ولكـن فـي الهـواء غـديرها
رأيـتُ بأحشـاءِ البحـورِ سـفينَها وتـلك سـفين في حشـاها بحورها [١]

ويلاحظ يحيى بن هذيل سحابة تسوقها ريح الصبا ، كأنها فتاة تامة الحسن تتهادى بين وصائفها ، فقال :

وَحَنّـانَةٍ فـي الجـوِّ كـدراءَ أقْبَلَتْ تَبَسَّمُ عـن وَمْضٍ مـن البَرْقِ خاطِفِ
تَـزُفُّ بها ريحُ الصَّبا غيـر أنهـا تهـادى تهادي الْخَوْدِ بين الوَصائِفِ [٢]

ويفسر طاهر بن محمد نزول المطر من خلال ارتفاع السحابة بفعل الرياح ، فقال :

وساريَةٍ طـوعَ إعصـارِهـا محملـةٍ ثقـلَ أوقارِها
مَخـايلها بـالحَيـا جـمّةٌ فإظهـارهـا مثـل إضمارِها
نأى غيمـها ودنـا غيثُها دُنُـوَّ الشُّموسِ بـأنـوارِهـا [٣]

واختلفت النظرة إلى الريح حسب أثرها الذي تحدثه في الحرث والنسل ، لذلك فإن شعراء المنصور وصفوا الريح ذماً أو مدحاً حسب ما تحدث من آثار ، وأقلقت الريح المدمرة يحيى بن هذيل ، وما تبعث عن طريق حركتها من صوت مزعج ، مخيف ، وما تثير من رمال وغبار ، يقول :

وَمُرِنَّةٍ بَعْـدَ الـرَّواح كـأنما في نحـرهـا صـوت القريـع الهـادِرِ
قَرُبَـتْ من الأسـماع وهـي بعيـدةٌ منـها وغـابَتْ فـي الهبـوب الحـاضِرِ
فـإذا التقـى جمهورهـا فـي دَوْمَةٍ فكـأنَّ فيـها كـلَّ ليـثٍ هاصِرِ
وإذا اسـتقل قتـامَهـا فـكـأنما فيـه التفافُ عسـاكرٍ بعساكرِ [٤]

ويورد علي بن أبي الحسين الرياح الشمالية في مجال الخير ، فهي تسوق السحب المحملة بالماء ، ومنها قوله :

غـزَتْنا المـزْنُ والرايات دَجْن بأجنادٍ عليـهـا قائـدانِ
شمـالٌ قـد تباريهـا قَبـولٌ كـأنهما معـاً فرسـا رِهان [٥]

---

(١) ابن الكتاني ، التشبيهات ، ٤٥ .
(٢) نفسه ، ٤٥ .
(٣) نفسه ، ٤٤ .
(٤) نفسه، ٣٦ ، ٣٧ .
(٥) نفسه ، ٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وترتبط ظاهرة السراب بالصحراء ، وهي ظاهرة خدّاعة توهم من يبصرها بوجود الماء ، وتتجلى هذه الظاهرة وقت اشتداد حرارة الجو ، ويبين الرمادي ماهية السراب في الصحراء ، فهي دون سراب، كالبحر الساكن ، وحين يظهر السراب ، فهي كالبحر المزبد ، ومنها، قوله :

تـــراها بغـير الآل كالبـــحر ســـاكناً فـــإن كـــان آلٌ خلتها البـحرَ مُزْبِدا (١)

وأعطى يحيى بن هذيل صورة تقريبية للسراب ، فهو حين يلازم الصوان كالبرود ، وحين يتجلى في الروابي الجبلية كالرجال يتأزرون بيض الثياب ، يقول :

وَمُـطَّـردِ الأعـــلام خـــالٍ ، ســـرابُهُ علـى الأمْعَزِ العـــاري بـرودٌ تُقَشَّرُ

كـــأن روابيـــه إذا ائْتَزَرَتْ بِهِ رجـــالٌ ببيـــضِ الرَّيْطِ ظُهراً تَأَزَّروا (٢)

ولفت انتباه شعراء تلك الفترة أيضاً من الظواهر الطبيعة النيران ، فاستوقفتهم ، وعبروا شعراً عنها ، فقد شدت النار انتباه يحيى بن هذيل في اضطرامها ، واستعارها ، وقوتها بسبب هبوب الريح ، وكذلك خفوت النار بسبب سكونها ، ويحدث ذلك بالتناوب ، ومن قوله :

وَقَفْتُ علـى عليـاءَ والجـزعُ بيننـا لأنظـر مـن نارٍ على البُـعْدِ تُوقدُ

تَقومُ بطـول الرمـح إن هَبَّتِ الصَّبا وعنـد سـكون الريح تَهْـدا فَتَقْعُدُ

فَشَبَّهْتُـهـا فـي الحالتين بقـارىء إذا اعْتَرَضَتْهُ سَـجْدَةٌ ظلَّ يَسْجُدُ (٣)

ويسترعي انتباه الرمادي خفوت نار السراج أثناء الليل ، حتى إذا ما انبلج الفجر لم يعد لنار السراج أية قيمة ، بسبب إضاءة الشمس الساطعة صباحاً ، فقال :

أرى ســكراتٍ للســراج كـــأنَّهُ عليـلُ هـوىً فـوقَ الفراشِ يجودُ

أراقِبُهُ حـتى إذا قلـت قـد قَضى تثـوبُ إليـه نفســهُ فتعودُ

وآمَرَضَهُ ضـوءُ الصباح كـــأنَّهُ يُـرى في اجتمـاع الآلفين حسـودُ (٤)

وأنتهي إلى القول بأن الشاعر الأندلسي كان يعيش في رغد من الحياة ، وفي وسط بيئة غناء جميلة ، وكما يقال : فإن الانسان ابن بيئته ، وقد وصل الأمر بهم أن يتحدثوا حديثاً مسهباً عن عناصر الطبيعية، وظواهرها ، وكان طرحهم غالباً رومانسياً معبراً ، وقد دفعتهم الثقافة المشرقية ، وحبهم ، وحنينهم إلى الطبيعة الأولى الصحراوية أن يصفوا الجمال ، والرحلة التي كانت تتصف بالألم والشقاء ، ومكابدة العنت والصعوبات للوصول إلى الممدوح لنيل العطاء ، وارتبط السراب بالصحراء ، لذلك وصفه الأندلسيون ، وورد في أشعارهم .

---

(١) ابن الكتاني ، التشبيهات ، ١٧٢ .

(٢) نفسه ، ١٧١ .

(٣) نفسه، ١٦٢ .

(٤) نفسه ، ١٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د - الشعر الوجداني .

كان شعراء المنصور لا يلتزمون في عملهم الشعري الموضوعات العامة (غير الذاتية) فقط ، فقد كانوا يعبرون عن أحاسيسهم الذاتية ، ويمكن تقسيم الشعر الوجداني في تلك الفترة إلى أربعة موضوعات ، هي : الغزل ، والزهد ، والحنين إلى الوطن ، والرثاء .

١ - الغزل وأشكاله

والغزل في تلك الفترة يتفرع إلى أربعة أقسام ، هي : التقليدي ، والحسي ، والشاذ ، والعفيف ، وكان للموروث الجاهلي الشعري تأثير في الغزل التقليدي ، فقد ظهر التقليد ، وإن لم يكن تقليداً لازماً لازباً ، وظهر الغزل التقليدي واضحاً أشد الوضوح عند القسطلي ، لأنه كان يستهل بعض قصائد المديح بالمقدمة الغزلية التي هي جزء رئيس في قصائد المدح العربية ، ويخاطب الشاعر نفسه المرأة بأن تخلي بينه وبين السفر ، لأغراض يرغب في تحقيقها ، منها الحصول على العزة ، وفك الأسير ... ، فقال :

دَعي عَزَماتِ المُستضامِ تَسيرُ ... فَتَنْجِدُ في عُرضِ الفَلا وتغورُ
لَعَلَّ بما أشجاكِ من لَوْعَةِ النَّوى ... يُعَزُّ ذليلٌ أو يُفَكُّ أسيرُ
ألم تعلمي أن الثواءَ هو النَّوى ... وأنَّ بيوت العاجزين قبورُ (١)

ويفضي الشاعر نفسه في حديث نفسي عميق مع صاحبته أن توطن نفسها على الفراق المحتم ، لأنه فراق يكون سبباً في الثراء والجاه ، ويلح عليها ألا تكون حجرَ عَثْرَةٍ في طريقه عن طريق البكاء ، وما يتبع ذلك من تثبيط همته ، فقال :

كُفّي شؤونَك ساعة فتأمّلي ... في كَيْلِها بُشرى الصَّباح المُقْبِلِ
وتَنَجّزي وَعْدَ المشارِقِ وانظري ... واستَخبِري زُهْرَ الكَواكِب واسألي
فَلَعَلَّ غاياتُ الدُّجى أن تنتهي ... وعسى غيابات الأسى أن تنجلي
لا تَخْدَعي بدموع عَيْنَيْكِ في الوَرى ... قلباً يعزُّ عليه أن تتذلّلي
وتَجَمّلي لِشَجا النَّوى لا تُمْكِني ... أيدي الصبابَةِ من عنانِ تَجَمُّلي
لا تَحْذَلي بالعجز عزميَ بَعْدَما ... شافَهْتُ أعجازَ النُّجوم الأُفَّلِ (٢)

---

(١) ابن درّاج ، ديوانه ، ٢٩٧ .
(٢) نفسه ، ٤١٦ ، ٤١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان يونس بن عبد الله بن مغيث من الشعراء المقلدين للنموذج الجاهلي ، وإن كان أقل منه فنية وصدقاً وسبكاً ، فقد استخدم اللغة المباشرة ، ولم يعش التجربة بدقائقها وتفاصيلها ، يقول :

ديارٌ عليها من بَشاشَةِ أهْلِها ... بقايا تَسُرُّ النَّفْسَ أُنساً وَمَنْظَرا
رُبوعٌ كساها المُزْنُ من خِلَعِ الحَيا ... بُروداً وحلاها من النَّورِ جَوهرا
تَسُرُّكَ طوراً ثم تشجوك تارةً ... فترتاحُ تأنيساً وتشجى تَذَكُّرا (١)

ويدخل الرمادي الحمام في بكائه على الأطلال من قبيل تداعي الصور التي تعبر عن شدة الوله ، ولوعة الفراق ، فقال :

قِفوا تشهدوا بشي وإنكار لائمي ... عليَّ بكائي في الرسوم الطواسِمِ
أيأمن أن يغدو حريقَ تنفسي ... وإلا غريقاً في الدموع السواجِمِ
فهذا حمام الأيك يبكي هديلُهُ ... بكائي فليفزع للوم اللوائِمِ
وما هي إلا فُرقَةٌ تَبْعَثُ الأسى ... إذا نزلت بالناس أو بالبَهائِمِ
خلا ناظِري من فرقةٍ بعد خلوةٍ ... متى كان منّي النومُ ضَربَةَ لازِمِ (٢)

ويخرج حبيب بن أحمد الشطجيري على المألوف في بكاء الأطلال ، فخاطب منازل محبوبته التي تسطع أنوارها ليلاً – دليل المدنية – ، وما يحدث ذلك في نفسه ، من شوق حار ، وتلهف متقد ، فقال :

وَقريةٍ من لَحْظِ مُبْصِرِها فإن ... أعملتَ سيراً نحوها لم تُلْحَقِ
رُفِعَتْ لنا والليل منسدلُ الدُّجى ... فَفَرَّتْ دُجاهُ بِنَوْرِها المُتَأَلِّقِ
وكأنَّ ما بين الجوانح والحَشا ... من وَهَجِ حرِّ ضِرامِها المُتَحرِّقِ (٣)

مما تقدم يتبين أن الغزل التقليدي عند الأندلسيين زمن المنصور بن أبي عامر كان استمراراً للتقليد الجاهلي، لأن القصيدة الجاهلية كانت تعد مقياساً عند الشعراء العرب المحافظين في الأندلس الذين تعمقوا في الثقافة العربية عن طريق الشروحات التي قدموها للدواوين المشرقية ، وقدوم علماء اللغة من بغداد إلى الأندلس ، وقد تعددت مظاهر الغزل التقليدي عند شعراء تلك الفترة ، فمنه ما تمثل القديم ، ومنه ما

(١) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ٢٩١ .
(٢) الحميدي، جذوة المقتبس، ٢ / ٥٩٢ . الضبي، بغية الملتمس، ٤٩٤ . ابن سعيد ، المغرب في حلي المغرب، ١ / ٣٩٣ .
(٣) ابن الكتاني ، التشبيهات، ١٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دخلت فيه طيور ونباتات جديدة ، ومنه ما تأثر بالحياة المدنية ، وبذلك يكون خروجاً على المألوف .

وأما الغزل الحسي ، فقد عبر الشعراء عن أحاسيسهم تجاه المرأة تعبيراً تظهر الغرابة فيه ، إذ كان التركيز على وصف أعضاء المرأة ، ولم يعطوا المغامرة اهتماماً بعيداً إلا في بعض المواطن حيث وصفوا الثغر ، والوجه، والأصداغ ، والنهود ضمن حدود ، وكانت المغامرة تأتي في معرض وصف تلك الأعضاء السابقة ، كما سيتضح فيما بعد ، وقد وصف شعراء المنصور جمال العيون عند المرأة فقد سحرتهم العيون الجميلة في شكلها، ونظراتها ، فقد شبه يحيى بن هذيل عيون النساء الجميلات بالبقر الوحشي ، إلا أنها تتميز بفتور نظرتها ، ودلها ، وغنجها ، يقول :

كأن عيونهنَّ عيونُ عينٍ ... فواترٌ قد سكِرْنَ بغير راح

يموتُ العذل في أهل التَّصابي ... بهنَّ فما لأهْلِ العِشْقِ لاح [1]

ويقرر الرمادي بأن عيون الحسناء حور ، وفيها صفة النعاس ، فقال :

وآحْوَرَ وسنانِ الجفونِ كأنما ... به سَقَمٌ في لَحْظِهِ غَيْرُ موجع

كأن بعينيه خضوعاً ومن رُمي ... بألحاظه تلك الخَواضع لم يَخْضع [2]

ويعلق علي بن أبي الحسين على عيون النساء بأنها ترسل سيفاً حين تنظرفيه ، ويحدث هذا التأثير رغم فتور تلك العيون ، فقال :

وأرْسَلْتَ نَحْوي من جُفونِكَ مُرْهَفاً ... أرقَّ من الشَّكْوى وأخْفى من الحَدْسِ

كأنَّ غِرارَيْهِ ، وإن كان فَكُّها ... فتوراً ، حِمامٌ لا يُلِيْثُ بالنَّفْسِ

أُديرُ لحاظَ العين فيك فأنثني ... وقَلْبِيَ في حُزْنٍ وعيني في عرسِ [3]

وتغزل شعراء تلك الفترة بثغور الحسان مصدر الريق ، الذي يعب المحبون منه ساعة الوصال مع محبوباتهم ، فقد ذهب الرمادي إلى وصف الريق في الثغر الجميل بالعسل الصافي الذي يرشفه ، ويلتذ به ، يقول :

وقد قُطِبَتْ شهداً مُدامَةُ ثغرِهِ ... وما في الجفونِ الفاتراتِ هو الصرفُ

لذا يقتلُ الصِّرفُ الذي في جُفونِهِ ... ويُلْتَذُّ مما في مراشِفِهِ الرَّشْفُ [4]

(١) ابن الكتاني ، التشبيهات ، ١٣٢ .
(٢) نفسه ، ١٣٣ .
(٣) نفسه ، ١٣٢ .
(٤) نفسه، ١٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهنا تظهر المغامرة في رشف الريق مما يدل على استطابته ، وطلب المزيد منه .

ويستعيض الرمادي عن الخمر بالريق من ثغر محبوبته ، لأنه يحدث نشوةتعادل الخمر ، إن لم تتفوق عليها ، فقال :

قَـد صَحَوْنا عـن الشـراب علـى فَرْط اشتـياقٍ إلـيه إذ أنـت صاح
غيـر أنّي عُوِّضْتُ مـن شُربِ كاسٍ قهـوة الرّيقِ فـي كـؤوس الأقـاحي
مـا فُجِعْنا بالرّاح كاسـاً بكاسٍ مـن ثُغورٍ فيـهن راحٌ كراح (١)

وتتجلى المغامرة في النص السابق ، بأنه جعل ريق محبوبته معادلاً للخمر ، مما يدل على تميز ريقها صفاء ، وطعماً ، ونكهة .

وكانت نظرة الشعراء إلى جمال الوجه نافذة ، فقد استرعى اهتمامهم الخيلان التي تزين الخدود ، وقد وازن الرمادي بين الخدود الجميلة التي تزينها الخيلان والتفاح الأحمر المنقط بالسواد ، ومنها قوله:

وتَنَعَّمْتُ فـي خُـدودٍ صِبـاحٍ زائداتٍ علـى بيـاض الصُّباح
صـارَ فيـها الخيـلانُ فـي الوردِ شِبْهاً للغـوالي فـي أحمرِ التُّفاح(٢)

يتبين من النص السابق أن الشاعر ظهرت عنده المغامرة عن طريق استخدامه الفعل « تنعمت » مما يفضي إلى تقبيله المستمر لمحبوبته .

ويغلب عبد الله بن عبد العزيز وجه محبوبته الذي يبدو قمراً على القمر الحقيقي ، لأنه لا يلبث القمر الحقيقي أن يختفي ، فقال :

اجْعَلْ لنـا منـكَ حظـاً أيـها القمرُ فـإنما حَظُّنا مـن وَجْهِكَ النَّظرُ
رآك نـاسٌ فقـالوا : إن ذا قـمرٌ فقلـت : كُفّوا فعنـدي منهمـا خبرُ
البـدرُ ليـلةَ نصفِ الشّهرِ بَهْجَتُهُ حتـى الصباح ، وهـذا دهرُهُ قَمَرُ
واللـه مـا طلعـت شـمسٌ ولا غَرَبَتْ إلا وجـاءت إليـك الشـمسُ تَعْتذِرُ (٣)

ويتضح من النص التالي مغامرة من نوع غريب ، حيث قبل الشاعر الفتاة على حين غرة منها ، مستبعداً العقوبة أن تقع عليه ، لأنه لم يسلب أي شيء بتقبيله إياها ، يقول :

(١) ابن الكتاني، التشبيهات ، ١٣٤ .
(٢) نفسه ، ١٢٩ .
(٣) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ٢ / ٤١٥ . الضبي، بغية الملتمس، ٣٤٧ . ابن الأبار، الحلة السيراء، ١ / ٢١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومهفهف أبهى من القمر قَهر الفؤاد بفاتن النظرْ
خالَسْتُهُ تُفّاح وجنته فأخذتها منه على غَرَرْ
فأخافني قوم فقلت لهم لا قطع في ثمر ولا كَثَرْ (١)

ولفت انتباه الشعراء الأصداغ التي تزيد الخدود جمالاً على جمال ، وتراءى للرمادي الأصداغ كالعقارب السوداء على الخد الأبيض ، يقول :

غُرَرُ اللجينِ وفوقها أصداغُ عِقيان لواعبْ
تَوّجْنَ منه وأرسلَتْ منه إلى الكُثُبِ الذّوائبْ
أصداغُهُنّ مع الذّوا ئب كالأساود والعقارب (٢)

ويكشف عبادة بن ماء السماء في النص التالي عن نوع جديد من المغامرة ، يبدو في ذعره الشديد حين يقبل ، لأنه يفجأ بالأصداغ التي لها فعل العقارب في نفسه ، فقال :

إذا رُمتُ قطفَ الوردِ الصُّدْغُ بعقْرَبِ سحرٍ في فؤادي له لَدْغُ
غَزالٌ بجسمي فترةٌ من جفونِهِ وفي أدْمُعي من لون وَجْنَتِهِ صَبْغُ
زيارَتُهُ أخفى خَفاءً من السُّها ودون فراغي من محبته الفَرْغُ (٣)

ووصف شعراء المنصور شعر الحسناوات ، ولفت انتباههم قضية لون الشعر ، فقد كانت ميولهم مختلفة إزاء هذه القضية ، فقد سلط عبادة بن ماء السماء الضوء على جمالية المرأة حين تكون حاسرة الرأس ، ويبدو شعرها الذهبي المجعد الذي يشبه طبق التبر ، ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل يتجاوزه إلى الإضاءة التي مصدرها الوجه الشديد البياض ، والشعر الشديد الصفرة ، ومنها قوله :

كُلّما مِسْتِ في الرِّداء تَوارَتْ بقناع غَزالةُ الأبراج
أو تَمَشّتْ بحاسِرِ الرأسِ أوفى مَلَكٌ للملاح من غير تاج
وكأنّ التفافَ شعركِ جَعْداً فوقَ وَجْهٍ يضيءُ ضَوْءَ السِّراج
طبَقٌ مُكَفّأٌ من التِّبْر مَحْضاً تَحتَهُ للعيون لُعْبَةُ عاج (٤)

(١) المقري ، نفح الطيب، ٤ / ٧٧ .
(٢) ابن الكتاني، التشبيهات، ١٢٨ .
(٣) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق١ ج١ / ٤٧١ .
(٤) ابن الكتاني ، التشبيهات ، ١٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويطرح علي بن أبي الحسين صورة عن طريق مفارقة وهي الوجه المشرق ، والرأس المظلم ، ويشبه شدة سواد الشعر بالخرز الأسود ، فقال :

أرى صباحاً منيراً فوقَ جَبْهَتِهِ ... ليلٌ كأنَّ دُجاهُ حالِكَ السَّبَجِ

وروضَةً طلعت ، فيها لأعينِنا ... وردٌ تَفَتَّحَ بين السَّوْسَنِ الأرجِ [١]

وكانت النهود من مفاتن المرأة التي وصفها الشعراء ، وكانت لهم مقاييس خاصة لجمالها ، وأخبر الرمادي في النص التالي عن مغامرة في ليلة عابثة ، لاهية حيث تمسك يد كأس الخمر ، واليد الأخرى تقبض نهداً كاعباً كتفاح اللجين ، وهي مدورة كأنما أفرغت في قوالب ، ومنهاقوله :

ليالي يميني تقبضُ الكاسَ مرةً ... وأخرى لها قبضٌ على نَهْدِ كاعِبِ

نهودٌ كتفاحِ اللُّجَيْنِ كأنها ... لتدويرها أُفْرِغَتْ في قوالِبِ[٢]

ويكشف النص التالي عن مغامرة من نوع مختلف ، فيرسل سعيد بن فتحون إلى صديقه جارية تمثل الذروة في الجمال ، وهي مباح وصلها من المنظور الديني ، واللافت للنظر في الجارية أن نهودها كالرمان أطرافها مدببة كالرماح ، فقال :

وَرسولي إليكَ أصلحكَ اللهُ ... غزالٌ كالبدرِ في الدَّجْنِ لاحا

حَسَّنَتْهُ يَدُ الطبيعةِ حتى ... صَيَّرَتْ وَصْلَهُ حلالاً مُباحا

حَسَّنَتْ صَدْرَهُ بأنبلِ رُمّا ... نٍ تُحاكي أطرافُهُنَّ الرِّماحا [٣]

ويشكل النهدان عند عبد العزيز بن الخطيب هماً ، فهما تفاحتان متدافعتان إلا أن لينهما يمنعهما من تمزيق ما يغطيهما ، فقال :

وناجِمانِ من التُّفّاحِ في غُصُنٍ ... يُميلُهُ نَفَسُ المُضْنى به هَيَفا

يُدافعانِ إلى الألحاظ ما لَبِسا ... كالسِّرِّ في صَدْرِ نَمّامٍ ولو كُشِفا

لو لم يكفُّهُما ضُعْفٌ للينهما ... لَمَزَّقا عنهما بالدَّفعِ ما التَحَفا [٤]

---

(١) ابن الكتاني، التشبيهات ، ١٢٣ .

(٢) نفسه ، ١٣٦ .

(٣) نفسه ، ١٣٧ .

(٤) نفسه ، ١٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وارتبطت الأرداف بالخصور في علاقة جدلية عند شعراء تلك الفترة ، وكان ذوقهم عربياً محضاً في توجههم عندما وصفوا أرداف المرأة بالثقل ، ويبرز علي بن أبي الحسين ثقل الأرداف التي يحملها الخصر النحيل لدرجة أنه يكاد يستوعب الخاتم ، مما يلحق ظلماً فادحاً به ، فقال :

كيف التَّصبُّرُ عن بَدْرٍ كَلِفْتُ بِهِ ... خَفَّتْ أعاليه فارتَجَّتْ مآكِمُهُ

يكادُ من رِقَّةٍ في خصره وَجِبَتْ ... من الكثيب بأن يحويه خاتَمُهُ

شكا الأسى خصرُهُ إذ ظل يحملُهُ ... كأنما هو مظلومٌ وظالِمُهُ[1]

وضرب عبد العزيز بن الخطيب مثلاً نفسه ، فالخصر كأنه قد من جسده ، والأرداف من الضخامة كأنها همومه العظيمة ، يقول :

كأنَّ خَصْرَكَ ضعفاً قُدَّ من جَسدي ... وثِقْلُ رِدْفِكَ من هَمي إذا انعكفا

كأنَّ لَحْظَكَ أغْوى مُقْلَتيْكَ بِهِ ... عمداً لِتَضْعِفَ من سُقْمٍ كما ضَعُفا

كأنَّ رِدْفَكَ مِمّا انْحطَّ منهُ نما ... حتى تضايَقَ عنه المِرْطُ مُكْتَنِفا[2]

ووصف الشعراء مشي المرأة ، وكان توجههم بأنهم يحبذون البطيئة ، الوئيدة في مشيها ، لعلة ثقل الأرداف ، ويشاهد الرمادي امرأة تولي هاربة ، فكأنها ترسف في القيود لثقل أردافها ، فقال :

وكانَتْ على خَوْفٍ فَوَلَّتْ كأنّها ... من الرَّدْفِ في قَيْدِ الخلاخِلِ تَرْسُفُ

وأهْدَتْ سلاماً عن بنانٍ كأنها ... التماعاً ووحياً بارقٌ مُتَخَطِّفُ

بمعصمٍ كافورٍ بياضاً، يُكِنُّهُ ... بغالِيَةٍ من صَبْغِهِ وتُطَرِّفُ[3]

وكرر يحيى بن هذيل صورة المرأة البطيئة في مشيها ، كأنها مقيدة لعلة ثقل الأرداف ، وارتجاجها واضح ، وتتكلفه أيضاً ، كي تلفت الانتباه اليها ، يقول :

مَشَيْنَ إلى الرِّكابِ وقد أُنِفْحَتْ ... كما يمشي الأسارى في القيودِ

تُغازِلُنا مُلاءُ الخَزِّ عَمْداً ... بأطراف الروادِفِ والنُّهودِ[4]

---

(١) ابن الكتاني، التشبيهات ، ١٤٣ .

(٢) نفسه ، ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٣) نفسه ، ١٣٩ .

(٤) نفسه ، ١٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستمتع الأندلسيون بصوت المرأة عموماً ، خاصة الجميل منه ، وتجلى ذلك في مجالس الطرب والغناء، ويسترعي انتباه الرمادي مداعبة قينة للأوتار ، ويسمع ترجيع صوتها الجميل الذي يبعث الصحو الكامل في المجلس ، أو كالبروق التي تشق السحاب ، ومنها قوله :

تلثم الأوتارُ منها بناناً ... يَعْدِلُ الأفواهَ إلا الرِّضابا

تَسْبِقُ الأبصارَ من وَحْيِ صوت ... تحسب الترجيع منه انتهابا

مثلما طارَ الجفونُ اختلاجا ... أو كما شَقَّتْ بروقٌ سَحابا [1]

ورفض سعيد بن فتحون العيش إلا إذا تحققت شروطه ، ومنها : القينة الحلوة ذات الوجه الجميل ، والصوت الأخاذ ، والذوق الرفيع ، فضلاً عن الوتر والخمر ، ومنها قوله :

لا عَيْشَ إلا في المُدامِ وَقَيْنَةٍ ... تَشدو على وَتَرٍ فصيحِ ألْثَغ

تُغْنى بتقديرِ الزَّمانِ ومَسْحِهِ ... فيجيءُ بين مُمَلأ وَمُفَرَّغ

وكأنما نغماتُها في لَفْظِها ... ذهبٌ أُسيلَ على لُجينٍ مُفْرَغ

وإذا نَظَرْتَ إلى محاسِنِ وَجْهِها ... نادَيْتَ يا قمر السَّما لا تُبْزُغ [2]

يبدو مما سبق أن قضية التأثر بالشعر المشرقي كانت واردة ، لأن العرب في الأندلس ، وفي المشرق من أصل واحد ، كذلك فإن الروابط والوشائج بقيت موجودة ، ولأن الثقافة واحدة ، فقد كانت مقاييس الجمال لأعضاء المرأة واحدة ، وتشترك الثقافة العربية سواء أكانت في المشرق أم في المغرب ، بأنها جزأت النظرة إلى المرأة ، فقد فصلت كل عضو على حدة ، دون أن تكون هناك نظرة شاملة للمرأة بأنها جميلة أو قبيحة ، وتعليل ذلك ، أن الأندلسيين لم يكونوا بجرأة المشارقة في وصف المرأة والمغامرة معها ، ولعل سبب ذلك يعود إلى انفتاح المجتمع العباسي انفتاحاً أوسع على الحضارات والفلسفات هذا من ناحية ، ووجود ضوابط من العرف والدين في المجتمع الأندلسي من ناحية أخرى.

ويلاحظ أثناء الدراسة ، أنه لم يوجد شاعر بعينه تأثر الأندلسيون به ، ولكن شعرهم يمتلك مقاييس الشعر الحسي وخصائصه نفسها في المشرق ، من تركيز على الحواس ، والمغامرة في بعض الأحيان وضمن الحدود ، دون تهتك شديد أو صراحة مكشوفة تماماً ، وإلا عد ذلك خروجاً على النظام العام في المجتمع يعاقب عليه القانون ، وعرض الشعراء في تلك الفترة أعضاء المرأة كلها في غزلهم ، وأما

(١) ابن الكتاني التشبيهات ، ١٠٤ .

(٢) نفسه ، ١٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معانيهم ، فهي المعاني نفسها التي طرقها المشارقة . وأما الجديد في هذا اللون من الغزل فهو تركيزهم على الأصداغ ، وتشبيهها بالعقارب ، هذا الكائن الذي يخافه الإنسان لشدة لدغته التي تكون قاتلة في أحيان كثيرة ، ولكن الأندلسيين جعلوا من العقرب كائناً مقبولاً محبباً من خلال صورهم الشعرية التي تؤكد وجود الأصداغ كالعقارب على وجه المحبوبة الشديد البياض ، وهنا تبرز المفارقة بين الأصداغ كالعقارب ذات اللون الشديد السواد ، وبين وجه المحبوبة الناصع البياض ، وعبر الشعراء أيضاً عن جمال الحيات ، وهذا أمر مخالف للتوقعات ، ولكنه يدل على حس جمالي، وشفافية ، وذوق رفيع عند الأندلسيين ، فعقدوا موازنة بينها وبين الأساور ، والخلاخل ، وهم سباقون إلى هذا اللون من الذوق المترف على عصرنا .

وأما ما يتعلق بالغزل الشاذ ، فقد عبر بعض الشعراء عنه في شعرهم تعبيراً صارخاً ، فاضحاً ، ويوضح أحمد بن كليب أن علاقته بأسلم هي حب من طرف واحد ، ويرتضي وصل أسلم الذي ليس بحاجه معه إلى رحمة الخالق ، ومن قوله :

أسلمُ يا راحة العليلِ ... رفقاً على الهائمِ النَّحيلِ
وصلك أشهى إلى فؤادي ... من رحمة الخالق الجليلِ [1]

ومن الأمثلة أيضاً على الاختلال النفسي – الديني الرمادي الذي كانت تربطه علاقة شاذة بغلام مسيحي ، لم يتحرج من تقبيله أمام القسيس ، وكان يتذكره عند قرع الناقوس ، يقول :

قَبَّلْتُهُ قُدّام قسّيسِهِ ... شَرِبْتُ كاساتِ بِتَقْديسِهِ
يقْرَعُ قلبي عندَ ذِكْري لَهُ ... من فَرْطِ شوقي قَرْعُ ناقوسِهِ [2]

ويتغزل عبادة بن ماء السماء بميمون بن الغانية ، فوصفه بولد الغزال ذي العينين الساحرتين ، وقد أنكر إيقاع عقوبة القصاص عليه بالقتل نتيجة ما فعل بهم ، فقال :

قَمَرَ المدينةِ كيفَ منكَ خَلاصُ ... أو أينَ عنكَ إلى سواكَ مناصُ ؟
والشّادِنُ الأحوى الذي في طَرْفِهِ ... سحرٌ يُصادُ بِسَهْمِهِ القنّاصُ
أمِنْ جُفونَكَ عن مغيَّبةٍ ما جَنَتْ ... فينا فليس على المِلاحِ قصاصُ [3]

(١) ابن حزم، رسائله، ١ / ٣١٨ . الحميدي، جذوة المقتبس، ٢٠٥ ، ٢٠٦ . الضبي، بغية الملتمس ، ٢٢٦ .

(٢) ابن خاقان ، مطمح الأنفس، ٣٢١ .

(٣) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق١ ج١ / ٤٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مما تقدم يظهر أن الغزل الشاذ قضية خطيرة تهدد المجتمعات بالانهيار والسقوط ، ويكمن الداء في ترويج بعض الشعراء لهذه الجريمة التي ترفضها الأديان ، ومعظم الفلسفات التي ظهرت في العالم ، لأن الشذوذ سبب في تهاوي المجتمعات وتدهورها، فهي ممارسة قبيحة حاطة بكرامة الإنسان.

وأما الغزل العفيف ، فقد اتجه بعض الشعراء إليه ، وبثوا مشاعرهم الحبيسة إزاء محبوباتهم التي تتصف باللوعة ، والحرقة، والحرمان ، ويتجلى عند علي بن فتح ، أبي الحسن مفارقة تكمن في اطمئنان المحبوبة للوشاة من ناحية ، وإعلانها الحرب ضده من ناحية أخرى ، ويشكو من صدودها لا لذنب اقترفه إلا حبه لها، ومنها قوله :

بِنَفْسي مَنْ نفسي لَدَيْهِ رَهِينَةٌ ... ومن هو سِلْم للوشاة ولي حَرْبُ

ومن قد أبى إلا الصدود لِشَقْوَتي ... رضيتُ بما يرضى فمسكّنُهُ القَلْبُ

ومالِيَ ذنبٌ عنده غير حُبّهُ ... فإن كان ذا ذنباً فلا غُفِرَ الذّنبُ (١)

وصدر عن الشاعر نفسه ما يلاقي من عذاب وضيق ، في حالتي القرب والبعد عن ديار المحبوبة ، ويفضل الشاعر أن يكون ذلك الحب خالداً ، لذا ، فإنه يدعو على نفسه بالموت قبل الفراق ، يقول :

يا مَنْ شَقيتُ على بُعد الدِّيارِ بِهِ ... كما شَقيتُ أو كان مُقْتَرِبا

ما أستَريح إلى حالٍ فأحْمَدُها ... بالبَيْن قلبي وقبل البين قد ذَهبا

إنْ كان لي أرَبٌ في العيش بعدَكُمُ ... فلا قضيتُ من حُبِّكمُ أرَبا (٢)

ويذيع عبد الرحمن بن أبي الفهد ما يعاني من ويلات الحب التي تظهر على شكل زفرات ، ودموع ، وصراخ ، وهوى يسكن اللحم والعظم ، وسهر طويل ، فقال :

أباحَ فُؤادي لوعةٌ وغليلُ ... فباح بِسِرّي زفرةٌ وعويلُ

وبين ما أُخفيه دمعٌ يُحيلُهُ ... هوىً بين أحْناءِ الضُّلوع يَجولُ

وليلُ همومي أطْلَعَتْ فيه هِمّتي ... كواكِبَ عَزمٍ ما لَهنَّ أفولُ

تلاحظُها الأيامُ وهي حَسيرَةٌ ... ويرنو إليها الدهر وهو كليلُ (٣)

---

(١) الحميدي ، جذوة المقتبس، ٢ /٤٩٩ . الضبي ، بغية الملتمس ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ .

(٢) الحميدي، جذوة المقتبس، ١ / ١٧٠ . الضبي، بغية الملتمس ، ١٨٧ .

(٣) الحميدي ، جذوة المقتبس، ٢ / ٤٤٠ . الضبي، بغية الملتمس ، ٣٦٩، ٣٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمضي محمد بن شخيص في طرق معاني الغزل العذري ، من قلة نوم ، وتجمل بالصبر ، وحفظ لأسرار المحبوبة وعهودها ، وتكتم في حبها ، واحتمال لدلالها ، فقال :

وَمُعْتَلَّةِ الأجفانِ ما زِلْتُ مُشْفِقاً ... عليها ولكنّي أَلَذُّ اعتلالَها
جُفونٌ أجالَ الْحُسْنُ فيهنَّ فَتْرَةً ... فَجَلَّ عُرى الآجالِ مُنذُ أجالَها
فَهَلْ من شَفيعٍ عند ليلى إلى الكرى ... لعلّي إذا ما نِمْتُ ألْقى خيالَها
يقولون لي صَبْراً على مَطْلِ وَعْدِها ... وما وَعَدَتْ ليلى فأشكو مطالَها
وما كان ذَنْبي غَيْرَ حِفْظِ عُهودِها ... وَطَيُّ هَواها واحتمالي دَلالَها (١)

وبين عبد الله بن عبد العزيز بن محمد ما قاساه من المحبوبة التي تتمنع عليه رغم حبه الشديد لها ، ووضح أنها تسكن قلبه ، وشكا السهر ، لأنه دائم التذكر لها ، وحبها في ازدياد ونماء ، وأسرارها محفوظة طي الكتمان ، يقول :

يا ظالماً ظنَّ قتلي في الْهَوى حَسَنا ... كن كيف شئتَ فظني فيك قد حَسُنا
طويتُ حُبَّكَ حتى ظَلَّ ينشُرُهُ ... دمعٌ جرى فَفَدا سِرّي به عَلَنا
أفديك من ساكنٍ في القلب مَسْكَنُهُ ... وغائبٍ لم تزل نفسي له وَطَنا
يا قُرةَ الْعَيْنِ قد عذبتها سهراً ... وَمُنْيَةَ النفس ، قد قَطَّعْتَها شَجَنا
ما بالُ قلبِكَ يشكو فَرْط قَسْوَتِهِ ... قلبٌ يقاسي عليك البثَّ والحَزَنا
أما هَواك فإني لستُ سالِيَهُ ... وَمَنْ يَمُتْ كمداً فيه فذاك انا (٢)

مما تقدم يبدو أن الغزل العذري يقطر فجيعة وعذاباً ومعاناة ، ومن مظاهر هذا العذاب التمزق النفسي ، والضمور الجسدي ، والغزل العذري فن جدير بالاحترام والتقدير والإجلال ، لما يتسم به من حرارة العاطفة ، وصدق المشاعر ، وكذلك ، فإن ظاهرة الغزل العذري أو السير على نهج العذريين في المجتمع ظاهرة يجب أن يتفهمها الناس ، ويدركوا فلسفتها الإسلامية ، وأبعادها الأخلاقية ، وليس من شك في أن الشعراء العذريين تأثروا بالغزل ذاته في المشرق ، فقد وجدت إشارتين إلى عذرة في بيتين

(١) الحميدي، جذوة المقتبس ، ١ / ١٥٠ . الضبي، بغية الملتمس، ١٢٩ ، ١٣٠ .
(٢) ابن الأبار ، الحلة السيراء، ١ / ٢١٧ ، ٢١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شعريين ، هما ، قال يحيى بن هذيل :

ولو أن عُذرة شاهدت من موقفي شيئاً لحذّرها بأن لا تعشقا [١]

وقال الشاعر نفسه :

فكأن عذرة بينها تحكي لنا صفة الخُضوع وحالة المَعمودِ [٢]

إضافة إلى ذلك ، فإن ما أوردته كله بصدد التعليق على هذا اللون من الغزل ، هو من صميم الغزل العذري بشكل عام في المشرق ، وتأثر به .

٣ - الزهد وصوره

وأما الزهد ، فإنه يختلف عن فنون الأدب الأخرى بأنه يتجه إلى الذات الإلهية مباشرة ، ويرغب عن استرضاء شخص ما ، ولا يولي الناحية الفنية اهتماماً كبيراً ، فهو أقرب ما يكون إلى لغة النثر ، وقد ظهر الزهد مع بداية الدعوة الإسلامية ، وأول من تبناه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وزهده عليه السلام معروف من هذا الجانب ، وورد الزهد أيضاً في الأدب العربي على ألسنة الشعراء ابتداء من ظهور الدعوة الإسلامية حتى وصل إلى الأندلسيين ، ويمكن لنا رد أسباب الزهد إلى العقيدة الإسلامية من جهة، وإلى البيئة الأندلسية نفسها من جهة ثانية ، فقد كان الأندلسيون يعيشون حياة مترفة ، ولأن الإفراط في إشباع الرغبات تتقزز منه بعض النفوس ، فإن عدداً من الشعراء رغبوا عن إشباع حاجاتهم إشباعاً كاملاً ، والتزموا المظاهر السلوكية الدينية ، والزهد لا يقف عند الاهتمام البسيط بالدنيا ، وإنما يتعداه إلى الاتجاه الكلي نحو الآخرة ، والدليل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : « نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير ، فقام وقد أثر في جنبه ، قلنا : يا رسول الله ، لو اتخذنا لك وطاء ، فقال : مالي وللدنيا ؟ ، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم راح وتركها» [٣] .

ويمكن تقسيم الزهد في تلك الفترة إلى عدد من الصور ، لعل أهمها : صورة الحديث عن الموت ، وصورة الله ، وصورة الصبر ، وقد تناول الشعراء الزهاد صورة الموت في شعرهم ، وأنه نهاية الأحياء كلهم ، لذلك بات من الضروري أن يعمل الإنسان لما بعد الحياة ، ويحصر علي أبي الحسين قصر الحياة

(١) الحميدي ، جذوة المقتبس، ٢ / ٦٠٩ . الضبي، بغية الملتمس، ٥١٠ .

(٢) ابن الكتاني ، التشبيهات، ٤٨ .

(٣) الترمذي ، أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، الجامع الصحيح، وهو سنن الترمذي، تحقيق، وتعليق، إبراهيم عطوه عوض، الجزء الرابع، بيروت، دار إحياء التراث العربي، رقم ٢٣٧٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالسحاب الذي إذا أفرغ ماؤه أقلع ، وبالعارية التي تسترد في نهاية المطاف ، ويلاحظ هنا أن الشاعر قد شبأ الموت ، فقال :

وما الناسُ إلا سَحابٌ أظَلَّ ... فلما انْهَمى ماؤُهُ أقْلَعا

وما أنْفُسُ الناسِ إلا عَوارٍ ... وَقَصْرُ العواري بأن تُرْجَعا (١)

وفسّر سعيد بن محمد العاصي ماهية الموت ، بأنه يقبض أرواح الناس على اختلاف أوضاعهم ، وأحوالهم ، وقد بين أن الموت لا يُعاين ، لأنه غير محسوس ، يقول :

ويا مَوْتُ لا باكٍ تحاشيه رأفَةً ... ولا خائف عن احتلالك جازعُ

تَدُبُّ بلا رِجْلٍ وتسطو بلا يَدٍ ... وليس بناجٍ منك دانٍ وشاسعُ (٢)

ويعرض محمد بن عبد الله بن أبي زمنين لصورة الموت عن طريق الوعظ والإرشاد ، فيبدأ عرض شيوع ظاهرة الموت ، وينتهي إلى سكن الموتى الأطباق ، ومنها قوله :

الموتُ في كل حين ينشُرُ الكَفَنا ... ونحن في غفلةٍ عما يرادُ بنا

لا تطمئِنَّ إلى الدنيا وَزُخْرُفِها ... وإن توشَّحَتْ من أثوابها الْحَسَنا

أين الأحبَّةُ والجيرانُ ما فعلوا ... أين هُمُ الذين كانوا لنا سكَنا

سقاهُمُ الدَّهرُ كأساً غير صافيةٍ ... فَصَيَّرَتْهُم لِأطباقِ الثرى رُهُنا (٣)

وتختلف أسباب الانقطاع إلى الله عند شعراء تلك الفترة ، ولكن هذا التوجه غالباً ما يكون مبرراً، وقد أبدى يونس بن عبد الله رغبته في طلب رضوان الله سبحانه وتعالى ، بسلوك طريق العبادة ، والذكر ، حتى يكون القبر متسعاً ، مريحاً ، مؤنساً ، يقول :

فَرَرْتُ إليك من ظُلمي لِنَفْسي ... وأوْحشني العبادُ فأنت أنسي

رضاك هو المُنى وبه افتخاري ... وذكرك في الدُّجى قمري وشمسي

قَصَدْتُ إليك مُنْقَطِعاً غريباً ... لِيُؤنِسَ وَحْدَتي في قَعْرِ رَمْسي

وللعظمى من الحاجات عندي ... قصدتُ وأنت تعلم سِرَّ نَفْسي (٤)

---

(١) ابن الكتاني، التشبيهات ، ٢٥٩ .

(٢) نفسه ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

(٣) الحميدي ، جذوة المقتبس، ١ / ٨٨ . ابن بشكوال ، الصلة، ٢ / ٤٨٤ . الضبي، بغية الملتمس ، ١٠١ .

(٤) الحميدي ، جذوة المقتبس، ٢ / ٦١٣ . ابن خاقان، مطمح الأنفس، ٢٨٩. الضبي، بغية الملتمس ٥١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويحس عبد الله بن يوسف بثقل ذنوبه، وهو طامع في مَغفرة الله سبحان وتعالى، ويتمنى أن تكون صحيفته مشرقة، فقال:

أسيرُ الخطايا عند بابك واقفُ ... على وَجَلٍ مِمّا بـه أنت عارفُ
يخافُ ذنوباً لم يَغِبْ عَنْكَ غيبها ... ويرجوكَ فيها فَهْوَ راجٍ وخائِفُ
ومَنْ ذا الذي يَرْجو سِواكَ ويتّقي ... وما لك في فصل القضاء مخالِفُ
فيا سَيِّدي لا تُخْزني في صحيفتي ... إذا نُشِرَتْ يوم الحساب الصحائِفُ [1]

وأعلن يعلى بن أحمد تركه الفواحش، والالتجاء إلى الله ندماً، وعبادة، وتقوى، ولكنه لجأ إلى الزهد بعد استنفاد الشباب في المعاصي والموبقات، وبعد إصابته بعلة العمى، ومنها قوله:

وإني هجرتُ الغانيات جميعاً ... ونزعت عن كلفي بهنَّ نُزوعا
وَرَفَضْتُ لَذّاتي فصرتُ لناصح ... بعد الإباية سامعاً ومطيعا
ونهى النُّهى قلبي فأقصر وارعوى ... واعتاض بعد الكبرياء خشوعا
ورأيت رشدي واضحاً بعد العَمى ... فنكصتُ عن غيِّ الضَّلالِ رُجوعا
يا حسرةً ساعاتها ما تنقضي ... كيف النجاةُ وقد أسأتُ صنيعا [2]

وينظر الشعراء الزهاد إلى الصبر بأنه فضيلة يجازى الصابرون عليها يوم الحساب من منظور العقيدة الدينية، وقد ربط محمد بن مسعود بين الصبر، والالتجاء إلى الذات الإلهية التي توفي الصابرين أجورهم، وبين عاقبة فقدان الصبر بأنه يترتب عليه خسران مبين في الدنيا والآخرة، يقول:

على قَدْرِ فَضْلِ الْمَرْءِ تأتي خُطوبُه ... ويُعْرَفُ عند الصَّبْرِ فيما ينوبُهُ
وعاقبةُ الصَبر الجميل من الفتى ... إلى فرج من ذي الجَلالِ يُثيبُهُ
إذا الْمَرْءُ لم يَسْحَبْ إلى الهول ذَيْلَهُ ... ولم تُعْرَكْ بالحادثاتِ جُفونُه
فَقَدْ خَسَّ في الدنيا من المال حَظُّه ... وَقَلَّ من الأخرى لعمري نصيبُهُ [3]

وينهى عبادة بن ماء السماء من خلال التجربة المريرة عن الشكوى إلى الناس، لأن العاقبة وخيمة،

---

(١) ابن بشكوال، الصلة، ١ / ٢٥٢، ٢٥٣.
(٢) ابن الأبار، الحلة السيراء، ١ / ٢٨٤، ٢٨٥.
(٣) الحميدي، جذوة المقتبس، ١ / ١٣١. الضبي، بغية الملتمس، ١٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبين فضل الصبر عند الملمات، والتوجه بالشكوى إلى الله فقط، فقال:

لا تَشْكُوَنَّ إذا عثرْ ... تَ إلى خليط سوء حالِكْ
فيريكَ ألواناً من الـ ... ـإذلال لم تَخطُر ببالِكْ
إياك أن تدري بما ... نُكَ ما يَدور على شِمالِكْ
واصبِرْ على نُوَبِ الزّما ... نِ وإن رَمَتْ بك في المَهالِكْ
وإلى الذي أغْنى وأقْـ ... ـنى اضْرَعْ وسَلْهُ صلاحَ حالِكْ (١)

وبين عيسى بن محمد، أبو الأصبغ قيمة الصبر على العمى، وما يعقبه من دخول الجنة جزاء الصبر، ومنها قوله:

إني وإن كنتُ أعمى فالعمى سببٌ ... لِجنّةِ الخلدِ أو جنّاتِ فِرْدَوْسِ
وقد تَيَقّنتُ أني قاطن بهما ... مُنَعّماً آمناً من عَرْضَةِ البوسِ (٢)

مما سبق يتبين لنا أن حقيقة الزهد تقوم على أساس الثورة على الفكر المادي، والاتجاه نحو الأمور الروحية من خلال تعزيز الفكر المثالي الذي يتجلى بالاستدلال بظاهرة الموت، والتركيزعلى وجود الله، والصبر، لأن الدنيا دار ابتلاء، وامتحان، وكما لاحظنا، فإن الفكر المثالي يستحضر الذات الإلهية أبداً، ويعرض الأشياء والمظاهر السلوكية على محك الحلال والحرام، ويعيش الزاهد أبداً بين نزعتين قويتين هما: التهوين من شأن الدنيا بما فيها من حياة وأحياء، ورفع شأن الآخرة حيث الجزاء العادل.

٣ - الرثـــاء

وأما الرثاء، فلم يكن الشعراء بمعزل عن مجريات ما يحدث في مجتمعهم من حالات وفاة، ابتداء من قمة هرم السلطة ممن يتعلقون بالمنصور، وانتهاء بأناس عاديين، وأظهر الشعراء التفجع على الموتى في الأحوال كلها، لأن الموت تخطّفهم، دون إذن أو فرصة وداع، ويرثي القسطلي طفل المظفر الذي توفي في حياة المنصور، ويلقي الضوء على ماضي العامريين العريق، الطيب، وعلى حاضرهم، حيث ترتفع راية الدين بفضل قوتهم، وشدة بأسهم، ويتفجع بعد هذا التقديم على وفاة الطفل الذي يشبهه بانقصاف الغصن، ولكن مصيره الجنة، فقال:

---

(١) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق١ ج١ / ٤٧١ .
(٢) ابن بشكوال، الصلة، ٢ / ٤٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يـا ابـن الـذينَ لأيـديهمْ وأمْرِهِمْ ... ألْقـى الزمـانُ قـيادَ الذُّلِّ مُعترِفا
ببأسِهِمْ قـام ديـن اللـه مُنتَصِراً ... مـن الْحَوادِثِ والأعـداءِ مُنْتَصِفا
أعـزِزْ علـى الـدين والـدُّنيا وأهْلِهِما ... خَطْبٌ سَمـا فارتقى من عزِّكُمْ شَرَفا
غُصْنٌ من الْمَجْدِ عاذَ المسلمون بـهِ ... هَبَّتْ عليـه ريـاحُ النَّصْرِ فانقَصَفا
لِلّـه مـن قَمَـرٍ أسْـرى العُفاةُ بـهِ ... حتـى إذا ما اسـتوى فـي أفْقِهِ كُسِفا
سَـما إلـى جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ مُعْتَلِياً ... إذْ لـم يـزلْ مُنْـتهاماً بـالعُلا [1]

وقدم الشاعر نفسه رثاءً لصبح البشكنسية حين توفيت، متفجعاً عليها لأصالتها، وعلوها، وبذلها العطاء دون حساب في وجوه الخير، ويدعو لها في نهاية المطاف أن تلقى في القبر نسيماً وراحة، ومنها قوله:

ولـو قَبِـلَ المـوتُ مـنا الفداءَ ... لضاق الأنـامُ لهـا عـن فـداءِ
لَئِـن حُجِبَـت تحـت رَدْم اللُّحودِ ... ومـن قـبلُ فـي شُـرفاتِ العَـلاءِ
فتلـك مآثِرُهـا فـي التُّقـى ... وبَـذْلِ اللُّهـا مـا لهـا مـن خَفاءِ
جـزاك بأعمـالِكِ الزاكـياتِ ... خيـرُ المجـازي خـيرَ الجـزاءِ
ولُقّيـتِ فـي ضَنْكِ ذاك الضَّريحِ ... نـسيمَ النعيمِ وطيـبَ الثَّواءِ [2]

وينظم عبد الله بن أبي الحسين أبياتاً تدل على عمق حزنه لفراقه صديقه فراق الموت، فيبكيه بدموع غزيرات، مما يدل على الوفاء، ومصداقية العلاقة بينه وبين المتوفى ، فقال:

رَجَعْتُ على رَغْمِ الوَفاءِ إلى الصَّبْرِ ... كما صَبَرَ الظَّمْآنُ في البلد الْقَفْرِ
وقُلْتُ لعيني، ما نعيت وإن جَرَتْ ... عليك كما يَنْهَلُّ مُنْسكِبَ الْقَطْرِ
وكيف أوَفّي قَدْرَ ثُكلي بَعْدَ مَنْ ... دَفَنْتُ به الآمالُ أجمَعُ في قَبْرِ
على حين لم أُبْصِرْ به ما رَجَوْتُهُ ... ولم أرَ من ذاك الهِلالِ سَنَا البَدْرِ
فواهاً لِعُمْرٍ منك لَذَّ قَصيرُهُ ... فكان خفيفاً مثلَ إغفاءَةِ الْفَجْرِ [3]

(١) القسطلي، ديوانه، ٤٥١ ، ٤٥٢ .
(٢) ابن الكتاني، التشبيهات، ٢٦٠ . القسطلي، ديوانه، ١٢١. الثعالبي، يتيمة الدهر، ٢ / ١١٠ .
(٣) علي بن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، ١ / ٢٠٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأبدى يعلى بن أحمد بن يعلى تقديره العميق، ووفاءه العظيم لعالم وافته المنية، فذرف الدموع الغزيرة عليه، ومنها قوله:

أماتَ العلمَ موتُ أبي عليٍّ ... منارِ العلمِ والفضل الرضيِّ
سأبكي بعدَهُ سِرّاً وَجَهْراً ... كما يبكي الوليُّ على الوليِّ
ولو لم أبكه حُزناً وَوَجْداً ... إذاً ما كنتُ بالرجل الوفيِّ
إذا قلبٌ خَلا من حُبِّ مَيْتٍ ... فقلبي ليس عنه بالخليِّ [1]

مما تقدم يتجلى أن ظاهرة الموت يستوي الناس كلهم فيها، فيتساوى الملك والبائع الجوّال، والعبقري والغبي، والرجل والمرأة، والثري والمعدم، ويختلف الشعراء في توجهاتهم إزاء الرثاء، فمنهم من يداري ويداهن إذا كان المتوفى من مستوى اجتماعي عال، ومنهم من يتقد، ويستشيط غضباً وثورة بغض النظر عن مستوى المتوفى الاجتماعي أو الاقتصادي أو العلمي، ويمكن قياس حدة العاطفة أو زيفها من خلال انفعال الشاعر بالحدث، ونتاجه الشعري، ويلاحظ على سبيل المثال أن القسطلي حين رثى صبح لم يتطرق إلى أسباب تمردها على المنصور، والنتائج التي أفضى إليها الخلاف، فكأن الشاعر على علم راسخ بنفسية المنصور، فيعرف ما يرضيه، وما يغضبه، فواكب خط السياسة في تلك الأيام، بأن أظهر صبح أنها تؤمن بالعطاء فقط، ويلاحظ أيضاً أن أسلوب الشعراء يتفاوت بين الصعوبة والسهولة، فإذا كان المتوفى من علية القوم، صاغ الشعراء قصائدهم بلغة جزلة، وسبك رصين، دليل التكلف، والتصنع، أما إذا كان المتوفى من سواد الشعب، فإن لغة الشعر تكون سهلة، بسيطة، مفهومة، دليل العفوية والصدق.

٤- الحنين إلى الوطن

وأما الحنين إلى الوطن، فقد كان الشعراء في تلك الفترة يسافرون سفراً بعيداً، لسهولة الحركة في ذلك العصر، ويخلفون وراءهم ذويهم ومعارفهم، وقد كان الحنين إلى الوطن يضطرم بين جوانحهم، فعبروا عن عاطفتهم المشبوبة بأعمال فنية شعرية، بثوا لواعجهم الحزينة فيها، ويعرض محمد بن الحسن المذحجي ألمه وحزنه لفراقه أهله وصحبه، دون صبر أو جلد في أبيات شعرية، يقول منها:

نأيتُ عنكم بلا صَبْرٍ ولا جَلَدِ ... وصحت واكبدي حتى مضت كبدي
أضحى الفراقُ رفيقاً لي يواصلني ... بالبُعْدِ والشُّجْوِ والأحزانِ والكَمَدِ
وبالوُجوه التي تبدو فأنشُدُهَا ... وقد وضعتُ عليّ قلبي يدي بيدي [2]

---

(١) ابن الأبار، الحلة السيراء، ١ / ٢٨٤ .

(٢) الحميدي، جذوة المقتبس، ١ / ٦٨ . الضبي، بغية الملتمس، ٩٠ . علي بن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، ١ / ٢١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويفيض حسان بن مالك في حزنه العميق لفراق الأهل والأقارب، وتذكره المؤلم أبداً لهم، لأن الشقة بينه وبين ذويه بعيدة، ويعزز الحزن الممض عنده رؤيته حماماً يبكي، وهو النازح عن الأحبة، فقال:

تَذَكَّرْتُهُمْ والنَّأيُ قد حال دُونهم ... ولم أنسَ لكن أوقد القلب لافحُ

ومِمّا شجاني هاتفٌ فوق أيْكَة ... ينوحُ ولم أعلم بما هو نائحُ

فقُلتُ ابْتِدْ يكفيكَ أني نازحٌ ... وأن الذي أهواه عني نازحُ (١)

وأحس عبد الله بن محمد بن يوسف الغرضي بالتبرم والضيق لفراق الأهل، لأن حياته انقلبت بعدهم إلى جحيم، ولكن الأمل يتجدد عنده بلقائهم، لأنه كان في طريق العودة إليهم، ومنها قوله:

مَضَتْ لي شُهورٌ منذُ غبتم ثلاثَةٌ ... وما خلتني أبقى إذا غبتم شَهْرا

ومالي حياةٌ بَعْدَكُمْ أسْتَلِذُّها ... ولو كان هذا لم أكن بعدها حُرّا

أعَلِّلُ نفسي بالْمُنى في لقائكم ... وأستسهل البرَّ الذي جُبْتُ والبَحْرا

ويُؤنسني طيُّ المراحلِ دونكمْ ... أروحُ على أرض وأغدو على أخرى (٢)

مما سبق يظهر أن المجتمع الأندلسي لم يكن مغلقاً، بدليل أن الإنسان لم يكن يقيد نفسه في مدينة صغيرة، فضلاً عن الأندلس، بل راح يجوب الآفاق ـ خاصة المشرق ـ لتوافر الوسائل المادية والعينية بحثاً عن العلم، أو التجارة، أو المعرفة، وبما أن حب الوطن غريزة، فإن شعراء المنصور ذوي الإحساس المرهف عبروا عن آلام الغربة، والحنين إلى الوطن، بعاطفة تتسم بالحدة والعمق.

هـ ـ الشعر ومظاهر الحياة الاجتماعية والحضارية.

عاش الأندلسيون حياة المدنية كما نفهمها نحن الآن، إذ توافرت لديهم بيئة يسهل إقامة حياة المدينة فيها، وتوافر العلم، والفن، والمال، فظهرت صورالحضارة بمعنى متقدم إلا التطورات التكنولوجية التي ظهرت حديثاً، وفي ظل تلك الأجواء تناول الشعراء بالوصف والتحليل ما هو موجود في حياتهم اليومية من مأكل ومشرب وملبس، وما يحتمل أن يبقى أثراً دالاً عليهم كالقصور، والأدوات الصناعية، ومظاهر الثقافة.

---

(١) الحميدي، جذوة المقتبس، ١ / ٢٧١ . الضبي، بغية الملتمس، ٣٠٤ .

(٢) الحميدي، جذوة المقتبس، ١ / ٣٣٦ . ابن خاقان، مطمح الأنفس، ٢٨٦. ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق١ ج٢ / ٦١٦ . ابن بشكوال ، الصلة، ١ / ٢٥٥ . الضبي ، بغية الملتمس ، ٣٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ا ـ الخمـــر

واستحوذ فن الخمر على الاهتمام الأكبر لدى شعراء تلك الفترة، مما أفضى إلى قيام غرض شعري يتناول هذا اللون من الأشربة، وتناول الشعراء موضوع الخمر من النواحي كلها، فحثوا على شربها، وبينوا أثرها في شاربيها، وذكروا الساقي، والكؤوس، والأقداح، ووصفوا الخمر ذاتها، واقتنع بعض الشعراء بالخمر لما لها من مزايا وصفات ممتازة في حياة الإنسان حسب وجهة نظرهم، وقدموا الحجة تلو الحجة لتأييد ما ذهبوا إليه، ويغري عبادة بن ماء السماء الناس بشربها، لأنها تتفق مع مرحلة الشباب، وهي الفترة التي يعب الإنسان فيها من الملذات، والمتع، فقال:

اشْـرَبْ فَعَهْـدُ الشَّـبابِ مُغْتَنَمُ ... وَفُرْصَةٌ فـي فَواتِها نَدَمُ
وعاطنيهـا بكفٍّ ذي غَيَـدٍ ... ألحاظُهُ في النفـوس تحتـكِمُ
كـأنها صارِمُ الأمـير وقـد ... خَضَّـبَ حَدَّيْهِ مـن عـداهُ دمُ (١)

وحث الرمادي نديمه المختلف ديناً معه، على حضور مجالس الشراب والقصف، لأنها موحدة لا مفرقة، وسيتضح لنا من النص التالي أن الخمر تشكل رؤيا شمولية لدى الشاعر، ومنها قوله:

اشْرَبْ الكـأسَ يـا نصـيرُ وهـاتِ ... إنَّ هـذا النـهارَ مـن حَسَناتي
بأبـي غُرَّةٌ تـرى الشَّخْـصَ فيـها ... فـي صَفاءٍ أصْفـى مـن الْمِرآةِ
يَنْـزَحُ النـاسُ نَحْوَهـا بازْدِحامٍ ... كـازدحام الحجيـج فـي عـرفاتِ
هاتِها يـا نصـيرُ إنـا اجتمـعنا ... بقلـوبٍ فـي الـدِّين مختلفاتِ
إنّمـا نحـن فـي مجالـس لَهْوٍ ... نَشْرَبُ الـرّاحَ ثُمَّ أنـت مُـواتـي
فـإذا مـا انقضـت دِنانَةُ اللهـ ... ـو اعتمـدنا مـواضعَ الصَّلـواتِ
لـو مضى الـدَّهْرُ دون راحٍ وقَصْفٍ ... لَعَـدَدْنا هـذا مـن السيـئاتِ (٢)

ويستخدم الرمادي أسلوباً جاهلياً إذ جرد شخصاً من ذاته، يخاطبه بفضل معاقرة الخمر دون كسرها وقت قرع الناقوس حين يكون وحيداً، ومنها قوله:

---

(١) ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق١ ج١ / ٤٧٢ .
(٢) ابن خاقان، مطمح الأنفس ، ٣١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ألا اشْـرَبْها علـى النـاقوس صرفاً ... فـذاك مُؤذِنُ الـدين القـديمِ
وَصِرْتُ إلـى الخـَلاء فأدركتنـي ... بـه الأكـواس فـي عـدد النجـومِ
كـأنَّ الكـوسَ إذ حُثَّتْ بإثـري ... كَواكِبُ إثـر شيـطان رجيـمِ (١)

ويرى الشعراء الذين قالوا في الخمر بأنها تحدث نقلة نوعية من عالم الواقع التعس إلى عالم آخر مختلف، رائع، وينقل محمد بن خطاب النحوي شعور شارب الخمر بالتفوق على غيره، حتى إنه يزاوله شعور بأنه ملك، لا سيما أنها تدور بأكف كأنها النجوم، فقال:

كَـأسٌ تُجلـّي الهُمـومَ سَوْرَتُها ... شـاربُها فـي الندِيِّ كـالملكْ
كـأنها والأكـف تحملـها ... نجـومُ ليـلٍ تَـدورُ فـي الفَلَكْ (٢)

وحبب عبادة بن ماء السماء الخمر إلى شاربيها، وبين أنها خير وسيلة للتنفيس عما يعتلج في صدر شاربها من هموم من خلال المثل الجاهلي: «لا عطر بعد عروس»، يقول:

اجْـلُ الْمُدامَةَ فهـي خيـر عـروس ... تجلـو كـروب النفـسِ بالتنفيـسِ
واسْـتَغْنِمِ اللـذاتِ فـي عَهْدِ الصِّبا ... وأوانـهِ لا عـطرَ بـعد عـروسِ (٣)

ولفت انتباه الشعراء الساقي الذي يقدم الخمر، فتمعنوا فيه، ووصفوه وصفاً دقيقاً، وانفرد عبد العزيز بن الخطيب، أبو الأصبغ بذكر كف الساقي التي لم تؤثر الخمر المعتقة فيها أثناء شجها الدنان، يقول :

ليـالِيَ تبـدو الـراحُ في أُفُقِ راحنا ... نجـوماً كسـوناها غلائِلَها زُرْقا
إذا شَـجَّها الســاقي رأيـت بكفِّهِ ... ضرامَ شـهابٍ ليس يشـكو له حرقا (٤)

ويذكر حسين بن علي استمتاعه بالساقي، كفاً، وعينين، وخداً، وريقاً، فقال:

وَكَـمْ لَيْلَةٍ دارَتْ عليَّ كُؤوسُـها ... بِكَفٍّ غـزالٍ مـا يُذَمُّ على العَهْدِ
سـقاني بِعَيْنَيْهِ وثنـى بكَفِّه ... فسـكرٌ على سكر ووَجْدٌ على وَجْدِ
جعـلتُ مـكانَ النَّقْلِ تقبيـل خَدِّهِ ... ورشـفَ ثناياهُنَّ أحلى من الشَّهْدِ (٥)

---

(١) ابن الكتاني، التشبيهات ، ٩٣ .
(٢) نفسه ، ٩١ .
(٣) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق١ ج١ / ٤٧٢ .
(٤) ابن الكتاني ، التشبيهات ، ٩٧ .
(٥) نفسه ، ١٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتضح من النص السابق أن الشاعر لم يكتف بشرب الخمر، والنظر فيها، بل تعدى الأمر ذلك إلى المغامرة عن طريق التقبيل بشهوة، ورشف الريق.

وروى عبادة بن ماء السماء حكايته مع الساقي، بأنه طيب الريق، وصغير السن، وشعره أسود، فضلاً عن خضوعه، واستسلامه لتأثير جماله، ومنها قوله:

سَقَى اللهُ أيامي بقرطبةِ المُنى ... سروراً كريٌّ المنتشي من شرابِهِ

وكم مُزِجَتْ لي الراحُ بالريق من يَدَيْ ... أغَرَّ يريني الحُسْنَ ملءَ ثيابِهِ

أوانُ عذاري لم يَرُعْ بمشيبِهِ ... شبابي ولم يوحَشْ مطار غرابِهِ

تُعَلِّلُني فيه الأماني بوعدها ... وهيهات أن أرْوى بوَرْدِ شَرابِهِ [1]

يلاحظ من النص السابق أن الشاعر استخدم تعبير ملء ثيابه للدلالة على الجمال المطلق، وتعبير مطار غرابه للدلالة على لون الشعر الأسود الذي يشمل رأسه كله، ولم يقف الشاعر عند الوصف العضوي للساقي فقط، بل تعداه إلى الجمال الكلي له، فجمع الشاعر هنا بين الميزتين، وتفوق في بيان خضوعه لتأثير جمال الساقي الكامل.ووصف الشعراء الكؤوس والأقداح الخاصة بالخمر، فقد اعتنوا أشد العناية بهما، لأنهما تضفيان بهجة، وجمالاً، وقابلية لشرب الخمر في نفوس الشُّرّب، ويذكر الرمادي الكؤوس بأنها بدور في ليالٍ مظلمة، تتناقص الخمر المعتقة فيها، فتصبح كأنها نجوم تحملها الأكف، لشدة إضاءتها، وتوهجها، وتألقها، فقال:

لنا حنتم فيها المُدامُ كأنها ... بدورٌ لدى داجٍ من الليل أسْفَع

بدورٌ متى تَطْلُعْ كَواملَ مُحِّقَتْ ... بِزُهْرٍ دَراريٍّ على الرّاح طُلَّع [2]

ويعاين يحيى بن هذيل الخمر في المهاة التي هي كؤوس بلورية، بأنها تضفي على الخمر إشراقاً على إشراق، ويبين ضآلة الإبريق أمام المهاة، فكأنه يهم بالسجود خضوعاً واستسلاماً لها، كما يوضح أن المهاة تنفح الإبريق روحاً، لذا، فإنه يزمع على الرحيل، ومنها قوله:

عَقيقَةٌ في مَهاةٍ في يَدَيْ ساقي ... أضْوا من البدْرِ إشراقاً بإشْراقِ

إذا تطاطا له الإبريقُ تحسبُهُ ... مصلياً خَرَّ إعظاماً لِخَلاّقِ

قد نَفَحَتْ فيه روحاً فهو مرتحل ... من النّدامى إذا ما أمسك الساقي [3]

---

(١) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق١ ج١ / ٤٧٣ .

(٢) ابن الكتاني ، التشبيهات ، ٩٨ .

(٣) نفسه ، ٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولاحظ علي بن أبي الحسين الخمر وهي تتّقِد في المهاة، بأنها تبعث نوراً، وأشعة، وإضاءة، للدلالة على شفافية الخمر، كما وضح أثر تناول الكؤوس الكثيرة عليه، بأنه أصبح ثملاً، يقول:

فتناوَلْتُ نجوماً من مَهاً ... حَشْوُها الشَّمْسُ من نورها تَقِدْ
لم أزل أطلعها في راحتي ... وَهْيَ فيه غُرَّبٌ حتى سَجَدْ (١)

وينصرف الشعراء إلى تحليل كيمياء الخمر، فوضحوا طبيعتها، وكنهها، وتفاعلاتها، وتطرقوا أيضاً إلى الخمر على المستوى الفيزيائي كثافة وحجماً، ويعرض الجزيري لطبيعة الخمر الجيدة، بأنها حارقة وكثافتها قليلة، وتتميز بالصفاء الشديد، وقوة التأثير حتى إن شاربيها يفشون الأسرار، فقال:

انظر إلى الكاسين، كاسِ الْمَها ... والراح في راحةِ ساقيها
تنظر إلى نارٍ سَنا نورها ... يحملُها أو الماء يحويها
كأنها نارُ الهوى في الحَشا ... يُلْهبُها الدمعُ ويذكيها
صَديقةُ النفسِ ولكنّها ... تَصْرَعُها صرعَ أعاديها
إذا دنا الإبريقُ من كاسِها ... لِصبِّها، قلت: يُناجيها
يودِعُها الأسرارَ شُرّابُها ... وشأنُها الغَدْرُ فَتُفْشيها(٢)

وتناول طاهر بن محمد كثافة الخمر، وإضاءتها، ولونها، وكسرها بالماء، وقد وضح أن كثافة الخمر التي حصل عليها قليلة جداً حتى إن فيها قابلية التطاير لرقتها ولطفها، ومنها قوله:

إذا انجلتْ في إناءٍ خِلتَها عَرَضا ... في جَوْهَرٍ أو زُلالاً حابساً وَهَجا
رَقّتْ فكادَ هواءُ الجوّ يخطفُها ... لطفاً وضاءت فكادت تخطِفُ السُّرُجا
كأنما اقتبستْ نورَ العيونِ فلم ... يُبصِرْهُ أو يضرب الديجورَ مُنْبَلِجا
يَرْدَعُها الماءُ في الياقوت بارزةً ... فيبرُزُ التبرُ منها منظراً بهجا
كأنها خدُّ خَوْدٍ قاضَ مَدْمَعُها ... من رَوْعَةٍ فكسا بالصُّفْرَةِ الضُّرَجا (٣)

ويتضح من النص السابق أن الشاعر استخدم مصطلحات فلسفية، لتوضيح التغير الذي طرأ على

(١) ابن الكتاني، التشبيهات ، ٩٩ .
(٢) نفسه، ٩٢ .
(٣) نفسه ، ٩٤ ، ٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخمر، فورد مصطلحا الجوهر والعرض.

مما تقدم يظهر أن الشعراء فصلوا القول في فن الخمر، مما يدل على أنهم خبروها جيداً، ولكن تبقى المعاني والأساليب، والصور التي طرقوها في إطار ما ورد في الشعر المشرقي، بخاصة الفترة العباسية، ويمكنني القول: إن الشعر في هذا الموضوع يعد تطوراً بارزاً في الشعر العربي، فهو إلى التجديد في نهج القصيدة العربية والحداثة في الشعر أقرب منه إلى المحافظة، بل مروق عليها، والتأثر يبدو واضحاً في شعر أبي الهندي وأبي نواس، وقد ربط شعراء الخمر في المشرق والمغرب بين الخمر والساقي، ويدل هذا التوجه على ارتباط وثيق بين معاقرة الخمر والغزل الشاذ في تلك الفترة، ويلاحظ أن شعراءها في الأندلس تميزوا كما في المشرق بالشفافية في التعامل معها، مما يدل على تقديرهم لها من ناحية، وكأنهم كانوا يتعاملون مع كائن حي متفوق، يمتلك مزايا فريدة لا توجد في غيره، لذلك يحتاج التعامل معه إلى اللباقة وحسن التصرف، كما أنهم نظروا إلى معاقرة الخمر بأنها تشكل فلسفة وجودية أي تتعلق بوجود الإنسان وحياته، ومصيره من ناحية أخرى

٣- الطعام والشراب واللباس.

وأما الأطعمة الجيدة، والفاكهة الطيبة، فقد استرعيتا اهتمام بعض الشعراء، وربطوا بينهما والآنية التي توضعان بها، فوصفوهما أدق الوصف، مما يدل على مستوى حضاري مترف ومتميز، وقد اهتم الأندلسيون بالطعام الذي يقدم في رمضان ساعة الإفطار، فهذا يحيى بن هذيل يعطي وصفاً لمائدة تحوي: الشواء على الخوان، والهرائس في الجفان، والزيت ، والعسل ، والباذنجان المحشو بالجلجلان، فقال:

ومما يَقْطَعُ الحيزومَ عندي ... مروري بالشُّواءِ على الخِوانِ

وتندى بُرْدَتي خلفي إذا ما ... نظرتُ إلى الهرائس في الجِفانِ

كأن الزيت والعسلُ المُصَفّى ... عبيرٌ خالصٌ في دُهنِ بانِ

وباذنجانَ مثل كُراتِ ضَرْبٍ ... مُضَمّنُها لُبابُ الجُلْجُلانِ

وقد وقفَ الصّيام على فراغٍ ... ونفسي سوفَ تَفْرُغُ بالأماني [1]

يكشف النص السابق عن وجود مستوى رفيع من المعيشة، والشاهد على ذلك المائدة التي وصفها الشاعر، والتي اختير فيها الباذنجان الصغير لحشوه بالجلجلان مما يدل على ذوق متقدم هذا من ناحية، والشاعر يحس بالحرمان من ناحية أخرى، والحرمان هو أن ترى الشيء ولا تستطيع أن تمتلكه، ولا غرابة

(١) ابن الكتاني، التشبيهات ، ٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في ذلك بالنسبة إلى الشاعر، لأن أي إنسان في أي زمان أو مكان لا يستطيع أن يمتلك كل ما يرى إلا إذا كان دخله عاليا، ويحسب من أهل الثراء الفاحش، وظاهرة الحرمان موجودة في كل زمان ومكان، حتى في الدول التي يوجد لديها فائض كبير في الميزانيات.

وخرج محمد بن شخيص في رحلة ربيعية تناول الصحب فيها الطعام المؤلف من الزيتون، والحيتان، والخرفان التي نثر فوقها الثريد والحمص، فقال:

إنَّ حُسْنَ الرياض صاغَ لها ... الظَّلَّ بُرْداً من ناضِرِ الأقحوانِ

وكأن الثَّريد والحِمَّصَ المنثورُ ... تاجٌ مُكلَّلٌ بجمانِ

وتخالُ الزيتونَ في قصعِ الصينِ ... صُدوراً نُقِّطْنَ بالخيلانِ [1]

ويربط علي بن أبي الحسين بين التوت الأحمر والأسود، والأطباق التي تدل على التحضر، فقال:

أبدى لنا التّوتُ أصنافاً من الحَبَشِ ... جُعْدُ الشُّعورِ من الأطباق في فُرُشِ

كأن أحْمَرَها من بين أسْوَدِها ... بقية الشَّفَقِ البادي مع الغَبَشِ [2]

ويعلي يحيى بن هذيل من قيمة العنب الأحمر الطويل الثمرة، ورقيقها في السلال الجميلة، ومنها قوله:

وبسَلٍّ فيه من العِنَبِ الغَضِّ ... شبيهُ العُنّابِ في الاحمرارِ

رقَّ منه أديمُهُ فهو كالياقوتِ ... يستامُ بين أيدي التُّجارِ

وَغَذَتْهُ الأيامُ فهو أنابيبُ ... طِوالٌ على جِفانِ قصارِ [3]

وأما الألبسة، فقد نظر الشعراء فيها نظرة فاحصة، فميزوا رديئها من جيدها، ويفخر يحيى بن هذيل بملابسه الرصاصية الغامقة، والخفيفة جداً، فقال:

طيلساني طائرٌ من نَفَسي ... هو فَوقي غَبَشٌ في غَلَسِ

والذي ألَّفهُ ألَّفهُ ... من هواءٍ فارغٍ أو نفسي [4]

إن النص السابق يدل على أن الأندلسيين كانوا أصحاب ذوق في اختيار الملابس الخاصة بهم، فقد بلغ التحضر بهم، أن ينتقوا اللون الجميل،والأقمشة الخفيفة ذات الجودة العالية، والصناعة المتقنة التي تحتاج إلى فن ومهارة.

---

(١) ابن الكتاني ، التشبيهات ، ٨٧ ، ٨٨ .

(٢) نفسه، ٩٦ ، ٩٧ .

(٣) نفسه ، ٨٦ .

(٤) نفسه ، ٢٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان يقابل الملابس الجيدة الملابس الرديئة التي ازدراها الأندلسيون، وعابوها، ونظروا لها شزراً لعدم مواكبتها ذوق العصر، ولقدمها، فكأنها من عصور قديمة جداً ، فضلاً عن تمزقها، لذلك قال سعيد ابن العاصي :

وثَـوبُهُ في سـالفِ الزمـانِ خِلْعَةُ فـرعَوْن علـى هامـانِ

أفنـى الليـالي وهـو غـير فـانِ حتـى غَـدا كالإفْكِ فـي العَيـانِ

فهـو عليـه وهـو كـالعريـان [1]

يتبين من النص السابق وجود البؤس، ولكن كان الأندلسيون يتقززون منه، ولا يرتاحون له، مما يدل على أن الفقر الشديد هو خروج عن المألوف في ذلك الزمان.

٣- المنجزات الحضارية.

وأما المنجزات الحضارية، فقد أبدع الأندلسيون في البناء المنيف، والصناعة التي كان لها استخداماتها المختلفة، مما دفع الشعراء أن يصفوها، ويعبروا عن إعجابهم الشديد بها، وقد بنى الأثرياء الأندلسيون القصور الجميلة، وتفننوا في عمارتها ، وزخرفتها، وأدخلوا ما يزيدها جمالاً من مياه ورياض، ويمتدح القسطلي دار السرور التي تتميز بالارتفاع حتى إنها تطاول السماء، وتتميز بوفرة المياه، وطيب الهواء، وجودة البناء وفنيته، فقال:

دارُ السـرورِ المُعتـلى شُرُفاتُها فـوق النّجوم الزُّهـر في استعلائها

وكـأنَّ غُرَّ المُزْنِ لمـا أجادَهـا تَشَرَت عليـها مـن نفيـس مُلائـها

وكـأنّما أيـدي السُّـعود تَضَـمَّنَتْ إيـداعها فبنت علـى أهـوائهـا

وكـأن ريحـان الحـياة ورَوْحَهـا مُسْتَنْشَقٌ مـن نافحات هـوائِها [2]

ورأى محمد بن الحسين الطاري الطبني قصراً يتميز عند دخوله بكثرة الأهلة، وإذا نظر إليه من أقطاره لوحظ جماله الخارق، وذلك القصر يرتفع كثيراً حتى إنه يكاد يطال النجوم، ومنها قوله:

عُقِـدَت أهِـلَّةُ بَهْـوِهِ فكأنهـا عُقَدُ الشُّنوفِ علـى خُدودِ الخُرَّدِ

مـن تَحْتِهـا عُمَدٌ كـأن فريـدَها مـن جَـوْهَرٍ ولآلـيءٍ وَزَبَرْجَدِ

تحكـي الحسـانَ قـدودُها لكـنها فـي خَلْقِها ليسـت بذات تَأوُّدِ

وكـأنما قضبـانُهُ الـلاتـي سَـمَتْ تبغـي منـاجاة النُّجوم الـوُقَّدِ [3]

(١) ابن الكتاني ، التشبيهات ، ٢٥٢ .

(٢) نفسه ، ٧٠ .

(٣) نفسه ، ٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتتمتع بلاد الأندلس بوفرة المياه، لذلك، أقدم الأندلسيون على استغلالها باستخدام آلات صناعية تمت بسبب إلى التقدم العلمي في ذلك العصر، ويبين الرمادي وظيفة الناعورة في تلطيف الجو، وجلب المياه، فقال:

كيف لا يسردُ الهواءُ لنهرٍ ... بين غرّاقتين كالدّيمتين
ليستا فوقه من الرّش ... والطش على حالة بمنفكتين
وَصفا الماءُ منهما إذ هما ... للماءِ بالجري كالمغربلتين
حَسَنُ الوجه شفّهُ ألم ... الحرّ فقد صار بين مروحتين [1]

ويكرر يحيى بن هذيل وظيفة الناعورة في جلب الماء والهواء، فقال:

وأنت أبتدعت لناعورتين ... بدائعَ أعْيَتْ فما توصفُ
هما ضرّتان كمثل يَدَيْكَ ... إذا جادتا والحيا مُعْذِفُ
كأنهما طلعتا مزنتين ... تكدهما شمالُ حرجفُ [2]

وركز محمد بن الحسين الطاري الطبني على وظيفة الناعورة في رفع الماء الذي يكون سبباً في نمو شقائق النعمان، والأزهار عند مجاري المياه، يقول:

لحنينها حنّ الفؤادُ التائقُ ... وبكى الكئيب المستهامُ الوامقُ
أنّت أنينَ مُغَرَّبٍ عن إلْفِهِ ... وَدُموعُها مثلُ الجُمان سوابقُ
تبكي ويضحك تحت سَيْلِ دموعها ... زَهْرٌ تَبَسَّمَ نَوْرُهُ وَشَقائِقُ [3]

وكانت الأندلس في تلك الحقبة تواجه تحدياً وجودياً، مما أدى إلى ازدهار صناعة السفن الحربية، لذا، فإن الشعراء أولوها اهتماماً كبيراً، فقد عاين الرمادي السفن الحربية فوصفها لوناً، ومقاذيف، ورماية، يقول :

---

(١) ابن الكتاني ، التشبيهات ، ٨٢ .
(٢) نفسه، ٨٢ .
(٣) نفسه ، ٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والسُّفْن قد جَلَّلها قارُها كأنها أعراءُ حُبْشانِ
كأنها في دار مضمارها خيلٌ يُصَنَّعْنَ لميدانِ
ترى المقاذيف بأحنائها كأنها ترمي بميزانِ (١)

ويبين يحيى بن هذيل قيمة الأساطيل التي تسير بقوة الرياح، وتخوض المعارك، وتعود بسهم وافر من الغنيمة، فقال:

وتلك الأساطيلُ المسخرةُ التي تَمرُّ بتأييدٍ وتغزو فتغنمُ
إذا مَخَرَتْ في البحر ماجت كأنما تخاصم أبناءَ الضَّلال فَتَخْصِمُ
وَصُفَّتْ كأن البحرَ تَحتَ صدورها قد استأسَرَتْ أمواجُهُ فهو أبكَمُ
وقامَتْ سِتاراتٌ على جَنباتها طوالٌ كما امتدَّ السَّحابُ المُرَكَّمُ (٢)

واشتغل الأندلسيون بالثقافة وآلاتها، كالدواة والقلم والصحيفة، فوصفها الشعراء من باب تميز الثقافة، وفاعليتها، وعلو شأنها على المستوى الاجتماعي، ويبين يحيى بن هذيل قيمة الدواة، بأنها المصدر الذي تأخذ الأقلام مادة الكتابة منها، فقال:

وجائمةٍ بين أيدي الملوكِ ليست تقومُ ولا تقعُدُ
إذا عَطِشَتْ جاءَها وِرْدُها وليست على مَنْهَلٍ تَوِرَدُ
فإن أخَذَت رِيَّها أرْضَعَتْ بنيها بثدي هو الإثمدُ (٣)

ووضح الرمادي ما يقوم القلم به من عمل، فهو ينزف الحبر على الورق من خلال السطور، يقول:

وبِكَفِّهِ بادي النُّحولِ كأنَّهُ صَبٌّ يخاطبُ بالدموع الهُمَّلِ
صَبٌّ تُواصِلُهُ المعاني بعد أن يبكي لها كبكاء مَنْ لم يوصَلِ
وكأنَّهُ بمدادِهِ متدرِّعٌ درعاً وللأسطار قائِدُ جَحْفَلِ (٤)

(١) ابن الكتاني ، التشبيهات ، ١٧٣ .
(٢) نفسه ، ١٧٣ .
(٣) نفسه، ٢٢٦ .
(٤) نفسه ، ٢٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويؤكد عبادة بن ماء السماء سلطة النص التي يترتب عليها تنفيذ ما في الصحيفة، فقال:

أقـلامُهُ تنشـي السيوفُ لـها ... إذا عليهـا دمُ الدّويِّ جَـرى
كـأنما عـادَ ريقُهـا دِيَماً ... فأنبَتَتْ فـي كتابـه زُهْرا
فـأورقت حيـن صافحـت يـدهُ ... فانباع منـها كَـلامُهُ ثـمَرا (١)

واهتم الأندلسيون بالطرب الذي آلته الموسيقى، فواءموا بين الغناء، والعزف الموسيقي، الملائم، المنسجم، المتناغم، فقد بين يحيى بن هذيل أن سماع العود يحدث نشوة وطرباً، ومنها قوله:

وَمُؤَلَّفِ الأوصالِ يختَلِفُ الصَّدى ... فيـه فَتَحْسَـبُ صـوتَهُ تَغْريـدا
رَقَّـتْ معانيـه بِرِقَّـةِ أرْبَـعٍ ... صـارَتْ عليـه قلائـداً وعقـودا
فكـأنَّ بُلـبُلَ صائف فـي صدره ... يَصِلُ الأغـاني مُبْدِياً وَمُعيـدا (٢)

ويوضح الشاعر نفسه أن الرباب يشبه العود، وإن كان أصغر حجماً منه، فقال:

يُخالفُ العودَ في تَصَرُّفِهِ ... وَهْوَ على خَلْقِهِ وإن صَغُرا
وإنما يحتذي على نَغَمٍ ... من حُكْمِ الفُرْسِ كلما حَضَرا
كأنَّهُ في يَدَيْ مُحَرِّكِهِ ... يَنْشُرُ قلبي به وما شَعَرا
كأنَّ داود حين يوقِظُهُ ... يقرأ فيه الزَّبورَ والسُّوَرا (٣)

ويذهب الشاعر نفسه، أيضاً إلى أن المزهر يشيع حزناً، وألماً في أنغامه، فقال:

قـام علـى اليـسرى خطيباً بهـا ... ينطـق عـن جُمـلةِ ألحـانِ
كـأنما يَفْـرُقُ مـن فَزْعَـةٍ ... فـي أوَّلٍ مـن نَقْـرِهِ الوانـي
كـأنه فـي فِعْلِهِ عـاشِقٌ ... رَوَّعَـهُ العِشْقُ بهجرانِ
كـأنمـا الأنقـارُ فـي نَحْـرِهِ ... ميـازِبٌ في طِسْتِ عِقبـانِ (٤)

وورد وصف السكين والجلم عند شعراء تلك الفترة، لأنهم استخدموهما في حياتهم الخاصة،

(١) ابن الكتاني ، التشبيهات ، ٢٢٧ .
(٢) نفسه ، ١٦ .
(٣) نفسه، ١٠٧ .
(٤) نفسه ، ١٠٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد بهر جلم قاطع الرمادي في حالة الإبطاء والسرعة، يقول:

جَلَمٌ مـن صَفَـاهُ كـاد يخفـى ... فلـو انـّه اصـطبـار لعيـلا

قَاطِعٌ فـي انطبـاقه كانطبـاق الثَّغْر ... فـي العضِّ مُبطئـاً وعجـولا (١)

ويحبب عبادة بن ماء السماء سكيناً تتميز بالحدة، والقطع، والشكل البديع، أهداها إلى محبوبته، ومنها قوله:

أَهْدَيتُ نَحْوَ مُعَذِّبي عَضْبَ الظُّبا ... مـن طـَرْفِهِ الفتّاك أحسبُ حَدَّهُ

وَفِرِنْدُهُ المُعشـي لعينـي مُذْكِرٌ ... مـن خَطِّ عارِضِهِ المليـح فِرِنْدهُ

وكـذاك يحـكي باصـفرار نقوشِهِ ... مـن عـاشِقٍ مثلـي نحيـل خَدَّهُ

ولـذاك أُهْديـه إليـه تفـاؤلاً ... للقائنـا فكأنمـا أنـا عنـدهُ

أفْرَدْتُهُ مـن غِمْدِهِ إذ لـم أرَ ... إلا فؤادي خَوْف صدِّك غِمْدَهُ (٢)

ويبدو أن حرارة الجو كانت ترتفع في الصيف، لذا، حاول الأندلسيون التغلب على هذه الظاهرة، فاخترعوا وسائل من شأنها أن تلطف حرارة الجو، ويعطى يحيى بن هذيل تصوراً مبدئياً لشكل المروحة الذي يميل إلى الاستدارة، ووظيفتها التي تتركز في جلب الهواء اللطيف الذي يشبه هواء الصباح، فقال:

ومصروفَةٍ عن خَلْقِها إن صَرَفْتَها ... إلى طيِّ بُرْدٍ أو إلى طيِّ مُهْرَقِ

على أنّها شِبْه الْمِجَنّ ودونَهُ ... فإن كنتَ ذا فَهْمٍ أَبِنْ لي واصْدقِ

لها لُطْفُ أنفاسِ الصَّباح ورِقَّةٌ ... تَلَذُّ بها نفسُ الفتى الْمُتَشوِّقِ(٣)

وكشف الشاعر نفسه عن كيفية استخدام المذبة ذات الشكل الجميل، بأنها تبلل بالماء، وتحرك باليد، حتى تضفي على الجو رطوبة، ولطفاً، وإنعاشاً، يقول:

ونـاحِلَةٍ صفراءَ مـن غيـر عِلَّةٍ ... لهـا لِمَّةٌ حـمراءُ ذاتُ تَوَقُّدِ

تلـوحُ عليهـا صفرةٌ عَسْجَدِيَّةٌ ... بهـا تتحلـى برْنـساً كُلُّ مَشْهَدِ

تمـوتُ وتحـيا تارةً بعـد تـارةٍ ... فما تأْمَنْ من غَيْرِها في تَجَدُّد (٤)

(١) ابن الكتاني ، التشبيهات ، ٢٣٢ .

(٢) نفسه ، ٢٣٠ .

(٣) نفسه ، ٢٣٣ .

(٤) نفسه ، ٢٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بناءً على ما تقدم، فإن الدولة العامرية كانت دولة قوية تتمتع بمقومات الدول الغنية، لأن الناس أصبحوا من الرفاهية والتنظيم إذ كانوا يعيشون في مستوى عالٍ لذلك أفرزت هذا اللون من الفن، وهو شعر مظاهر الحياة الاجتماعية والحضارية، فلم يكن لدى الشاعر قضايا تقلقه أو تؤرقه كوجود أمته، أو حقوقه الاجتماعية، والطبيعية، والمدنية، ويمكن التدليل على صحة ما ذهبت إليه أننا في زماننا هذا لو سمعنا شاعراً يصف طعاماً لذيذاً لأشحنا بوجوهنا عنه، وصرفناه بأي طريقة، لأن الأولى بالنخبة، ومنهم الشعراء أن يوجهوا الرأي العام لحل قضايا الأمة الداخلية والخارجية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

الخصائص الفنية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يكن الشعر الأندلسي حلقة منفصلة عن الشعر العربي، بل كان حلقة في سلسلة طويلة متصلة من الحلقات، فقد جاء شعر الأندلسيين بعد المرحلة الأموية في المشرق، وزامن العصر العباسي، ويلاحظ أن هناك تأثراً وتأثيراً في الشعر، وخصائصه الفنية في المشرق والمغرب، ويعالج هذا الفصل جملة موضوعات، منها: التقليد في الشعر الأندلسي، والنسيج اللغوي، والصنعة، والصورة في أصلها ومظاهرها، والتأثر بمصدري الثقافة الإسلامية : القرآن والسنة.

أ - التقليد في الشعر الأندلسي.

تبين لنا من خلال الفصل السابق أن أكثر غرض شعري غلب التقليد عليه هو شعر المدح، وظهر ذلك من خلال المقدمة الطللية الغزلية، والرحلة، ثم الغرض، والقيم التي غلبت على المدح، وتجدر الإشارة إلى أن قصيدة المدح امتازت قديماً، وفي فترة المنصور بالأوزان الطويلة، وطول القصيدة، والتزام القافية، وأما المقدمة الطللية الغزلية، فبرزت عند بعض الشعراء، مثل: الرمادي، ويحيى بن هذيل، والقسطلي، وبما أن المقدمة الطللية الغزلية تعد أساساً في قصيدة المدح التقليدية، فإن شعراء مرحلة المنصور قد التزموها غالباً تقليداً من الضروري التقيد به. وأما الرحلة، فقد وردت عند الشعراء الثلاثة السابقين، واستخدموا الناقة سفينة الصحراء لرحلتهم الطويلة، الممتدة، الشاقة، وكثيراً ما كان يصيب الناقة النحول والوهن، لمشقة السفر، رغم أنها ناقة قوية، جسور. وقد ربط الشعراء بين الصحراء والسراب، وبين طول الرحلة والجزاء المادي، لأن الأجر على قدر المشقة كما يقولون، وأما الغرض فهو تحصيل حاصل، ونتيجة معقولة بعد مقدمة مناسبة، ورحلة شاقة، ويعلي الشاعر فيه شأن الممدوح، وقيمته وشخصه، وأفعاله وتوجهاته، وأهدافه، وبقي أمر مهم في قصيدة المدح التي اتبعت نهج القصيدة الجاهلية، وهو أن القيم تكاد تكون نفسها، وهي: الكرم، الشجاعة، النسب، ولا غرابة أن ينهج الأندلسيون هذه السبيل، لأن الحكام عرب، ولأن الشعراء أنفسهم عرب، ومن كان من أصل غير عربي، فقد ارتوى من نبع الثقافة العربية، فصار عربياً ثقافة وانتماء، وذاب الأندلسيون من أصول غير عربية في الثقافة العربية الإسلامية، مما يؤكد مقولة ابن خلدون أن المغلوب مولع أبداً بتقليد الغالب [١]، ولا يفوتني أن أذكر أن شعراء وعلماء من بغداد مركز الثقل السياسي في المشرق في تلك الفترة قد قدموا إلى الأندلس، مما أدى إلى إغناء الثقافة العربية كصاعد اللغوي.

كما ظهر لنا أن معظم الأغراض الشعرية من شعر الطبيعة، والسجون، والوجدان، والمعالم الحضارية يغلب عليها مواكبة تيار الحداثة، وخصوصية المجتمع الأندلسي، وأما التقليد في هذه الأغراض فيبقى ضئيلاً نسبياً، كتشبيه الخدود بالورود، والوجه بالبدر، ويلاحظ أيضاً أن شعر هذه الموضوعات

(١) ابن خلدون ، المقدمة : ١٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يغلب عليه المقطوعات الشعرية ذات الأوزان الخفيفة التي تصلح للغناء والرقص، ويكاد يكون أدب السجون من أكثر الأغراض تحرراً من التقليد، لأنه موضوع جديد بالنسبة إلى المجتمع العربي اقترن بنشوء الدول، وممارسة السلطة، والسجين يعبر عن تجربة حية يذوق ويلاتها ومراراتها كل لحظة، وأدب السجون هو أقرب ما يكون تنفيساً عن معاناة إلى كونه بحثاً عن التميز الإبداعي، وهو أقرب ما يكون إلى مادة شديدة الاشتعال كالبنزين، وهو يتميز بحدة العاطفة وعمقها، وبما أن السجين يتوق إلى الحرية، فإن تحرر قصيدته من التقاليد ربما يكون تعبيراً عن ذلك التَّوْق.

وغني عن البيان أن المشرق هو الأصل فيما صدر عن الأندلسيين من أعمال إبداعية وثقافات في العالم القديم سواء أكانت قديمة أم حديثة، ويبقى للقديم أنصاره، وللحديث متحمسون له، وكلهم ينافح عن قناعات تشكلت في عقولهم، ووجدانهم، وأما التيار القديم فقد تأثر بالشعر العربي إلى نهاية الدولة الأموية في المشرق، الدولة التي كانت تتمثل الثقافة العربية بروحها الأصيلة القديمة حتى العظم، ورغب القسطلي في أن يوضح طول الرحلة، ومشقتها، في صحراء مهجورة، فأشار إلى وجود القطا فيها الذي لم يألف الناس، وبالتالي لم يروع، يقول:

أشُجُّ بها والليلَ مُرْخٍ سُدولَهُ ... سباريتَ أرضٍ لا يُراعُ قطاها [١]

وقد تأثر القسطلي في البيت السابق بقول امرىء القيس:

وليلٍ كَمَوْج البحر أرْخى سُدولَهُ ... عليَّ بأنواعِ الهمُومِ ليبتلي [٢]

وواضح أن امرأ القيس شكا طول الليل بسبب الهموم التي سيطرت عليه في تلك الليلة، ويتجلى في النصين السابقين مفارقة، هي الحركة السريعة بدافع الأمل والرجاء عند القسطلي، يقابله قعود بسبب الهم عند امرىء القيس.

وورد في شعر سعيد بن محمد العاصي بيان سلطة الممدوح على الناس كلهم مهما ابتعدوا، فقال:

فأنت كمثل الليل يدرك كُلٌّ من ... نأى وبساط الأرضِ دونَك واسعُ [٣]

---

(١) ابن الكتاني، التشبيهات ، ٣٧ .

(٢) الخطيب التبريزي ، يحيى بن علي بن محمد الشيباني، شرح القصائد العشر، تحقيق، الدكتور فخر الدين قباوه، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الآفاق ، ١٩٧٩ ، ٦٦ .

(٣) ابن الكتاني، التشبيهات ، ٢٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والبيت السابق مأخوذ من قول النابغة الذبياني.

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسعُ [١]

فالبيت الأول يتحدث عن المجموع الذي يخضع لسلطة الممدوح، والثاني يتحدث عن سلطة النابغة عليه كفرد، وبالتالي، فإنها تتجسد هنا مفارقة، هي: الفرد والمجموع.

وذهل محمد بن شخيص عن تمكن الحب منه، بعد أن كان مزاحاً عابراً، يقول:

واهــاً لِمَقْبولِ الفــؤادِ مُتَيَّمٍ جَدَّ الْغَرَامُ بــه وكــان مِزاحــا[٢]

والبيت السابق متأثر بقول كعب بن زهير في لاميته، إذ يقول:

بانــت سعــادُ فقلبــي اليــوم متبولُ مُتَيَّمٌ إثْرَهــا لــم يُفْدَ مكــبولُ [٣]

وهذا البيت من ضمن أبيات تشكل مقدمة طللية غزلية يتألم الشاعر فيها على ذهاب الحياة الجاهلية، ويبرز من خلال الموازنة بين البيتين السابقين اختلاف جوهري في الموضوع.

وتقمص سعيد بن العاصي شخصية غيلان، وهو ذو الرمة صاحب مي على سبيل الاستشهاد به في مقدمته الغزلية الطللية، يقول:

فبقيت في العرصات وَحْدي بَعْدَهُم حيــران بعــد معــاهِدٍ مــا تُعْهَدُ

فَكأنَّهُنَّ ديــارُ مَيٍّ إذ خَلَتْ وكــأن مــن غيــلان فيها مُنْشِدُ [٤]

وليس بغريب أن يسود طراز التفكير الجاهلي عند بعض الشعراء، فهذا يحيى بن هذيل يشير إلى ريح الصبا في معرض التذكر لمحبوبته، يقول :

هَبَّتْ لنــا ريــحُ الصَّبــا فتعــانَقَت فَذَكَرْتُ جيدك في العناق وجيدي [٥]

وسيطر على بعض الشعراء التفكير الجاهلي، وهو الدعاء للديار بالسقيا، وهبوب الرياح اللطيفة الطيبة عليها، يقول حسان بن مالك:

---

(١) النابغة الذبياني، ديوانه، جمعه وشرحه وكمله، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الجزائر، الشركة التونسية للتوزيع، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٧٦م، ١٦٨ .

(٢) ابن الكتاني، التشبيهات، ٥٨ .

(٣) كعب بن زهير، شرح ديوانه، صنعة الإمام أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٥٠، ٦ .

(٤) ابن الكتاني، التشبيهات، ١٦١. ابن الأبار، الحلة السيراء، ١ / ٢٢٥ .

(٥) ابن الكتاني، التشبيهات، ٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سـقى بلـداً أهلـي بـه وأقاربي غَـوادٍ بأثقـالِ الحَيـا وَرَوائحُ

وَهَبَّـت عليـهم بالعَشِيِّ والضُّحى نواسِمُ مـن بَرْدِ الظلالِ فَوائحُ[1]

كما ساد الشؤم لدى الجاهليين من بعض الطيور كالغربان، ونجد هذه الظاهرة في شعر بعض الأندلسيين، كقول محمد بن الحسن أبي عبدالله المذحجي:

إذا رأيتُ وجـوه الطَّيْرِ قُلْتُ لهـا لا بـارَكَ اللهُ في الغربـان والصُّرَدِ[2]

وأما التيار الثاني، فهو تيار الخروج على نهج القصيدة التقليدية، أو تيار الحداثة، وكان أبو نواس رأساً به في المشرق، ثم امتد تأثيره إلى الأندلس، ولكن من الخطأ النظر في شعر أبي نواس كله بأنه حداثي، أو خروج على نهج القصيدة التقليدية، كما أعلن البغدادي في كتابه تاريخ بغداد، إذ يقول : «كان أبو نواس للمحدثين مثل امرئ القيس للمتقدمين»[3]، وجدير بالذكر أنها وردت لأبي نواس قصائد تقليدية، منها قصيدته الرائية، يقول:

أجـارةَ بَيْتَينـا أبـوكِ غيـورُ وميْسورُ ما يُرجى لديك عسيرُ[4]

ودليل قوة القصيدة، وأنها تسير على نهج المتقدمين من الشعراء، أن صاعداً اللغوي اعتذر للمنصور عن عدم قدرته مجاراة أبي نواس، فقال:

إنـي لمسـتحـي عـلا ك مـن ارتجـال القـول فيـه

مـن ليـس يُـدرك بالـرو يةِ كيـف يـدرك بالبـديـه[5]

ولا يعني هذا أنه لم يوجد من الشعراء من لديه القدرة على معارضة أبي نواس، فقد تصدى القسطلي لمعارضته، ونجح في قصيدته التي مطلعها:

دعـي عَزَمـاتِ المستضامِ تسـيرُ فَتُنْجِدُ فـي عُرْضِ الفَلا وتَغورُ[6]

ويبقى أبو نواس رغم وجود قصائد تقليدية في شعره محسوباً على الحداثة، وأستاذاً فيها، لدرجة أنه كان يشكل تياراً لا واعياً في ضمير بعض الشعراء، والدليل الرواية التالية التي يوردها الحميدي في

---

(١) الحميدي، جذوة المقتبس، ١ / ٢٧١ ، الضبي، بغية الملتمس، ٣٠٤ .

(٢) الحميدي، جذوة المقتبس، ١ / ٦٨. الضبي، بغية الملتمس، ٩٠ . علي بن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ١ / ٢١١ .

(٣) الخطيب البغدادي، أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت ، تاريخ بغداد، الجزء السابع، بيروت، دار الكتاب العربي، ٤٣٧ .

(٤) أبو نواس، شرح ديوانه، وضبط معانيه، وشروحه، وأكملها، إيليا حاوي، الجزء الأول، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة، ١٩٨٣، ٥٢٧ .

(٥) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق١ ج١ / ٢٢ ، ٢٣ . المقري، نفح الطيب، ٤ / ٩٦ .

(٦) ابن درّاج، ديوانه ، ١٩٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتابه جذوة المقتبس، فيقول: «ومن غرائب الرثاء أن الشاعر ابن شبلاق رأى في المنام قوماً يعاقرون الخمر حول قبر أبي نواس، فطلبوا منه أي من ابن شبلاق أن يرثي أبا نواس، فقال:

جـادَك يـا قبرُ نشاص الغَمامْ وعـادَ بالعفـو علـيكَ السـلامْ

ففيـك أضْحـى الظَّـرْفُ مستودعاً واستَتَرَتْ عنـا عـيونُ الكلامْ [١]

ويفهم من النص السابق أن أبا نواس شاعر متحضر، مواكب لتطورات مجتمعه، منسجم مع الحياة، متصرف في الكلام أحسن تصرف، مبرز فيه يشار إليه بالبنان.

وكان صوت المتنبي الخطابي الصارخ واضحاً في شعر تلك الفترة، فقد تمثله القسطلي لدرجة أننا نكاد نطلق عليه لقب متنبي الأندلس، كما ذكر الثعالبي في كتابه يتيمة الدهر [٢]، وعلى الجملة فإن شعر القسطلي فيه روح المتنبي، ولكن وردت بعض الأبيات التي أخذها من المتنبي، منها قوله:

وصـوتُ ثَنـاءٍ أسْمَـعَ اللـه ذِكْرَهُ لِيُسْمِعَ منه الصُّمَّ أو يَهْدي العُميا [٣]

وقد وظف القسطلي التأثر بالمتنبي في البيت السابق في معرض محاولته تصوير هيمنة الممدوح، وسيطرته على الرعية.

وأما قول المتنبي، فهو:

أنـا الـذي نظر الأعمـى إلـى أدبي وأسـمعت كلماتي مـن بـه صَمَمُ [٤]

وأتى المتنبي بالبيت السابق للتدليل على قوته الشعريه، وتميزه فيه، ففي البيت الأول اتجاه نحو غرس الولاء والطاعة للحاكم، وفي البيت الثاني، تركيز على الأنا، ودوران حولها.

ويمضي القسطلي في تأثره بالمتنبي، فيقول:

وَتَبَوَّأتْ بـيَ مـن جَنـابِكَ مَوْطِناً وقفاً علـى كرم الوسـائل والذِّمَمْ [٥]

وكان قول المتنبي:

---

(١) الحميدي، جذوة المقتبس، ٢ / ٤٣٣ ، ٤٣٤ . الضبي، بغية الملتمس، ٣٦٥.

(٢) الثعالبي، يتيمة الدهر، ٢ / ١١٩ .

(٣) القسطلي، ديوانه ، ١٧٤ .

(٤) المتنبي ، ديوانه ، ٤٢٣ .

(٥) القسطلي ، ديوانه، ٤٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبيننـــا لـــو رعيتـــم ذاك مَعرِفَةٌ إن المعارف في أهل النُّهى ذِمَمُ [١]

ينفي الشاعر في البيت السابق التواصل بينه وبين المهجوين لعدم مراعاة العهود التي عادة ما تكون مقدسة عند العقلاء .

وكان المنصور يدعم التيار المحافظ ويرعاه كما بينت سابقاً، وكان بالمقابل يشجع في مجالس الطرب والغناء الشعر الخفيف الوزن والمغنى، وقد أورد علي بن سعيد في كتابه المغرب في حلى المغرب الحادثة التالية:« فشربا – المنصور، ومحمد بن الحسين الطبني، أبو مضر – وغنت قينة بيتين من شعر الطبني

صَدَفَتْ ظَبْيَةُ الرُّصافَةِ عَنّا وَهْيَ أشهى من كُلِّ ما يُتَمَنّى

هَجَرَتْنا فما إليـــها ســـبيلٌ غير أنا نقول، كانت وكنا[٢]

مما تقدم يبدو أن الشعراء قد تأثروا بالمشرق بتياريه القويين القديم والحديث، إضافة إلى خصوصيتهم، ونكهتهم المميزة، وخفة روحهم الواضحة، مما يدفعني إلى التعرف إلى خصائص شعر تلك المرحلة في الصفحات القادمات.

ب - النـسـيـج الـلـغـوي :

ويعاين هذا الجزء من البحث اللغة من خلال نسيجها، لا الكلمة المفردة ، لأن الشعراء في تلك الفترة تعاملوا مع اللغة على وجوه مختلفة، وتصرفوا في اللغة على أنحاء متباينة، من حوار، وسرد، واستخدام ألفاظ نادرة الاستعمال، ونثر، وتعبير مباشر، وأما الحوار، فإن الشاعر يهدف من وراء استخدامه الإقناع بقوه ارتباطه بالشخص، أو بالظاهرة، أو بالحدث، ومن المعلوم أن القصيدة تشبه العمل الروائي من حيث أنهما عملان إبداعيان، وينقلان صوراً لنا عن جوانب كثيرة من المجتمع، ولجوء الشعراء إلى الميل القصصي يخدم قضية جعل الشعر تعبيراً عن صور الحياة في المجتمع، أو الأحداث التي يتناولها، وبمعنى آخر، فإنها تخدم قضية الواقعية في التناول والأداء، والحوار يجعل العمل الفني الإبداعي، كالقصيدة عملاً تسجيلياً يعنى بدقائق الأمور، وتفصيلاتها، والاستغراق فيها، مما يجعل الناس منجذبين إليها، منشدين إلى موضوعها، ويبين علي بن أبي الحسين طبيعة علاقته بالنديم، بأنها علاقة اتفاق، وانسجام، واستجابة، فقال:

كلَّمـــا حَيّـــا بكـــأسٍ قلـــتُ : زِدْ فإذا عـــاودني قلـــت: أعِـــدْ [٤]

(١) المتنبي ، ديوانه ، ٢٨٧ .

(٢) ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب ، ١ / ٢٠٧ .

(٣) نفسه ، ٣٧٢ .

(٤) ابن الكتاني ، التشبيهات ، ٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفضح حسان بن مالك بن أبي عبدة، أبو عبدة، نظرة صاحبته إليه بأنها لا تخلو من النفعية، إذ استنكرت الشيب الذي وخط رأسه، يقول:

رأت طالِعاً لِلشَّيْبِ بين ذَوائبي ... فَعادَت بأسْراب الدُّموع السَّواكِبِ

وقالت: أشَيْبٌ؟ قلت: صُبْحُ تَجاربي ... أنارَ على أعقاب ليل نوائبي[1]

وكشف صاعد اللغوي من خلال الحوار عن مدى القلق والارتباك الذي ساد لقاءه بمحبوبته، فقد بين الشاعر ذكاء العاشقة الذي برز في حسن التخلص من متابعة الرقيب، ومنها قوله:

قلتُ لـه والـرقيـبُ يُعْجِلُهُ ... مودعـاً للفـراق أيـن أنـا؟

فمـدَّ كـفّاً إلـى ترائِبِهِ ... وقـال: سـر وادعـاً فأنـت هـنا[2]

ولجأ قسم من شعراء تلك الفترة إلى السرد في القصيدة الشعرية، واستخدم الشعراء الجملة الخبرية، وتنوع الفعل في العمل الإبداعي بين الماضي وبين المضارع، وسيتبين معنا في هذا اللون من العمل الفني أن الفكرة تولد أفكاراً، وأن الصورة تولد صوراً، تخدم كلها في نهاية المطاف الهدف الذي يقوم نصب عيني الشاعر، ويسعى إلى تحقيقه، وظهر هذا الاتجاه واضحاً عند القسطلي في قصائد المدح للمنصور، فقد أظهرت قصائده بخاصة السرد منها ما يجيش من رعب في نفوس الأسرى، مما يدل على قدرة خارقة عند الشاعر في استبطان ما يدور في نفوس الأعداء، وقد وظف اللغة بطاقاتها الإبداعية لتحقيق هذا الغرض، وبيان قوة المنصور، وقدرته، وتفوقه، ومنها قوله:

وجاهَدوا عَفْوَهُ عن أنْفُسٍ عَلِمَتْ ... أن الحياة لها من بعض ما غَنِموا

يمشون في ظُلَلِ الرايات تُذْكِرُهُمْ ... أيام تغشاهُمُ العِقْبانُ والرَّخَمُ

من كل أغْلَبَ محدودٍ بوادِرُهُ ... يساورُ الرّيح أحياناً ويَلْتَهِمُ

وكلُّ فَتْخاءَ ماضٍ حدُّ مِنْسَرِها ... كأنَّهُ نَحْوَ أكبادِ العِدى قَرِمُ

وأرْقَمَ يَتَلَوّى نحو أرؤُسِهِم ... حتى يكادَ لها في الجو يَلْتَقِمُ

والأسْدُ تزأرُ والرايات خافِقَةٌ ... كأنها مُثبتاتٌ في قلوبِهِمُ

والخَيْلُ مَنْظومَةٌ بالْخَيْلِ لا كُتُبٌ ... منها لغايَةِ ذي سَعْيٍ ولا أُمَمُ

---

(١) ابن خاقان، مطمح الأنفس، ٢١٤.

(٢) المقري، نفح الطيب، ٤ / ٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأرضُ من رَهَبَةِ الأبطالِ مائدةٌ والجَوُّ من رَهَجِ الفُرسانِ مُزْدَحِمُ
والسُّمْرُ في هَبَواتِ النَّقْعِ ثاقِبَةٌ والبيضُ في قُرُبِ الأغْمادِ تَضْطَرِمُ
كأنما ملأت رَحْبَ الفَضاءِ لَهُمْ غُلبُ الضَّراغِمِ والغاباتُ والأجَمُ (١)

وينطق يحيى بن هذيل في أسلوب دعائي المذبة التي تحكي جمال شكلها، وأهمية وظيفتها، فقال:

أنا في الصَّيْف راحَةٌ للنفوسِ وشِفاءٌ من حَرِّ داءِ الرَّسيسِ
أنا زَيْنٌ في الكَفِّ ساعَةَ أجلى ليس مثلي يَحِلُّ كَفَّ الرئيسِ
جَلَّ شكلي عن أن أنافس فيه وجمالي يَزْري بِكُلِّ نفيسِ
غُرَّتي البدرُ حين أبدو وجسمي فِضَّةٌ رُكِّبَتْ على أبنوسِ (٢)

وقد وردت بعض النماذج الضعيفة للحكاية عند بعض الشعراء، لظهور التفكك فيها، وعدم الترابط بين أجزائها، ومثال ذلك: وصف يحيى بن هذيل نوارير عدة، فبدأ الضعف بتكرار كأن التي تدل على ازدحام الصور دون ضرورة تذكر، ومنها قوله:

حَديقَةُ نفسي تملأ النفس بَهْجَةً وتنثني عيون الناظرين بها حسدي
كَأنَّ جَنِيَّ الجُلَّنارِ وَوَرْدَها عشيقان لما استَجْمَعَا أظْهرَا خَفْرا
كأنَّ جنى سوسانها في سَنا الضُّحى كؤوس من البلّورِ قد حُشِيَتْ تِبْرا
كأنَّ عيون النرجس الغضِّ بالنّدى عيون تداري الدمع خيفة أن يُدْرى
كأنَّ جنى الْخَيْرِيِّ في غَبَشِ الدُّجى نسيم حبيب زار عاشقه سِرّا (٣)

ولجأ بعض الشعراء في تلك الفترة أيضاً إلى ألفاظ نادرة الاستعمال يحتاج تفسيرها إلى معجمات متخصصة، ويعود سبب اللجوء إلى هذه الألفاظ في أغلب ظني إلى طبيعة الموضوع، فهو أقرب إلى التقليد منه إلى الحداثة من ناحية، وهو نتيجة صقل الشعراء موهبتهم عن طريق استظهار الثقافة التقليدية من ناحية أخرى، وقد أنتج القسطلي قصيدة من هذا الصنف في قدوم صاعد تليق بمستواه العلمي، وتحترم ذكاءه، وثقافته، ومنها قوله:

(١) القسطلي، ديوانه ، ٤٠٤ .
(٢) ابن الكتاني ، التشبيهات ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ .
(٣) الحميري ، البديع في وصف الربيع، ٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا نَسَبٌ إلا الثُّرَيّا إذا انتَحَتْ ... فكانَتَ لهُمْ نِصفاً وكانوا لها ثِنْيا
وكم زَجروها باسمها وخُفوقها ... فما صَدَقَتْهُمْ لا ثُرَاءً ولا ثَرْيا
ولا صِدْقَ إلا للرجاء الذي سَرا بي ... فَقَصَّر طول اللَّيْلِ واستَقْرَتِ النَّأيا
وبارى هُوِيَّ الريح يَسْبِقُها هوىً ... وغالَ قِفارَ البيدِ يَنْسِفُها طَيّا
إلى سابِقِ الأملاكِ عَلَّم سَيْفُهُ ... ندى كفِّهِ أن يَسْبِقَ الوَعْدَ والوَأيا (١)

وظهر الغريب واضحاً عند علي بن أبي الحسين في موضوع الطرد، يقول:

أُحْمِلُ غُضْفاً كُلُّها لـــم تَلْمُجِ ... فَمِن مُغِذٍّ السـير أو مُهَمْلِجِ
يقـودُهُ كالوحـي نحو الْعَوْهَجِ ... ينصـاعُ كالكوكب إثْرَ زُمَّجِ
وسَوْذَنيقٍ مُشـــرِفِ الْمُحَجَّجِ ... مُدَبَّجٍ بزفِّهِ مُتَوَّجِ
فـي تيـه كسـرى وخفوق أهْوَجِ ... ذي مِنْسَرٍ كاللهذَمِ المُعَوَّجِ
مقابـل فـي الكفِّ وَجْهَ بُوَّجِ ... مطـوَّقٍ بريشـــهِ مُدَرَّجِ (٢)

مما تقدم يتبين أن استخدام الألفاظ النادرة في بعض شعر الأندلسيين كان نتيجة لثقافة مركزة في الموروث الشعري العربي خاصة شعر المدح والطرد التقليديين، وهذا اللون من الشعر ليس من طبيعة الحياة الأندلسية، لأن المدنية التي كانوا يعيشون فيها تفرض عليهم أن يتعاملوا باللغة اليومية دون ولوج باب الصعب، والنكد من القول، وقد كان هذا اللون من الشعر مطلوباً عند رجال السلطة وعلى رأسهم المنصور.

ومن الطبيعي أن ترد أشعار في تلك الفترة تواكب الحياة هي أقرب إلى النثر منها إلى الشعر، فالصياغة سهلة جداً يفهمها أبناء القرن العشرين بيسر، ودون مشقة، فقد وضح القسطلي ما حَلَّ بأعداء المنصور من خسران مبين، ومنها قوله:

فباءَ عـداكَ مـن خُلُفِ الأمـاني ... ومـن فقـد الحـياة بخيبتـينِ
فَلِلإشراك كلتـا الخزيَـيْـنِ ... وللإسـلام إحـدى الحُسْنَيَيْنِ
مغـانِمُ لا يحيـط بهـن إلا ... حسـابُ الكاتبـين الحـافظين (٣)

(١) القسطلي ، ديوانه ، ١٧٩ .
(٢) ابن الكتاني، التشبيهات ، ١٧٦ .
(٣) القسطلي ، ديوانه ، ٣٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويوصي أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب، أبو عمر ابنيه بلغة سهلة، فقال:

إذا شِئْتَ أن تَحْيا غَنِيّاً فلا تَكُنْ على حالةٍ إلا رضيت بدونها[1]

واستخدم سعيد بن فتحون، أبو عثمان، لغة سهلة في الحديث عن المنطق، ودحض حجج الخصوم، يقول:

ظلموا إذا الكتاب إذ وصفوهُ بالذي ليس فيه إذ جهلوهُ
لو دَرَوْا حَقَّهُ لما أنكروهُ أو دَرَوْا فَضْلَهُ إذن فَضَّلوهُ
كذبوا والإله لو عرفوهُ لنفوا عنه كل ما نحلوهُ [2]

ويظهر الفقيه بن الحسين الزبيدي، أبو بكر لغة سهلة في بسط عاطفته إزاء أم تميم، فقال:

كيف بالدين القويم لك من أم تميم
ولقد كان شِفاءً من جَوى القلبِ السَّقيم
يُشرق الحسن عليها في دُجى الليل البهيم[3]

كما ورد في فترة المنصور التعبير المباشر عند بعض الشعراء، وأقصد بالتعبير المباشر اللجوء إلى الأسلوب الخطابي الذي يفتقر إلى الناحية الفنية أي استخدام اللغة الاستعارية، ومن الأمثلة على ذلك، أن سعيد الشنتريني بين أن إخراج المنصور الصقالبة من القصر قرار حكيم، لظلمهم غيرهم، ولضغطهم النفسي والمادي على صاحب القرار السياسي في ذلك الوقت بسبب حمقهم، وجهلهم، يقول:

أُخرِج من قَصْرِ إمام الهُدى كُلُّ فتىً مُنْبَسِطٍ جائِرِ
فَمَنْ رأينا منهُمُ قال لا مساسَ فِعْلَ الناس بالسّامِرِ
فَخَفَّ ظَهْرُ الملكِ المُرتَضى قد خَفَّ من ثِقْلِهِمُ الظّاهِرِ

(١) الحميدي ، جذوة المقتبس، ١ / ١٨٢ ، ابن بشكوال، الصلة، ١ / ٢٦ . الضبي، بغية الملتمس، ٢٠.
(٢) الضبي، بغية الملتمس ، ٣٦٢ .
(٣) ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، ٢٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسالَ ماءُ العِلْمِ من وَجْهِهِ مُذ زال من جَهْلِهِم الخاثِرِ
فلازَمَ الإفرادَ في قَصْرِهِ مع الوزيرِ الخَيِّرِ الطاهِرِ[1]

ويشيد صاعد اللغوي ببناء المنصور مدينة الزاهرة آية الجمال، والفن، والاتقان حتى يعوز المقلدين الذين ليس لهم حظ من الإبداع أن يأتوا بمثلها، فقال:

يا أيُّها المَلِكُ المنصورُ من يَمَنٍ والمُنْتمي نسباً غير الذي انتسبا
بِغَزْوَةٍ في قلوبِ الشِّركِ رائِعة بين المنايا تُناغي السُّمْرَ والقُضُبا
أما ترى العين تجري فَوْق مَرْمَرِها هَوىً فَتُجري على أخْفاقِها الطُّرَبا
أجْرَيْتَها فطما الزّاهي بِجَرْيَتِها كما طَمَوْتَ فَسُدْتَ العُجْمَ والعَرَبا
تخالُ فيه جنودَ الماء رافلةً مستلئمات تُريك الدِّرع واليَلَبا
تَحِفُّها من فنون الأيكِ زاهرةً أوْرَقَتْ فِضَّةً إذ أورقت ذَهَبا
بديعةَ المُلْكِ ما ينفكُّ ناظِرُها يَتلو على السَّمْعِ منها آيةً عَجَبا
ولا يُحْسِنُ الدَّهْرُ أن يُنشي لها مثلاً ولو تَعَنَّتْ فيها نفسُهُ طَلَبا[2]

ويدعو ابن درّاج للمنصور بطول العمر، ودوام السرور، وتجدد النعيم، والهناء في عيد الأضحى، والسلامة لابنيه، فقال:

يا أيُّها المَلِكُ الذي عزماتُهُ في الدين أعْظَمُ أنْعُمِ الوَهّابِ
فصل الإله لديك عُمْراً يقتضي أمَدَ السنين ومُدَّةَ الأحقابِ
ولك السرورُ مضاعفاً أيّامَهُ ولك النعيم مُجَدَّدَ الأثْوابِ
وليَهْنِكَ الأضْحى الذي أضحى به صُنْعُ الإلهِ مُفَتِّحَ الأبْوابِ
واسْلَمْ لِسِبْطَيْكَ اللَّذَيْنِ تَمَلُّكا رِقَّ السَّنَاءِ تَمَلُّكَ الأرْبابِ[3]

يتضح مما سبق أن الخطابة تركز على القضايا اليومية، وتربطها بالمصير، وينصب الشاعر الخطيب من نفسه ناطقاً بلسان المجموعة، لأنه يتوجه بالخطاب الشعري إلى الحاكم، ومما يتميز الأسلوب الخطابي الشعري به أيضاً الدعاء للحاكم، أو بيان آثاره، أو الإشادة به في المناسبات المختلفة.

(١) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ٢ / ٢٦٣ ، ٢٦٤ .
(٢) ابن خاقان، مطمح الأنفس ، ٣٩٥ . ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب ، ٢ / ٢٧٧ .
(٣) القسطلي ، ديوانه ، ١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ- الصنعة

ووردت الصنعة في شعر تلك المرحلة من جناس، ومقابلة، وتشطير، ورد الأعجاز على الصدور، ووظف الشعراء أيضاً المصطلحات العلمية من فلكية وغيرها، واستخدم الجناس بأصنافه المختلفة، وهذا اللون من البديع فيه اختبار لذكاء المتلقي، لأن أحد مظاهر الجناس حقيقي، والآخرمجازي يحمل لغتين الثانية هي المقصودة، ووصف الطليق جمال محبوبته المطلق، فكانت صورة البدر هي النموذج الأجمل، الأكمل، ولكنها في النهاية تتفوق على البدر، يقول:

لَعَمري كذاك البدرُ أجملُ منظراً وأحسنُ من بدر التَّمامِ وأَمْلَحُ (١)

وأخبرنا القسطلي عن رحلته إلى المنصور، فذكر الراحة التي هي سبب في العطاء، وذكر الراحة أيضاً بمعنى الطمأنينة والاستقرار، يقول:

عسى راحة المنصور تُعْقِبُ راحةً وَخَتْمٌ لآمال العفاة عساها(٢)

وتمنى الشاعر نفسه للمنصور الخلود عن طريق ذكر العيد ويعد، فقال:

وإذا سَـرَّكَ صُنْـعٌ فلْيَـدُمْ وإذا وافـاك عيـد فَلْيَعُدْ (٣)

واستخدم الشاعر نفسه الصفائح للسيوف التي توقع القتل وتكون سبباً في الأسر، والصفح لبيان كمال خلق المنصور، يقول:

صفائحُ أعْـداهـا سنـاكَ فأشْرَقَتْ ولم يَعْدُهُنَّ العفو منك ولا الصَّفْحُ (٤)

وجاءت المقابلة هذا الفن من البديع عند بعض الشعراء بخاصة القسطلي، وضرب علي بن أبي الحسين مثلاً على التجدد والحياة من خلال المقابلة بين إحياء البدائع، وما مات من اللهو والترف، يقول:

أحْبِبْ ببدعَةَ إذا أحْيَتْ بدائِعُها ما مات من لهْوِ أيّامي وأوطاري (٥)

وصرح الرمادي عن طريق المقابلة عن الرضاب الذي ارتشفه، فكأنه في فصل الشتاء، وفي الحقيقة هو في فصل الصيف، يقول:

---

(١) ابن الأبار، الحلة السيراء، ١ / ٢٢٢ .

(٢) القسطلي، ديوانه، ١٣ .

(٣) نفسه، ٣٦٨ .

(٤) نفسه، ٣٨٨ .

(٥) ابن الكتاني، التشبيهات، ١٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأقْرَبُ عَهْدٍ رَشْفَةٌ بَلّتِ الحَشا فعادَ شتاءً بارِداً وهو صَيِّفُ [١]

ويرسم القسطلي صوراً ضدية في بيتين شعريين، ويوضح ارتفاع المنصور عن الانتقام، وإقباله على العفو، ويبين إحجامه عن سفك الدماء، ومنحه الحياة لخصمه، فقال:

فَأَخَّرْتَ عَنْهُ حُكْمَ بأسِكَ بالرّدى وأمْضَيْتَ فيه حُكْمَ عَفْوِك بالبُقْيا

وَوَقَّيْتَهُ حَرَّ الحِمامِ لو اتّقى وزَوَّدْتَهُ بَرْدَ الحياةِ لو استَحْيا[٢]

وتكررت هذه المفارقات عند الشاعر نفسه، فقد أعطى صورة مثلى للمنصور في التعامل اللبق مع أعدائه، فعقد موازنة بين حال الأسير الخطيرة في وضعي الذل والمهابة، وبين التبجيل والإكرام في حضرة المنصور، وعقد موازنة أيضاً بين تحقيق الأمن الجسدي والنفسي في حضرة المنصور، وبين فقدان خصم المنصور السيادة على مملكته، يقول:

فراحَ ذليلاً ثم أضحى مُبَجّلاً وأمسى مهاناً ثم أصبح مُكْرَما

وأصْبَحَ من حَظِّ السَّلامَةِ وافِراً بأن راح من عِزِّ الإمارة مُعدَما[٣]

وورد التشطير هذا الفن من البديع الذي يلاحظ فيه عمق الإيقاع الشعري، وسرعته فكأنه سيل هادر، وهو صالح للغناء، والرقص، وقد تناول عبدالملك بن شهيد، أبو مروان محفة خيزران أهداها المنصور إليه، ووصفها بأنها قوية لا تطالها يد البلى والخراب، فقال في إيقاع راقص فرح يعبر عن وضعه النفسي في تلك اللحظة.

إن أُهْمِلَتْ لم تنبعث، أو أجهدت لم تَعْتَذِر، أو أُحْرِجَتْ لم تُشْمِسِ [٤]

وظهر التقسيم في وصف صاعد اللغوي إحدى معارك المنصور مع الإفرنج، فتنبأ بهزيمتهم الساحقة، وكان الإيقاع، قوياً، صارخاً، عنيفاً لقوة النبرة وشدتها، يقول:

فتحالفوا لِمُحَنِّثٍ، وتجمعوا لِمُفَرِّقٍ وتألّفوا لِمُبَدِّدِ[٥]

وعبر القسطلي عن فرح الناس كلهم، على اختلاف حاجاتهم وأغراضهم بقدوم صاعد، فكان التشطير دقيقاً، والإيقاع وئيداً، سلساً، هادئاً، يقول:

---

(١) ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، ٣٢٠ .

(٢) القسطلي، ديوانه ، ١٧٦ .

(٣) نفسه ، ٣٩٧ .

(٤) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق٤ ج١ / ٣٠ .

(٥) لسان الدين بن الخطيب، تاريخ إسبانية الإسلامية، أو أعمال الأعلام، ٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَمَوْرِدُ من أظْمـا، وإصْباحُ مـن سَرى وَمبْرَكَ مـن أعْيـا، وغايَةُ مـن أغْيـا (١)

ومنح الشاعر نفسه المنصور وابنه عبد الرحمن صفات خلعها عليهم، منها: أن المنصور هو الأصل، وأما ابنه عبد الرحمن، فهو الفرع، وذلك عن طريق الوسائل التي ذكرها، وهي: الحسام، السنان، الشعار، الدثار، وجاء التشطير منسجماً مع الغرض، فكان الإيقاع قوياً، والنبرة رعيبة، تصطك الأسنان لها عندما تقرأ، يقول:

فكـان الحُسـامَ، وكنـتَ السِّنانَ وكان الشِّعارَ، وكنـت الدِّثارا (٢)

وجاء رد الأعجاز على الصدور في شعر تلك الفترة، وفيه اختبار للقدرة على التوقع عند المتلقي، وفيه ملء للفراغ في نهاية البيت حين يعجز الشاعرعن أن يأتي بكلمة مناسبة، فقد كرر عبد الوهاب بن حزم، أبو المغيرة، كلمة قطين في صدر البيت، وآخر العجز، فقد أثبت في الأولى تمكن الحب من قلبه، ونفى في الثانية وجود المحبوبة بالرقمتين، يقول:

أضْحى الْغَرامُ قَطينَ رَبْعِ فُؤادِهِ إذْ لـم يَجِدْ بالرُّقْمَتَيْنِ قطينـا(٣)

ووردت كلمة معتذر عند الرمادي في آخر صدر الشعر الأول، وجاءت أيضاً في نهاية عجز البيت، ليوضح معنى قدومه معتذراً على حين أنه مظلوم، يقول:

ظَلَمْتَني ثـم إنـي جِئْتُ مُعْتَذراً يكفيـكَ أني مَظلـومٌ ومعتـذرُ (٤)

وذكر القسطلي كلمة يصول في أول صدر البيت، ثم جاء بها في آخر العجز، لبيان دلالة يصول التي تؤكد المعنى الأول، يقول:

يصـولُ بِسـيف اللـه عَنّا وإنمـا به السيفُ في ضَنْكِ المُقامِ يَصولُ (٥)

ووردت كلمة تفلي عند الشاعر نفسه أيضاً في أول صدر البيت فعلاً،وجاءت في آخر عجز البيت مصدراً، فقد كانت في الأولى تفلي شعره بفعل ريح الصبا، وأما الثانية الفلي، فكانت تقوم أصابع الصبايا به خلال شعره، ومنها قوله:

وتَفْلي الصَّبا منـهُ ذوائِبَ لِمَّةٍ تفاخَرُ أيـدي المُصْبياتِ بها فَلْيا(٦)

(١) القسطلي، ديوانه ، ١٧٥ .

(٢) نفسه ، ٤٦٠ .

(٣) الحميدي، جذوة المقتبس، ٢ / ٤٦١ . ابن خاقان، مطمح الأنفس ، ٢٠٣ . الضبي، بغية الملتمس ٣٩٣ .

(٤) الحميدي ، جذوة المقتبس، ٢ / ٥٩٢ . الضبي، بغية الملتمس ، ٤٩٥ . ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، ١ / ٣٩٤ .

(٥) القسطلي ، ديوانه ، ٧ .

(٦) نفسه ، ١٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان علم النجوم محظوراً على الأندلسيين التعامل معه في فترة حكم المنصور، يقول ابن عذارى المراكشي في كتابه البيان المغرب: «وكان المنصور أشد الناس في التغير على من علم عنده شيء من الفلسفة، والجدل في الاعتقاد، والتكلم في شيء من قضايا النجوم، وأدلتها، والاستخفاف بشيء من أمور الشريعة، وأحرق ما كان في خزائن الحكم من كتب الدهرية، والفلاسفة بمحضر كبار العلماء[1]».

ولكن بعض الشعراء الأندلسيين وصفوا النجوم من باب التأمل المحض دون الالتجاء إلى النظريات العلمية وتطبيقاتها، وقد اكتظت أبيات شعرية لطاهر بن محمد البغدادي بأسماء النجوم والكواكب أثناء قلقه ليلاً، لأنه رعى الليل المظلم عن طريق تتبعه عالماً، عجيباً، جميلاً، مضيئاً، يقول:

وليلٍ بتُّ أكلؤُهُ بهيمٍ ... كأنَّ على مفارقه غُرابا
كأنَّ سَماءَهُ بحرٌ خِضَمٌّ ... كساهُ الموج ملتطماً حَبابا
كأنَّ نجومَهُ الزهرَ الهوادي ... وجوهٌ اخضلَّتْ تبغي الثَّوابا
كأنَّ المستسرَّة في ذُراه ... كمائِنُ غارَةٍ رَقَبَتْ شهابا
كأنَّ النَّجْم مُعْتَرِضاً وُشاةٌ ... تُسارِقُ فيه لحظاً مُسْتَرابا
كأنَّ كواكِبَ الجَوْزاءِ شَرْب ... تعاطيهم ولائِذُهُمْ شرابا
كأنَّ الفَرْقَدَيْنِ ذوا عِتابٍ ... أجالا طول ليلهما العتابا
كأنَّ المشتري لما تعالى ... طليعةَ عَسْكَرٍ خَنَسوا ارتقابا
كأنَّ الأحمرَ المريخ مُغْضٍ ... على حَنَقٍ يَشُبُّ بها شهابا
كأنَّ بقيةَ القمرِ المولّي ... كئيبٌ مدنفٌ يشكو اجتنابا[2]

ووصف القسطلي عالم الليل من نجوم، وكواكب، وأقمار أثناء وصف الرحلة الشاقة على الطريقة الجاهلية في قصيدة المدح، لينال الجزاء المادي الأوفى من الممدوح، يقول:

فإذا رأيتَ النجمَ يُسدي أفقُهُ ... منه بَقِيَّةَ جَمْرِ نارِ المُصْطَلي
وتَخَلَّفَ العَيّوقُ فَهْوَ كأنَّهُ ... سارٍ تضَلَّلَ في فَضاءٍ مَجْهَلِ

(١) ابن عذاري المراكشي، البيان، ٢ / ٣٩٢، ٣٩٣.

(٢) ابن الكتاني، التشبيهات، ٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَتَعَرَّضَ الدَّبَرانِ بين كَواكِبٍ مِزَقٍ كَسِرْبِ قطاً ذُعِرْن بأَجْدَلِ
وكواكبَ الْجَوْزاءِ تهوي جُنَّحاً مِثلَ الْخَوامِسِ قد عَذَلْنَ لِمَنْهَلِ
وكأنَّما الشِّعْرى سراج تَوَقُّدٍ وَقْفٌ على طُرُقِ النُّجوم الضُّلَّلِ
وكأن مُلْتَزِمَ الفَرَاقِدِ قُطْبَها رَكِبٌ على عِرفانِ داثِرِ مَنْزِلِ
وَتَحَوَّلَتْ أُمُّ النُّجومِ كأنَّها زَهَرٌ تراكَمَ فوق مجرى جَدْوَلِ
ورأيْتُ جُنْحَ الليلِ ناطَ رِواقَهُ من كلِّ أفقٍ بالسِّماكِ الأَعْزَلِ (١)

مما تقدم يستنتج أن الصنعة تكون بسبب تعقد الحضارة، وهذا ما كان في المشرق والأندلس، وكان أبو تمام رائداً في الصنعة، وإذا أردنا أن نبحث في تفصيلات أجزاء الصنعة أو مكوناتها، فإننا نجد أن الجناس فيه اختبار لذكاء المتلقي، لأن اللغة مجازية في أحد التعبيرين الواردين في النص، وأما المقابلة فإنها تنم عن وعي نقدي ضدي، وأما التشطير، فيمتاز بالايقاع الراقص الذي يصاحبه الغناء، وأما رد الأعجاز على الصدور، فإن فيه امتحاناً لقدرة المتلقي على توقع الكلمة الثانية حين يكون على علم بالكلمة الأولى، وأما استخدام المصطلحات العلمية كالنجوم والكواكب، فإنه يدل على خروج الشعراء على صاحب الحل والربط وهو المنصور، ولكنه خروج مبرر لا عقوبة فيه، لأنه ينطلق من التأمل بمعنى النظرة العميقة في الأشياء دون استخدام النظريات العلمية أو تطبيقاتها.

د ـ الصـــورة

وأنتقل الى دراسة الصورة التي ترتد في أصلها الى الطبيعة والإنسان وأدرس معالمها الحسية، والمعنوية، والمتحركة، والمقيدة، واللونية، والصوتية، وأتناول الوهم والرسم في شعر تلك الفترة.

والشعر الأندلسي لا يخلو من الصورة شأنه شأن الأدب العربي في أصوله الأولى، وتطوره الحتمي على مر الزمان، وإذا أردنا التقسيم للأدب، فإن هناك التعبير المباشر الذي مر بنا سابقاً، والصورة التي هي نقيض تماما له، والتي ترتد في أصلها إلى الإنسان والطبيعة، ومن الطبيعي أن يستحضر الشعراء صورهم من هذين المصدرين، لأنهما يقعان تحت الحس والمشاهد، وقد أضفى الشعراء في تلك الفترة في قسم من شعرهم الصورة الإنسانية على الطبيعة، فجاؤوا بصور كثيرة للإنسان في أحوال مختلفات، ووصف القسطلي الربيع بأنه عام، شامل، فجاء بتعبير «لبست» وبين أن الروض مزهر فية ألوان كثيرة، فعبر عن ذلك بقوله: «وقلد... وشحا»، والملامح الإنسانية واضحة، لأن اللبس، وتقلد الوشاح هي من خصائص

(١) القسطلي، ديوانه، ٤١٧، ٤١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقدم الإنسان وتفوقه، يقول:

والأرض قـد لَبِسَتْ أثْوابَ زَهْرَتِها وَقَلَّدَ الرَّوْضُ من أزهارِهِ وُشُحـا [١]

وبين الطليق المرواني أن الغمام عاشق من طراز خاص، والرعد فيه صفات العاشقين، من حرقة واشتكاء، والبرق يتشكل في الغيوم، فهو جوى العاشق، والحيا نتيجة لهذه الصورة كلها، وهي جريان الدموع، وواضح أن كل ما سيذكر من العشق، والحرقة، والدموع، من خصائص الإنسان غالباً، ومنها قوله: فكأنَّ الْغَمـامَ صَـبٌّ عميـدٌ أن بـالرَّعْـدِ حـرَقَةً واشـتكاءَ

وكـأنَّ البروقَ نـارُ جـواهُ والحيـا دمْعُهُ يسـيلُ بكاءَ [٢]

ويعبر محمد بن شخيص عن ظاهرة الطل كأنها دموع على خدود الحسناوات، وأما الأقحوان فكأنه ثغور الفتيات العذراوات من شدة الاحمرار، وستتضح الملامح الإنسانية عن طريق الدموع، والثغور، فقال:

كـأنَّ انتثار الطَلِّ في الوَرْدِ أدْمُعٌ تَبَدّى على زَهْرِ الخُدودِ انتثارُها

كـأن جَنِيَّ الأقحـوان بِرَوْضِها ثُغورُ العـذارى حـين راق ائْتِغارُها [٣]

وعاين عبادة بن ماء السماء، أبو بكر، النَّوْر الذي يسقط الطل منه، كأنه عاشق تتساقط الدموع دون إرادة منه، وستتضح الصورة الإنسانية عن طريق تصوير أبرز ما يتميز العاشق به، وهو الدموع الغزيرات، يقول:

وَجُفـون النَّوْرِ تهمـي بالبُكا كجفـون الصَّبِّ من فَقْدِ الْجَلَدْ [٤]

مما تقدم يبدو أن الطبيعة كانت محبذة للشاعر الأندلسي مما دفعه أن يستخدم اللغة الاستعارية التي تختص بالإنسان في أحواله كلها، سيداً، وعاشقاً، وجميلاً، فأخذ من الصفات التي تختص بالإنسان أبرزها، وأقواها، كما أضفى أحاسيس الإنسان على الطبيعة في سلسلة من المشاعر غير المحدودة.

وبالمقابل، فإن الشعراء في تلك الفترة وصفوا الإنسان وشبهوه بمشاهد من الطبيعة، التقطوها بعناية وذكاء لخدمة العمل الفني، فقد لاحظ القسطلي وفود الناس جماعات على المنصور، لقضاء حاجاتهم، كأنهم أسراب الطير الظمأى التي ترد نبع الماء، وستتضح مشاهد الطبيعة في اقتناص الشاعر مشهد الطيور والماء، يقول:

---

(١) القسطلي، ديوانه، ٤٠١ .

(٢) ابن الكتاني، التشبيهات، ٣٩، ٤٠ . ابن الأبار، الحلة السيراء، ١ / ٢٢٤ .

(٣) ابن الكتاني، التشبيهات، ٥٨ .

(٤) الحميري، البديع في وصف الربيع، ١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حَضَروا الإذن الـــذي عَـــوَّدْتَهُمْ كظمـــاء الطيرِ أســراباً تَرِدْ [١]

وشبه علي بن أبي الحسين خد الحسناء بشروق الشمس، وبين أثرها في الناظرين إليها، بأن نفوسهم تبتهج، ، وتنتعش، فعبر بكلمة تشرق، وشبه خد الحسناء كذلك بالأقاحي، والسوسان، والورد، يقول:

وَخَدٌّ شُروقُ الشمسِ في صفحاتِهِ فما قابَلَتْ من مُهْجَةٍ فهي تُشرِقُ

حكـى مرتعـاً في كُلِّ حينٍ فنورُهُ أقاحٍ وســوسانٌ ووَرْدٌ مُنَمَّقُ [٢]

وعبر يحيى بن هذيل عن إعجابه بالممدوح، لأنه قطع رؤوساً بشرية كثيره كأنها طائر النغر فوق قمم التلال، يقول:

تَرى رؤوسهُم عليـــك كـــأنَّها نُغَرٌ تَوافَتْ فــوق روس تِلالِ [٣]

مما تقدم يظهر أن الشاعر الأندلسي شبه الإنسان، أو الحدث بمظاهر من الطبيعة التي تحيط به لرفع مكانة الإنسان أو خفضه، والتقليل من الحدث أو جعله مروعاً في النفوس، والطبيعة ملأى بالنباتات والحيوانات التي تحمل صفات وخصائص شتى لا يعوز الإنسان أن يلتقط منها ما يعادل المعنى لديه، وعلى الجملة، فإن الطبيعة الأندلسية جميلة وغنية بنتاجها، ولا بد أن ينعكس ذلك على نفسية الإنسان، ومزاجه، ونظرته إلى الحياة، وإذا كان لي من كلمة أخيرة بصدد الطبيعة، فإنني أعني بها ما لا علاقة للإنسان بوجوده، أو توجيهه.

لقد تنوعت الصور الشعرية في تلك المرحلة، فلم تأت على وتيرة واحدة، فمنها: الصورة الحسية، والمعنوية، والحركية، والمقيدة، واللونية، والصوتية، وقد التقط الشعراء صورهم الشعرية من الواقع المحسوس في جانب من نتاجهم الشعري، لأنه أقرب مأخذاً، وأصدق بياناً، وأجلى صورة، فقد عرض القسطلي لفعل كتائب المنصور بديار الكفر، وما أحدثت من تغيير معالمها، كعملية محو الكتاب، أي إزالة الأثر كاملاً، يقول:

بكتائبٍ عَزَّتْ بهـا سُبُلُ الهُـدى ومَحَتْ رُسومَ الكُفْرِ مَحْوَ كِتابِ [٤]

ويشبه يحيى بن هذيل الناعورة بالثدي الذي يتغذى من النهر عميق الغور، فقال:

---

(١) القسطلي، ديوانه ، ٣٧١ .

(٢) ابن الكتاني ، التشبيهات، ١٣٠ .

(٣) نفسه ، ٢٠٨ .

(٤) ابن درّاج ديوانه، ١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فَمَـدَّتْ إلـــى أرضهـــا ثـــدْيَها مع السُّدِّ فهـــو الـذي يرشُفُ [١]

ووضح الرمادي وقع الفراق الشديد على حشاه، وقلبه عند تذكره مشهد الترحال، بأنه كالورقات الذابلة التي تكاد تسقط، يقول:

تَوَلَّتْ بهـم يـوم الْفِراقِ مَطِيُّهُمْ بأعْجَلَ مـن خَفْقِ الفُؤادِ وأسْرَعِ

كـأنَّ الحَشـا والقـلبَ عنـد تَذَكُّري لهـم وَرَقاتٌ في قضيب مُزَعْزَعِ [٢]

ويبين الشاعر نفسه أيضاً أثر تحلية الحصان باللجام الجميل، فيجعله شديد الاعتداد بنفسه، كالملك الذي يضع الإكليل، فقال:

يُزهـى بتحلـية اللِّجامِ كـما زَهى مَلِكٌ مُحَلّى الرأسِ بالإكليلِ [٣]

وصور شعراء المنصور أيضاً الناحية المعنوية التي لا يمكن أن تشغل حيزاً مكانياً، وكان الغرض منها، بيان الوضع النفسي للمدوح أو المهجو، علواً وانخفاضاً، قوة وضعفاً، اعتزازاً واحتقاراً، وقد بين القسطلي مبلغ التفوق الذي حققه المنصور، فذكر ارتداءه الجلال نتيجة للنصر الذي أحرزه، ولبسه تاج البهاء مكافأة للصبر الذي تحلى به، في صورة معنوية مركبة، يقول:

وألْبَسَـــهُ النَّـــصْرُ ثَـوْبَ الجَـلالِ وتَـوَّجَهُ الصَّبْرُ تـاج البـهاءِ [٤]

وعبر الشاعر نفسه عما وصل الإفرنج إليه من سقوط وانحدار، فعبر عن ذلك بالذل، وبين رجاءهم الباقي فعبر عنه بالأمن، يقول:

أَلْقَوْا إليكَ بأيدي الذُّلِّ فاعتقدوا عهداً من الأمن محفوظاً له الذِّمَمُ [٥]

ويصرح الشاعر نفسه عن تعلقه بالنعيم الذي سببه المنصور، ويستخدم كلمه رضاً، فقال:

لَعَلَّ رِضـــاك يـــا «منصـورُ» يـوماً يَحِلُّ بســاحَتي عَمّا قليـلُ [٦]

ويذم عبادة بن ماء السماء قِصَر صاحبه، فيعبر عن ذلك بأنه كوصل المعشوق، وهي فترة زمنية قصيرة جداً مهما طالت، لأن عامل الزمن يلغى تماماً، فقال:

---

(١) ابن الكتاني ، التشبيهات ، ٨٣ .

(٢) نفسه ، ١٥٠ .

(٣) ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، ٣١٤ .

(٤) القسطلي، ديوانه، ١٢٣ .

(٥) نفسه، ٤٠٣ .

(٦) نفسه، ٥٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَصـاحِبٍ لـي كـأن قامَتَهُ أقصـر مـن يـوم وصل معشوقِ [١]

وعبر شعراء تلك الفترة أيضاً عن الحركة، بوساطة الأفعال ومشتقاتها، وكانت الحركة زاخرة في العمل الفني الشعري في تلك المرحلة، فنحس عند قراءة الأبيات أننا ننتقل من مشهد إلى مشهد، وكأننا أمام عمل سينمائي كلف جهداً ومالاً كثيراً، فقد بين القسطلي قدوم الوفد الإفرنجي للتفاوض مع المنصور، فعبر بـ «توافوا»، وكان مجيئهم مبكراً فعبر عن بدء طلوع الشمس في الأفق بقوله: «رُفِّعَتْ»، يقول:

ولَـمّـا تـوافَوْا لِلسَّـلامِ وَرُفِّعَتْ عن الشَّمْسِ في أُفْقِ الشُّروقِ سُتورُ [٢]

ويكشف يحيى بن هذيل عن امتلاء التلاع بالمياه، بالفعل ملأ، وتدفقها القوي بالفعل «أقبلت» وصور قوة الماء واندفاعه كأنه هجوم حيات حاقدة، ويرد تعبير «هجمات» التي مفردها هجمة، وهي جمع لاسم المرة دليل تكرار فعل الهجوم، فقال:

مَـلأَ التِّلاعَ فـأَقْبَلَتْ وكـأنها هجمـاتُ حَيّـاتٍ ذَواتِ حُقودِ [٣]

ويصور يحيى بن هذيل القصور في الأندلس بأنها هادئة، ومتقنة، حتى إن أي حديث مهما يخف يسمع فيها، فيعبر عن ذلك بالفعل «تبوح»، ويرسم صورة تلك القصور كأنها وشاة لديهم الرغبة الكاملة في نقل الأحاديث، ويعبر بالمصدر «تنقيل»، فقال:

تَبوحُ بأسرارِ الحـديثِ كـأنها وشـاةٌ بتَنْقيل الأحـاديث تـولَعُ [٤]

ويكشف محمد بن الحسين الطبني عن عظيم هيبة الممدوح بما يلقي في قلوب أعدائه من ذعر، ويتجلى ذلك في الصورة الحركية التي يوردها في عمله الفني، ويعبر بالأفعال التالية: سرى، أوجف، عاذ، والمشتقات التالية: الخوف، عجال، راكضة، التأمين، فقال:

سَرى الْخَوْفُ فيهم والرجاءُ فأَوْجَفوا عِجالَ نفوسٍ فـوق راكِضَةِ عُجْلِ

وعـاذوا لمـا عـاذ الحـمامُ بمكةٍ وَفَرْعُكَ في التأمين من ذلك الأصْلِ [٥]

وقد وردت الصورة المقيدة في شعر تلك الفترة، أي الصورة التي لا حركة فيها، أو فيها حركة، لكنها بطيئة، ثقيلة، فكأنها تراوح مكانها لعلة ما، وقد لفت انتباه سعيد بن العاصي ثبات النجوم ليلاً في

---

(١) ابن الكتاني، التشبيهات، ٢٤٨ .

(٢) القسطلي، ديوانه، ٣٠٢ .

(٣) ابن الكتاني، التشبيهات، ٦٦ .

(٤) نفسه، ٧٧ .

(٥) نفسه، ٢١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السماء عن طريق العمل الفني، للدلالة على أن الليل أبدي، يقول:

كأنَّ نُجومَ الليلِ قَيَّدَها الدُّجى وأوقَفَها في مَوْضعٍ لا تَريمُهُ (١)

ويلاحظ الرمادي حركة المرأة ذات الأرداف الثقيلة، بأنها تقارب الصفر، فهي كأنها ترسف في القيود الثقيلة، والقيد مادي هنا، فقال:

وكانت على خَوْفٍ فَوَلَّتْ كأنَّها من الرِّدْفِ في قَيْدِ الخَلاخِلِ تَرْسُفُ (٢)

ويعبر الشاعر نفسه عن القيد الذي يحول دون الضمّ الكامل، لأن المحبوبة تضم على نهديها، فيصبح العناق صعباً، لأنها تشبه السجين المقيد، والقيد هنا إرادي، فقال:

وَضَمَّتْ على رُمّانَتَيْها كأنّما تعانقني كَفّا أسيرٍ مُكَنَّعِ (٣)

ووقف يحيى بن هذيل على عموم ظاهرة الشيب في رأسه حتى أنه كافتراق المسافرين الأبدي في صحراء واسعة لم يخرجوا من إطارها إلا ليعودوا فيها، والقيد قسري هنا، لأن بعض الشعر الأسود النادر نشاز خلال الشعر الأشيب الكثيف، يقول:

أو كافتراق السَّفْرِ في ديمومَةٍ لم يخرجوا من قفرها تأويبا (٤)

وبرزت مسألة اللون في الشعر، وأكثر الألوان ظهوراً في شعر تلك الفترة، هي: الأبيض، الأسود، الأصفر، الأحمر، وقد استخدم القسطلي اللون الأبيض في تعبيره «لبيض أياديك»، كناية عن العطاء النقي الذي لا تشوبه شائبة، وبين استمرار العطاء الخالص الذي يضارع لون الضياء النوراني الذي يميل إلى الاصفرار، يقول:

لبيضِ أياديكِ في الصالحاتِ تَمَسَّكُ وجْهُ الضُّحى بالضِّياءِ (٥)

ويوضح عبد السلام بن عبدالله بن زياد اللخمي القرطبي لحوق الإذلال والأذى، بمن يشتغلون في الصناعة، فيرسم صورة للعدو الذي يخسر المعركة، بما يعلو وجوههم من غبره، وواضح أن اللون هو الأحمر، فقال :

يكسو الغبارُ وجوهَ الصانعين كما يكسو وجوهَ العِدا يومُ الوغى غَبَرَهْ (٦)

---

(١) ابن الكتاني، التشبيهات ، ١٥٥ .

(٢) ابن خاقان، مطمح الأنفس ، ٣٢٠ .

(٣) ابن الكتاني ، التشبيهات ، ١٤٤ .

(٤) نفسه ، ٢٥٦ .

(٥) القسطلي، ديوانه، ١٢١ .

(٦) ابن الكتاني، التشبيهات ، ٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويجتمع اللونان الأسود والأحمر في التعبير الشعري لدى يحيى بن هذيل حين يمتدح لابسي نسج الحديد، وهم يأخذون مواقعهم من وسيلة الحرب الدروع ذات اللون الأسود، بأنهم يشبهون الأسود ذات اللون الأغبر، فقال:

ترى لابسي نسج الحديد كأنهم وراء الدروع السودِ غُبرُ الضَّراغِمِ (١)

ومدح الرمادي من خلال عرضه لسواد شعر محبوبته، قبوله النفسي لحلول الليل الحالك السواد، بجامع اتفاقهما في اللون، وهو شدة السواد، يقول:

فلما أن رأيتُ الليلَ شِبْهاً لِلِمَّتِهِ رضيتُ عن الليالي (٢)

وتعرض شعراء المنصور أيضاً للأصوات المتنوعة التي تختلف مصادرها وبواعثها، فقد صور القسطلي الصوت الذي ينبعث من القوس ذي الأوتار في طلب الثأر، بأنها حنانة، والاسم دال على الصوت، يقول:

وَحَنَّانَةِ الأوتارِ في كُلِّ مُهْجَةٍ لعاصيكَ أوتارٌ لها وَذُحولُ (٣)

ويعلم الشاعر نفسه عن سرعة تلبية داعي الجهاد من قبل ولدي المنصور، فيعبر عن ذلك بـ «استصرخ الإسلام» ، فقال:

ولما استصرخَ الإسلامُ طاعًا إلى العاداتِ منك مُلَبِّينِ (٤)

وبين زيادة الله بن علي الطبني أثر تغريد الطيور في إثارة لواعج الحزن عنده، فكأنها تعلمها علية بنت زرياب، وعبر الشاعر عن الصوت، بقوله: مغردة، يقول:

أدْنَتْ إليَّ صبابتي مُغَرِّدَةً أذْكى الجوى بين أضلاعي تَرَنُّمُها

كأنَّما مكَنَتْ في عُشِّها زمناً عَلِيَّةُ بنتُ زِرْيابٍ تُعَلِّمُها (٥)

ويجمع صاعد اللغوي في بيت شعري واحد أكثر من صوت، فيصف الإبريق بأنه يقهقه منه، ويبكي الإبريق نفسه حين يرى رعشة رجله، فقال:

قهقَهَ الإبريقُ مني ضَحِكاً ورأى رِعْشَةَ رجلي فبكى (٦)

(١) ابن الكتاني ، التشبيهات ، ١٩٨ .

(٢) نفسه ، ١٢٢ .

(٣) القسطلي، ديوانه ، ٧ .

(٤) نفسه ، ٣٧٣ .

(٥) ابن الكتاني، التشبيهات، ٦٤ .

(٦) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق٤ ج١ / ٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مما تقدم يظهر أن الصورة الحسية هي الأكثر رسوخاً في أذهان المتلقين، لأنها تقع تحت المشاهد، والصورة المعنوية، هي ولوج إلى عقل الحاكم وقلبه وحاشيته لتوضيح شخصياتهم الفاعلة، والقيم التي يؤمنون بها، والصورة الحركية، هي تنويع في الصورة، وليس اقتصاراً على مشهد واحد مل يبعث الركود والاشمئزاز، والصورة المقيدة، فيها سكون واستلاب لعنصر الحركة، ووقوع داخل إسار ما ينفك منه الشخص، والصورة اللونية، هي صبغ للإنسان والأشياء بألوانها التي تشي بدلالات مختلفه، منها ما يبعث على الراحة، ومنها ما يبعث على القلق والضيق، والصورة الصوتية، هي التي تحمل دلالة الفرح، أو الطرب، أو الخوف، أو الإزعاج.

وقبل الانتهاء من الصورة أرى من الضروري أن أتحدث عن الوهم والرسم فيها، فقد بنى بعض الشعراء في عدد من صورهم علاقات لا رابط بينها، وحين تكون الصورة على هذا المستوى يطلق عليها الوهم، وقد وصف القسطلي البهار، فوقع في الوهم حين أقام الصورة على الزمرد وناتجه الذهب والفضة، فالزمرد لا يمكن أن يورق، لأنه جماد ليس فيه قابلية الحياة، فضلاً عن استحالة إثماره الذهب والفضة، يقول:

غُصونُ الزُّمُرُّدِ قد أورَقَتْ لنا فِضَّةً نَوَّرَتْ بالذَّهَبْ (١)

ويقع في الوهم عبادة بن ماء السماء حين بنى الصورة على أساس خاطيء، يقوم على أن السماء قبة من زمرد، مثبتة بمسامر من عقيق، فقال:

كأنَّ السَّماءَ قُبَّةٌ من زُمُرُّدٍ وفيها الدَّراري من عقيق مسامِرُ (٢)

ووقع الطليق المرواني في الوهم حين ربط بين الخمر والذهب السائل، فلا توجد علاقة إطلاقاً بين الخمر والذهب الذائب، فالخمر سبب في النشوة عند من يعاقرونها، أما شرب الذهب الذائب، فسبب في الموت المحقق، يقول:

ما جارَ إذ سقاكَ من كفهِ في جامد الفضة ذوبَ الذَّهَبْ (٣)

ووردت بعض الأبيات الشعرية ساكنة كما لو كانت لوحات لرسّام، فيستطيع فنان حاذق أن يرسم لوحات فنية لمثل هذه الصور، فقد شبه علي بن أبي الحسين القتلى كأنهم شاربو الخمر، وقد أثرت فيهم، فهم ممددون على بسط حمراء، ولا يصدر عنهم أقل حركة، يقول:

---

(١) الحميري، البديع في وصف الربيع، ٥١ .

(٢) ابن الكتاني، التشبيهات ، ٢٧ .

(٣) المقري، نفح الطيب، ٥ / ١٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكـــأن الصَّرعـــى نشـــاوى مُدامٍ في نِخاخ حُمْرٍ مـــن الديباج [١]

ويرسم سعيد بن محمد، أبو عثمان صورة للمحاق، بأنه كالزورق قد غرق معظمه في السماء الزرقاء، وبقي جزء يسير منه ظاهراً.

والبَـدْرُ فـــي جَوِّ السَّـماءِ قد انطوى طـرفاهُ حتـى عـــادَ مثـل الزورقِ
فتـراهُ مـــن تحـــت المُحاقِ كأنَّهُ غَرِقَ الكثير منه وبعضه لم يَغْرَقِ [٢]

يتضح مما سبق أن الوهم هو إعطاء الجمادات صفات الكائنات الحية من إنسان وحيوان ونبات، وهذا غير معقول، لأن الحديد لا يمكن أن يشبه غصن البرتقال الذي يحمل الرواء والأوراق واللون والثمار، وأما الرسم، فإن الشاعر أقرب ما يكون فيه إلى الرسام الذي يحمل قلماً ويرسم، لأن الصورة ثابتة ليس فيها أدنى حركة، والفرق بينها وبين الصورة المتحركة، هو الفرق بين تمثال لحصان يأخذ وضعاً معيناً، وحصان جامح يثير الأرض بسرعته، ووقع أقدامه.

هـ ـ أثـر القـرآن والسـنة :

وكان القرآن النبع الثر الذي اغترف الشعراء منه، فقد تحدى العرب أهل الفصاحة والبيان أن يأتوا بمثله، ولكنهم عجزوا، وقد وظف شعراء المنصور القرآن الكريم في عملهم الشعري، مما يدل على اتصال دائم معه، واستيعاب عميق له، ولمعانيه، ومن أمثلة ذلك أن يحيى بن هذيل أحسن في وصف الدرع التي تشتعل كنار إبراهيم [٣]، ولكنها سلبت خاصية الإحراق، فقال:

وتُشْفِقُ الدِّرعُ أن تنسابَ خائِفَةً منـه علـيه فقـد حادت مـن الحَذَرِ
كـأنما نـارُ إبراهيـم بـاقيةٌ فيها فإن صال لم تَحْرِق ولـم تَضِرِ [٤]

ووضح علي بن أبي الحسين قدر الممدوحين حتى إنه استقبلهم، وهو الشامخ المتكبر، فقد خر كجبل موسى عليه السلام [٥]، فقال:

---

(١) ابن الكتاني، التشبيهات ، ١٩٣ .

(٢) ابن الكتاني ، التشبيهات، ٢٧ . ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب ، ١ / ١٩٨. المقري ، نفح الطيب، ٥ / ١٣٠ .

(٣) الأنبياء : ٦٩ .

(٤) ابن الكتاني، التشبيهات ، ٢٠٧ .

(٥) الأعراف : ١٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَحُدِّثَ عــن أقدارِهِمْ فهــوى لهــا إلــى الأرض وهــو الشامخُ المتكبرُ
كموسى رأى البرهان في الجبل الذي تَصَــدَّعَ لمــا أن تَجَلّــى الْمُصَوَّرُ [١]

ويكرر محمد بن شخيص الاستشهاد بصورة موسى عليه السلام [٢]، في معرض بيان رهبة الممدوح من قبل الحاضرين، لولا البشر الذي يبدو على محياه، فقال:

إذا جَلَتْ لِلْوَرى الوجه الذي حَسدت حَبُّ القُلوبِ عليــه نــاظِرَ الْمُقَلِ
أغْضَوْا ولــولا تلالــي بشرِهِ لَحكَوْا موسى أوان تَجَلّى النّورُ لِلْجَبَلِ [٣]

ويستخدم عبدالله بن عبد العزيز الريح الحسوم المهلكه [٤]، حين يعبر عن عدم قدرته على الاقتراب من مكة لغضب الممدوح، وقوة هيبته، فقال:

إذا خِلْتُ أن العفوَ منك مُصابحي فَأصبَحُ مَغْبــوطــاً وتصــلحُ حالِيَهْ
أتــاح امرءاً لا يبقى الله في امرئٍ فَأطْلَــقَ فينــا قــالةً نابيــه
فَأصبَحْــتُ كــالراجي الحيــاة بمكةٍ إذا مــا دنــا أنّاتُهُ ريــحُ ثمانِيَهْ [٥]

ويشبه محمد بن الحسين الطبني دهاء الممدوح في التعامل مع أعدائه، بقدرة سليمان عليه السلام في مخاطبة النمل [٦]، فقال:

لعــاداك أقــوامٌ فضرّوا نفوسَــهم كَضُرِّ النبيِّ أبــا جَهْلِ
كأنّكَ قد أيّدْت في فهم كَيْدِهِمْ بفهــم ســليمان النبي عن النملِ [٧]

ويحسن القسطلي التصرف في جزء من سورة الفلق حين يوظف آية منها [٨] للإشارة إلى حساده، ويوظف آية أخرى [٩]، لبيان جور الزمان عليه حتى إنه أصبح يعيش في ظلام دامس، فقال:

---

(١) ابن الكتاني، التشبيهات ، ٢١٤ .
(٢) الأعراف : ١٤٣ .
(٣) ابن الكتاني ، التشبيهات، ٢١٤ .
(٤) الحاقة : ٧ .
(٥) ابن الكتاني ، التشبيهات ، ٢١٧ .
(٦) النمل : ١٨ .
(٧) ابن الكتاني ، التشبيهات ٢٦٣ .
(٨) الفلق : ٥ .
(٩) نفسه : ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من شرِّ تَشْغيبِ حُسّادي إذا حَسَدوا وَشرِّ غاسِقِ أيامي إذا وَقَبا [١]

وتأثر الشاعر نفسه بالآية الكريمة التي تصف حيرة الرسول صلى الله عليه وسلم إزاء التوجه إلى القبلة[٢]، وأضاف اللفظة وكفيا، يقول:

فَقوما إلى ربِّ السَّماء فأسْعِدا تَقَلُّبَ وَجْهي في السَّماءِ وَكَفَّيا [٣]

وصور الشاعر نفسه أيضاً الجزاء الأخروي الذي ينتظر المنصور بسبب رفعه راية الدين، بدخوله جنات عدن [٤]، فقال :

وَضَرَبْتَ بِحزْب الله في الأرضِ مُقدِماً إلى مَتجَرٍ جَنّات عدنٍ له رِبْحُ [٥]

وعرض بعض الشعراء في تلك الفترة للشعائر التعبدية في الإسلام التي وضحها الرسول صلى الله عليه وسلم، واستخدمها الشعراء توظيفاً لها في أغراضهم الشعرية المختلفة، فقد عرض الرمادي لبعض شعائر الحج، مثل: رمي الجمار، والطواف حول الكعبة، ولكن سخرها في علاقته بأطلال محبوبته حين أدى بعض المناسك احتراماً لها، وتقديساً لمكانتها في قلبه، يقول:

وَقَفْتُ على الدار الخَلاءِ كأنني وَقَفْتُ على قَلْبٍ من الصَّبْرِ بَلْقَع

رَمَيْتُ جمارَ الدَّمع في مَوْقِف النَّوى وقد طفتُ أسباعاً برسمٍ وأربُع [٦]

ويوظف أبو مروان الطبني الركوع والسجود في الصلاة لتوضيح ما يلحق الحذلي من ضرب مبرح، وخضوع كامل، فقال:

إن طالَ منهُ سجودُهُ فَلَقدْ طال لغير السُّجودِ ما رَكَعا [٧]

ويوضح عبادة بن ماء السماء المكابدة في الأرض الفسيحة التي تشكل ملعباً للريح، فيوظف الكعبة في الحج حين يعرض للأماكن البارزة في تلك الصحراء ويعرض لحكم من يجتاز تلك الصحراء بأن له رخصة الإفطار في رمضان، فقال:

---

(١) القسطلي، ديوانه ٣٦٧ .

(٢) البقرة : ١٤٤ .

(٣) القسطلي ، ديوانه ، ١٨١ .

(٤) البينة : ٩ .

(٥) القسطلي، ديوانه ، ٣٨٨ .

(٦) ابن الكتاني ، التشبيهات ، ١٦٠.

(٧) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق١ ج١ / ٥٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بَسَطت لنا خَرقاء كالأفقِ وُصِّلَتْ بـــخـــمـــــــــــــــس (.....)

يُقَبِّلُ رُكْنَ البيـت منـــها مُسَلِّمٌ ويصـــدرُ عنـها صـائمٌ وَهْوَ مُفْطِرُ

أَلَظَّتْ بهـا الأفواهُ حـتى كـأنها خـواتِمُ فيهـا أو عليهـا تُقَدَّرُ [١]

وتأثر القسطلي بالسنة القولية لمحمد صلى الله عليه وسلم الذي أكد أن لكل ملك حمى، وأن حمى الله محارمه [٢]، إلا أن الشاعر جمع الفضائل كلها للمنصور، يقول:

وأيُّ حياً في الشَّرْقِ والغَرْبِ للورَى وأيُّ حِمىً للملكِ والدِّين والدنيا [٣]

وهكذا يظهر أن الشعراء تأثروا بمصدري الثقافة الإسلامية : القرآن، والسنة، لاتصالهما بالثقافة العربية أشد الاتصال، ولأنهما ميدان نشاط العلماء والطلاب في المشرق والمغرب، ولم يكن الشعراء غائبين عن تأثير هذه الثقافة، بل عكسوا فهمهم للقرآن والسنة في عملهم الفني الإبداعي.

(١) ابن الكتاني، التشبيهات ، ٢٧١ .

(٢) التبريزي، محمد بن عبد الله، مشكاة المصابيح، تحقيق وتعليق ، سعيد محمد اللحام، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر، ١٩٩١، رقم ٢٧٦٢ ، ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٣) القسطلي، ديوانه، ١٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

وبعد ، فإنه بعد الانتهاء من هذا البحث تبين لي أن الحركة الشعرية في ظل المنصور بن أبي عامر قد ازدهرت، فقد رعى الشعراء وتعهدهم عن طريق إنشاء ديوان زمام الشعراء الذي هو فرع من ديوان العطاء، وكان الشعراء مرتبين فيه حسب مراتبهم، وما يتبع ذلك من مخصصات مالية حسب التصنيف الديواني، وكان الإعلام الأساس في توجه الشعراء واهتمامهم، لأن شخصية المنصور هي الغلابة في الحياة السياسية في الأندلس، وكان الشعراء بمثابة رجال الإعلام الذين يغطون أخبار الدولة، لا سيما أنهم كانوا يصحبون المنصور في حله وترحاله، وكان دورهم توجيه الرأي العام، وضمان سلوكه الإيجابي تجاه المنصور ودولته عن طريق الزخم الفكري الذي كانوا يطالعون الناس به صباح مساء، وقد لجأ المنصور إلى هذا الأسلوب، لأن الشعر كان الوسيلة الأقوى لتثبيت نفسه في السلطة، لأنه وصل الحكم بالقوة، متجاوزاً أصحابه الشرعيين، وهم الأمويون أصحاب الحق الشرعي الثابت في نفوس الناس، ولرسم صورة زاهية في نفوس الناس المعاصرين واللاحقين لدولة العامريين عن طريق التغني بانتصارات المنصور على الأعداء، وإملاء الشروط عليهم، وتصوير الجيش على أنه الدرع الأمين لحماية الناس والأمة، وساعدهم في ذلك أن الأندلسيين مرتبطون أيما ارتباط بالأصل العربي، والعقيدة الإسلامية، مستعدون لبذل التضحيات من أجل الدفاع عن هذين العنصرين، وبإيجاز شديد، فإن الشعراء أدركوا، من هو المنصور؟ ، وفلسفة حكمه، والنظام الذي ينبثق عنه، فحاولوا جهدهم بيان ذلك كله، حتى يتقبل ا لناس الوضع السياسي القائم في ذلك الوقت، فلا يحدث هناك انفصام بين السلطة والشعب، أو لا يحدث هناك اتفاق شعبي ضد السلطة، لذلك لجأ الشعراء إلى استرضاء مشاعر الناس وميولهم .

ولم يضمن المنصور الولاء من الشعراء جميعهم، فقد خرج بعضهم على سياسته عن طريق المعارضة التي تهاجم شخصه وحاشيته في أسلوب ساخر، والسبب في المعارضة هو عدم الرضا عن طريقة وصوله إلى الحكم، وحنين متقد إلى الأمويين، وعدم الرضا عن سياسته، وهذا أمر طبيعي، لأن العقول والأمزجة ليست على وتيرة واحدة، إذ يصعب وجود شعب موالٍ بفئاته كلها في أي زمان، وعلى أية بقعة من الأرض، لا سيما في ظل أنظمة الحكم الفردي، وكان ذلك سبباً في دخولهم السجون التي عبروا بمرارة عنها، مكاناً وعلاقات ووجهات نظر فيها، وكانت مشكلة أولئك السجناء أنهم لا يوجد عندهم ضمانات في المحاكمة، وتنفيذ العقوبة ، مما أفضى إلى إحساسهم بالضياع، والقلق الشديد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتطرق الشعراء في تلك الفترة إلى الطبيعة الأندلسية، هذه البيئة الجديدة في نتاجهم الأدبي الذي يختص بالأدب العربي، وكانوا يقارنون بين البيئة الأولى الصحراوية، الجدباء، القاسية، التي تسفي الرمال، وتأتي على الحياة بسبب عدم وجود الحد الأدنى من شروط الحياة الملائمة، لقسوة الطبيعة قسوة غير عادية، فهي فقيرة جداً في مواردها، وأقوى من صور شظف العيش في الحياة العربية ابن خلدون في مقدمته، والبيئة الجديدة التي تتفجر فيها الحياة على صورة ينابيع وأنهار، وما يستتبع ذلك من نبات مختلف ألوانه، وأزهار متعددة الرائحة والعطر، وحيوان متنوع الأشكال والصور، وطيور تبعث البهجة في النفس، وهي تقفز من غصن إلى غصن، وتغني خلال المروج الخضراء للحياة، فتنازع الشعراء عاطفتان قويتان، حنين جارف إلى الأصول الأولى التي تضرب جذورها في المشرق، وانتماء حقيقي إلى الأندلس جنة الدنيا، لأن الماضي تاريخ وذكريات، وأما الحاضر والمستقبل فهما امتداد للماضي، وفيهما معنى الحياة، وما يتصل بها من نبض وحرارة.

وبين شعراء المنصور عواطفهم الجياشة والحبيسة على شكل أعمال إبداعية شعرية، وتناولوا قضايا الوجدان كلها، من غزل بأصنافه المختلفات، فكانوا يقصدون اللذة أحياناً في غزلهم الصريح، وكانوا يقلدون الأجداد في المشرق في مقدمتهم التقليدية، وكانوا يتعذبون لتذكرهم محبوباتهم اللاتي ظلوا أوفياء لهن رغم تطاول الزمن في جو من التمزق النفسي والهزال والعذاب الدائم، والعاطفة التي تتضرم لظى ونارا، وكان بعض الشعراء ينحرف أحياناً في ميلهم إلى جنسهم نفسه ميلاً شاذاً، قبيحاً، تأباه النفوس السوية، وعرضوا إلى الزهد الذي يرتفع على قضايا المادة ويتعلق بالروح، حتى يصاب الجسد بالهزال والروح بالتألق والشفافية، وفاضت دموعهم على من يتصلون بهم رثاء لهم، وتفجعاً عليهم، فضربوا المثل الأعلى في قوة العلاقات الاجتماعية ومصداقيتها، وتضايقوا لمفارقتهم الوطن، فبثوا لواعج صدورهم حنيناً واشتياقاً، إلى الأهل والولد والصديق، وليس هذا بمستغرب أن يصدر عنهم لأنهم أهل حضارة يألفون ويؤلفون .

وتهيأ للأندلسيين أن يعيشوا حياة المدنية بمفهوم متقدم، لذا لجأ الشعراء إلى الحديث عن مظاهر حياتهم الاجتماعية اليومية، فوقفوا عند الأطعمة والأشربة وقفة الذي تجرد من الهموم، والمقبل على الحياة وملذاتها بنهم متطرف، لأنهم شعب متحضر من ناحية، ولقوة الدولة العامرية في ذلك الزمان التي فرضت هيبتها وقوتها في نفوس الأعداء المتربصين بها، فلم يبق لهم دور يذكر في الحياة العامة، بل كان هناك دوران حول الذات، ورغباتها، وأهوائها، لأن أمورهم محلولة، وتحدثوا عن المظاهر الحضارية ، فوصفوا الأشياء التي ستبقى أثراً دالاً عليهم، كالقصور، والنواعير، وأدوات الثقافة، لأن أي شعب حي يسعى أن يترك آثاراً تدل على قوته العلمية والمادية والفنية، والأندلسيون أحسبهم كذلك حتى ينصفهم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التاريخ، وتعتبر الأجيال العربية القادمة بما كان عليه أجدادهم من تقدم ورقي .

وكان لهذا الشعر خصائص فنية هي نتاج الثقافة التي كونها الشعراء، والثقافة هي ما يبقى بعد أن ينسى كل شيء، والشعر جزء لا يتجزأ من الثقافة قاله الشعراء في ساعات مخاضهم الإبداعي، فظهر فيه طابع المشرق بشقيه القديم والحديث، كما ظهرت الخصوصية الأندلسية، وبرز التأثر بالثقافة الإسلامية واضحاً، وكانت دراستي للخصائص الفنية هي محاولة لتوضيح العناصر السابقة والكشف عنها، ولكن يبقى الفصل الدقيق بينها أمراً يكاد يكون مستحيلاً، متعذراً، لأنها من التشابك والامتزاج إذ يصعب تصنيف كل شاعر بخصائص محددة، فكثيراً ما كان الشاعر الواحد تتجلى عنده الصور السابقة كلها، كالرمادي، والقسطلي، ويحيى بن هذيل، لأن العمل الفني تفرض ثقافة الشاعر الكلية نفسها على عمله الإبداعي الأدبي، فهو تأثر غير إرادي يصدر عنه، وفي المحصلة حتمي محكوم بالقراءات والنظام المطبق في المجتمع ، والعلاقات الاجتماعية، وتوجهات الحاكم وميوله، أي النظام الاجتماعي برمته، ولا يمكن أن نتصور انفتاحاً عالمياً، واسعاً، مطلقاً، في الثقافة في عالم الأمس، كما هو في عالمنا اليوم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثبت المصادر

- ابن الأبار، أبو عبدالله، محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي، ت (٦٥٨هـ)

اعتاب الكتاب، حققه، وعلق عليه، وقدم له، الدكتور صالح الأشتر، الطبعة الأولى، دمشق، مجمع اللغة العربية، ١٩٦١م.

التكملة لكتاب الصلة، عني بنشره، وصححه، ووقف على طبعه، عزت العطار الحسيني، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٩٥٦م.

الحلة السيراء، حققه، وعلق حواشيه الدكتور حسين مؤنس، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٣م.

المقتضب من تحفة القادم، تحقيق، إبراهيم الأبياري، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الكتاب المصري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م.

- ابن الأثير، أبو الحسن، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، ت (٦٣٠هـ)

الكامل في التاريخ، عني بمراجعة أصوله، والتعليق عليه، نخبة من العلماء، الطبعة السادسة، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٦م.

- الأزدي، علي بن ظافر، ت (٦٢٣هـ)

بدائع البدائه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠م.

- الأصبهاني، محمد باقر الموسوي، ت (١٣١٣هـ).

روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، تحقيق أسد الله اسماعيليان، قم، مكتبة اسماعيليان، ١٣٩٠هـ.

- ابن بسّام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، ت (٥٤٢هـ).

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٩م.

- ابن بشكوال، أبو القاسم، خلف بن عبد الملك، ت (٥٧٨ هـ).

الصلة، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- البلاذري، أبو العباس، أحمد بن يحيى بن جابر، ت (٢٧٩هـ).

فتوح البلدان، حققه وعلق على حواشيه وأعد فهارسه وقدم له، الدكتور عبد الله أنيس الطباع، والدكتور عمر أنيس الطباع، بيروت، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، ١٩٨٧م.

- التبريزي، محمد بن عبدالله، ت (٧٤١هـ).

مشكاة المصابيح، تحقيق وتعليق، سعيد محمد اللحام، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٩٩١م.

- الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ت (٢٧٩هـ)

الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، تحقيق وتعليق، إبراهيم عطوه عوض، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

- الثعالبي، أبو منصور، عبد الملك النيسابوري، ت (٤٢٩هـ)

يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق، الدكتور مفيد محمد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م.

- الجهشياري، أبو عبدالله، محمد بن عبدوس، ت (٣٣١هـ)

كتاب الوزراء والكتاب، حققه ووضع فهارسه، مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، ط١، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٨٠م.

- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، القسطنطني، الرومي، ت (١٠١٧هـ)

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٢.

- ابن حزم ، علي بن أحمد بن سعيد، ت (٤٥٦هـ).

جمهرة أنساب العرب، راجع النسخة وضبط أعلامها، لجنة من العلماء بإشراف الناشر، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م.

رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق، الدكتور إحسان عباس، الطبعة الثانية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧م.

فضائل الأندلس وأهلها، نشرها وقدّم لها، الدكتور صلاح الدين المنجد، ط١، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٦٨م.

- الحميدي، أبو عبد الله، محمد بن أبي نصر، ت (٤٨٨هـ).

جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، حققه وقدم له ووضع فهارسه، إبراهيم الأبياري، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الحميري، أبو عبد الله، محمد بن عبد المنعم، ت (٩٠٠هـ)

الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه، الدكتور إحسان عباس، ط٢، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٤م.

- الحميري، أبو الوليد، اسماعيل بن عامر، ت (قريباً من ٤٤٠هـ)

البديع في وصف الربيع، اعتنى بنشره وتصحيحه، الأستاذ هنري بيريس، الرباط، المطبعة الاقتصادية، ١٩٤٠م.

- ابن حيان القرطبي، حيان بن خلف بن حسين، ت (٤٦٩هـ)

المقتبس، اعتنى بنشره ب شالميتا، بالتعاون لضبطه وتحقيقه مع ف كورنيطي، و م صبح وغيرهما، الجزء الخامس، مدريد، المعهد الإسباني العربي للثقافة، ١٩٧٩م.

المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٣م.

المقتبس من أنباء أهل الأندلس، حققه، وقدم له، وعلق عليه، الدكتور محمود علي مكي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٣

- ابن خاقان، أبو نصر، الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي، الإشبيلي، ت (٥٢٩هـ)

قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، حققه، وعلق عليه، الدكتور حسين يوسف خريوش، الطبعة الأولى، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٩٨٩م.

مطمح الأنفس، ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، دراسة وتحقيق، محمد علي شوابكه، ط١، عمان دار عمار، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م.

- الخطيب البغدادي، أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت، ت (٤٦٣هـ) .

تاريخ بغداد، أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى ٤٦٣هـ ، بيروت، دار الكتاب العربي.

- الخطيب التبريزي، يحيى بن علي بن محمد الشيباني، ت (٥٠٢هـ) .

شرح القصائد العشر، تحقيق، الدكتور فخر الدين قباوه، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الآفاق، ١٩٧٩م.

- الخفّاجيّ، أحمد بن محمد بن عمر، ت (١٠٦٩هـ) .

ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، تحقيق، عبد الفتاح محمد الحلو، ط١، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٧م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن خلدون، أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ت (٨٠٨هـ)

المقدمة، ط٤، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧٨م.

- ابن خلكان، أبو العباس، شمس الدين، أحمد بن محمد بن أبي بكر، ت (٦٨١هـ)

وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، حققه، الدكتور إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨م.

- ابن دحية، عمر بن الحسن، ت (٦٣٣هـ) .

المطرب في أشعار أهل المغرب، حققه، مصطفى عوض الكريم، الخرطوم، مطبعة مصر، ١٩٥٤م.

- ابن درّاج ، أبو عمر، أحمد بن محمد، ت (٤٢١هـ) .

ديوانه، حققه، وعلق عليه، وقدم له، الدكتور محمود علي مكي، الطبعة الأولى، دمشق، منشورات المكتب الإسلامي، ١٩٦١م.

- الذهبي، أبو عبد الله، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان، ت (٧٤٨هـ) .

سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيق الكتاب، وخرج أحاديثه، شعيب الأرناؤوط، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م.

- السبكي، تاج الدين، أبو نصر، عبدالوهاب بن تقي الدين، ت (٧٧١هـ) .

طبقات الشافعية الكبرى، القاهرة، المطبعة الحسينية المصرية، ١٣٢٤هـ.

- ابن سعيد الأندلسي، نور الدين، أبو الحسن علي بن موسى، ت (٦٨٥هـ)

رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق، الدكتور النعمان عبد المتعال القاضي، القاهرة، مطابع الأهرام التجارية، ١٩٧٣م.

المرقصات والمطربات، القاهرة، دار حمد ومحيو، ١٩٧٣ .

المغرب في حلى المغرب، حققه وعلق عليه، الدكتور شوقي ضيف، ط٣، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠م.

- ابن سناء الملك، أبو القاسم، هبة الله بن جعفر، ت (٦٠٨هـ)

دار الطراز في عمل الموشحات، تحقيق، الدكتور جودت الركابي، ط٢، دمشق، دار الفكر، ١٩٧٧م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، ت (٩١١هـ).

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٨ م.

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، ت (٧٦٤هـ)

توشيع التوشيح، تحقيق، ألبير حبيب مطلق، ط١، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٦م.

- الصنهاجي، عبد الله بن بلقين بن باديس، ت (٤٨٣هـ)

مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب «التبيان»، تحقيق، إ - ليفي بروفنسال، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٥م.

- الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، ت (٥٩٩هـ)

بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.

- الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير، ت (٣١٠هـ)

تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م.

- ابن عاصم، أبو يحيى، محمد بن عاصم الغرناطي، ت (٨٥٧هـ)

جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، تحقيق، الدكتور صلاح جرّار، عمان، دار البشير، ١٩٨٩م.

- ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبدالله، محمد بن محمد الأنصاري، ت (١٣٠٣هـ)

الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٣م.

- ابن عِذارِي، محمد المَرّاكُشِي، ت (٦٩٥هـ).

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة، ج.س كولان، إ. ليفي بروفنسال، ط٣، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٣م.

- ابن فرحون المالكي، عبد الله بن محمد اليعمري، ت (٧٩٩هـ)

الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق، الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، دار التراث للطبع والنشر، ١٩٧م.

- ابن الفرضي، أبو الوليد، عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ، ت (٤٠٣هـ)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تاريخ علماء الأندلس، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.

- القفطي، أبو الحسن، جمال الدين علي بن يوسف، ت (٦٤٦هـ)

إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م.

المحمدون من الشعراء، حققه، وقدم له ووضع فهارسه، حسن معمري، الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٩٧٠م.

- ابن الكتاني، أبو عبد الله، محمد بن الكتاني الطبيب، ت (٤٢٠هـ)

كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق، الدكتور إحسان عباس، الطبعة الثانية، بيروت، دار الشروق، ١٩٨١م.

- كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، أبو المضرّب، ت (٢٦هـ)

ديوانه، شرح، صنعة الإمام أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٥٠.

- الكفوي، أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني، ت (١٠٩٤هـ)

الكليات، نقحه الدكتور عدنان الشاويش، ومحمد المصري، ط٢، دمشق، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٨٢م.

- لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبد الله، ت (٧٧٦هـ)

الإحاطة في أخبار غرناطة، حقق نصه، ووضع مقدمته وحواشيه، محمد عبد الله عنان، ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٤م.

تاريخ إسبانية الإسلامية، أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق، إ. ليفي بروفنسال، ط٢، بيروت، دار المكشوف، ١٩٥٦م.

- الماوردي، أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب، البصري، البغدادي، ت (٤٥٠هـ)

الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط٣، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٠م.

- المتنبي ، أحمد بن الحسين، ت (٣٥٤هـ)

ديوانه، فهرسه، وشرحه، أحمد عبود الخزرجي، بغداد، خطه، يحيى سلوم العباسي الخطاط، ١٩٨٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- المراكشي، عبد الواحد بن علي، ت (٦٤٧هـ)

المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ضبطه وصححه وعلق حواشيه،وأنشأ مقدمته، محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، ط١، القاهرة، مطبعة الاستقامة، ١٩٤٩م.

- المقري، أحمد بن محمد التلمساني، ت (١٠٤١هـ)

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، حققه، ووضع فهارسه، الأستاذ يوسف الشيخ محمد البقاعي، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٦م.

- ابن منظور الإفريقي، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم، ت (٧١١هـ).

لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٣٠٠هـ

- النابغة الذبياني، أبو أمامة، زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني، الغطفاني، المضري، ت (نحو ١٨ ق.هـ).

ديوانه، جمعه وشرحه وكمله، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الجزائر، الشركة التونسية للتوزيع، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٧٦م.

- النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن، ت (٧٩٢هـ).

تاريخ قضاة الأندلس، أو كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، نشر إ. ليفي بروفنسال، ط١، القاهرة، دار الكتاب المصري، ١٩٤٨م،

- أبو نواس، الحسن بن هاني، ت (١٩٨هـ) .

شرح ديوانه، وضبط معانيه، وشروحه وأكملها، إيليا حاوي، ط١، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة، ١٩٨٣م.

- النويري، شهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب، ت (٧٣٣هـ) .

نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ت.

- ياقوت بن عبد الله، أبو عبد الله، شهاب الدين، الرومي، الحموي، ت (٦٢٦هـ) .

معجم الأدباء، ط٣، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن المصادر المخطوطة

- مؤلف مجهول.

الدرر النثيرة في أخبار الجزيرة، رقم الميكروفيلم «٩٥٩»، صورة عن مخطوط في الخزانة الملكية بالرباط.

ومن المصادر المجهولة المؤلف

- مؤلف مجهول

نبذ تأريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى، منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر، اعتنى بنشرها، وتصحيحها، إ.لافي بروفنصال، الرباط، المطبعة الجديدة، ١٩٣٤م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراجـــع

- آنخل جنثالث بالنثيا.

تاريخ الفكر الأندلسي ، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٥.

- أحمد أمين.

ظهر الإسلام، جزء ٣، ط٥، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٥٣

- الدكتور خالد الصوفي

عصر المنصور الأندلسي، بيروت، دار الكتاب العربي.

- سيمون حايك

صبح البشكنسية أو الأندلس على عهد الحكم المستنصر والدولة العامرية، جوينه - لبنان، مطابع الكريم الحديثة، ١٩٧٦.

ومن المجلات

- سعيد أعراب.

المنصور بن ابي عامر، دعوة الحق، الرباط، العدد٢ ، ٢٢ إبريل، ١٩٨١، شهرية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

THE POETIC MOVEMENT UNDER THE PATRONAGE OF AL-MANSOUR BIN ABI AMIR

By: **Isam Abdul Majid Ahmed Al - Matrami**

Supervisor: **Dr. Salah Jarrar**

The present piece of research aimed at investigating the poetic movement during the reign of Al-Mansour Bin Abi Amer, whose name was mentioned in the sources as Abu Amer Muhammed Bin Abduallh Bin Abi Amer. He was born in Al-Jazira Al-Khadra' in Al-Andalus, and educated in Cordoba. Al-Mansour was distinguished scholar who dreamed of leadership at an early age of his life.

The thesis is divided into introduction and three chapters as follows:

Chapter One:

Al-Mansour established a poets' council, which embraced a large number of men of letters of the time, and were ranked according to their poetic proficiency. Establishing such a council was motivated by Al-Mansour's aim at providing legitimacy to his rule and to serve as a publicity tool.

Chapter Two:

Al-Mansour's state was based on illuminating the personality of Al-Mansour and his sons, the crown princes: Al-Muzaffar and Abdurrahman. In their panegyric poems, the poets of the time concentrated on both ethical and setup features of the man on the throne, Al-Mansour.

Al-Mansour put many poets in prison for various reasons, political, religious and for ordinary crimes. The poetic product of poets contained descriptions of the jail and appeals for the headman to set them free.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

The poets gave a description of the magnificent nature of Al-Andalus, whether silent or sonic. Some of the poets, on the other hand, were influenced by the inherited Arabic culture describing the desert, the camel and the miraj.

In fact, the psychological status and the feelings of the poets were obvious in the various aspects of the ghazal poetry (lyric poetry) in that period; namely, chaste ghazal, candid ghazal, pedophilia, and convential ghazal. They also provided some poems of elegy, asceticism (zuhd) and nostalgia, and home sickness. Although the pedophilia of the Andalus was affected by that in the east, we notice that chaste ghazal in Al-Andalus and in the east was identical. The candid ghazal, however, described the whole body of the woman but lacked an overall view. The conventional ghazal conformed to the introductory lines of the flirt in the conventional pre-Islamic poetry.

Elegy in the poetry of the period under discussion was found to be in a simple language when conducted with regard to public. In contrast, elegy of high rank people was conducted in a highly illuminated language. It was also noticed that asceticism (zuhd) appeared in different aspects against the luxurious life of Andalusians.

The Andalusian poets, in addition, described the cultural aspects of their time. Their description of food, for example, provided an idea of the development of the Andalusian kitchen. In their treatment of drinks, they gave an overall view of the favorable characteristics of wine. Their poetry was also a reliable source for the industrial development of that period.

Chapter Three: ٤٣٢٦٩٠

Generaly speaking, the literary features of the period were of two directions; namely (I) following the traditional pre-Islamic poem, particularly the panegyric poem, and (II) following the most recent developments of poetry. These two directions were found to be originally eastern, as apparent in the linguistic structure and in their use of certain expressions that were rarely used in the east. Another eastern feature of the Andalusian poetry under investigation is

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

the rhetoric which was a product of the complexity of civilization. The craftsmanship in poetry was also traced according to both content and form. Finally, the researcher investigated the influence of the two major references of Islamic culture: the holy Qura'an and the sunna which are considered the best source of Arabic culture.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit